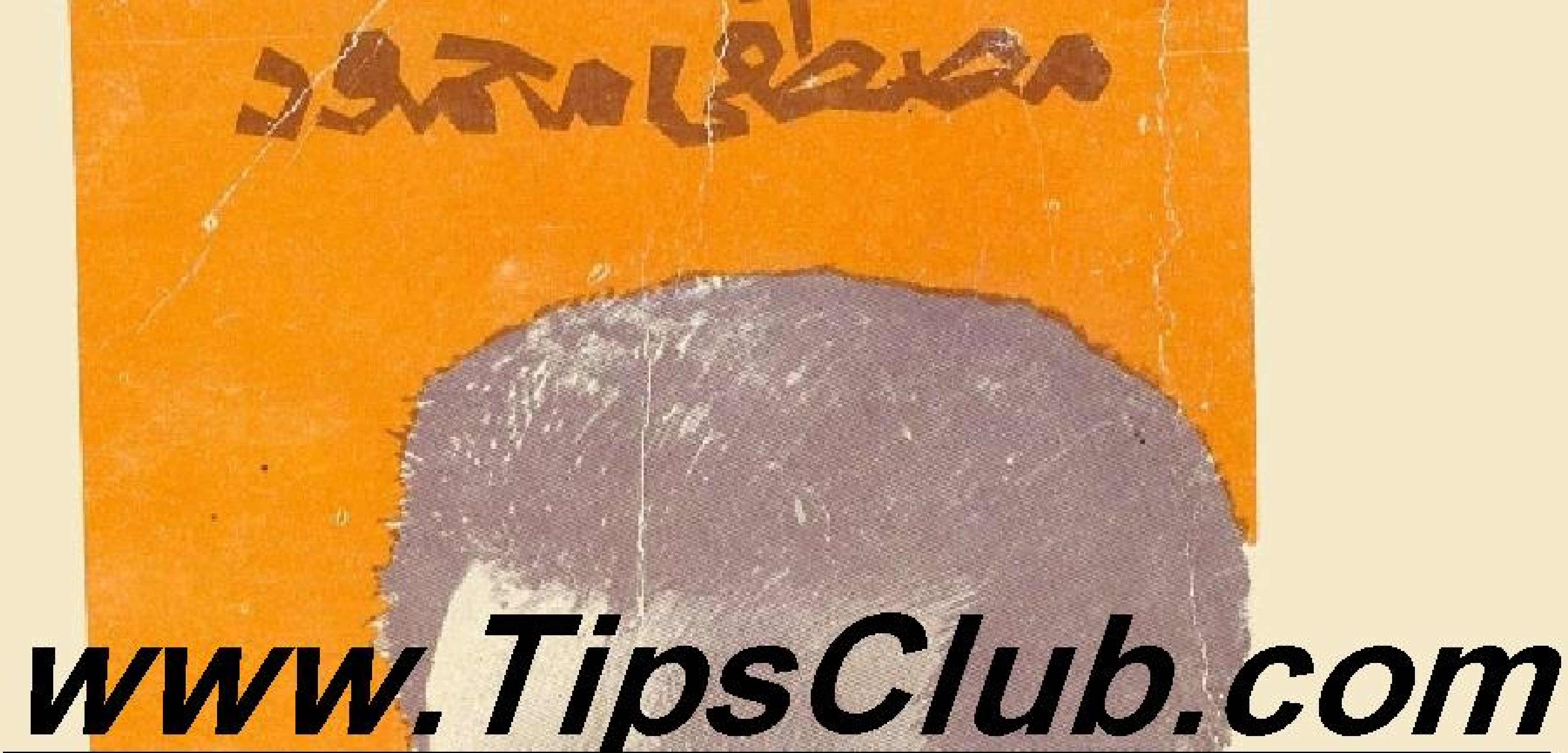
مصطفى محمود



اعترافات عشاق



دار المعارف

هذا الكتاب من تأليف الآخرين وليس من تأليفى.

لقد تركت مقعد المتكلم واكتفيت بأن أكون مستمعًا وأعطيت الميكروفون لكل من يريد أن يطلق ضحكة أو يسكب دمعة أو يصرخ صرخة.. واكتفيت بالتعليق.

هنا لقاء طويل تلتقون فيه بكل من عشق وأحب وتألم.

تلتقون بأنفسكم.. برسائلكم.. وأوراقكم وحروفكم.

هذا كتاب منكم ولكم.

فيه جيلكم الشاب بأسراره وجروحه وأمراضه ومباهجه وأحزانه وأفراحه.. وكل شيء فيه.. حتى تفاهاته.. هو أرشيف صادق لخطاباتكم.

وأغلب ما فيه منقول بالنص من الخطابات الأصلية، لم أتدخل بقلمى إلا لمجرد صياغة عبارة أو استبدال كلمة بكلمة تعبر أكثر عما يريد أن يقوله

المتكلم.. وتجنبت النصح وإلقاء المواعظ، وتحاشيت فرض الحلول، وآثرت تحليل المشاكل وتعميق جوانبها وإلقاء الضوء عليها.. مجرد إلقاء الضوء.. ليصبح صاحب المشكلة أقدر على فهم مشكلته وفهم نفسه.. وبالتالى أقدر على الاختيار.

وأحيانًا يكون مجرد الاعتراف والإفشاء والمصارحة والمكاشفة. ولو على الورق.. ولو لإنسان لا نراه ولا نعرفه.. أحيانًا يكون مثل هذا الإفضاء وإفراغ مكنون القلب، راحة وحلا. ولحظة صراحة من النفس قد تشفى من داء عضال، تعجز كل الحيل عن مداواته.

إن كتابة رسالة ليس أبدًا أمرًا صبيانيًا.. فالكلمة شيء ساحر.. وحينما تتجمع عواطفنا الحبيسة، لتخرج فى كلمة على الورق.. فإن سحابة من الراحة تلفنا.. وكأنما انزاحت عن كاهلنا أعباء العالم كله.

ولا أحب أن أطيل.

وأفضل.. أن أقدم لكم.. أنفسكم.

مصطفى محمود

البنت والمرآة

١٩ سنة مدللة دلوعة متهشكة على الآخر مع أنها السادسة على خمس أخوات كلهن تزوجن وهى الباقية.

بعد ست سنوات تعليم ابتدائى وثلاث أخرى فى الثانوى تكتب اسمها بصعوبة ولا تفتح مجلة ولا تقرأ كتابًا وطول وقتها أمام المرآة تسبسب شعرها وترفعه وتضفره وتعقصه وتفكه وتربطه وتحله.. إلخ.. إلخ.. إلخ.

وبعد الشعر يبدأ دور الحواجب.. والملقاط.. تنتف شعرة شعرة فى صبر مقزز حتى يصبح وجهها مثل وجه قرد مسلوخ.

ثم الأظافر الطويلة والطلاء بالمانيكير الأحمر الدامى ثم البودرة والروج والريميل.

ثم تخزيق الفستان، ونقل الحزام من مكان إلى مكان، ورفع السوتيان وتقصير الحمالات وتطويل الحمالات إلخ.. إلخ.. إلخ.

هذا غير يوم الحلاوة.. وما أدراك ما الحلاوة.

والفستان غايته شهرين.. ثم يلقى فى قاع الدولاب ويبدأ الخناق على فستان جديد.

وأنا الأخ الغلبان طالب الجامعة إذا طلبت بدلة فتح الأب المحترم جاعورته وراح يتصايح ويلقى درسًا فى أصول الكفاح، وكيف أن العباقرة كانوا فى أيام تلمذتهم يلبسون خيشًا ويذاكرون على شمعة أو لمبة جاز.

وأعود إلى الست الهانم الأخت.

وهى حرة تلبس وتدهن وتلمع وتورنش وتستعمل الملقاط والكماشة كما تشاء.. ما دامت تؤدى واجب البيت وتعطيه حقه. أما أن يكون البيت زريبة والغرفات قذرة لا تعرف المكنسة والعنكبوت مدلى من الأركان والبق سارح على الفرش والأطباق قذرة والأكواب مدهنة ورائحة البيت تفوح كريهة لحظة أن يفتح الباب وكأن مقبرة فتحت فإنها مصيبة.

والمصيبة الأكبر أن الهانم نفسها لا تستحم.. لا تدخل الحمام إلا فى المواسم والأعياد.

الكسل.. الكسل.. الكسل.

كسلانة لدرجة الموت وكأن الكسل صفة هوانمى وخاصية من خواص الأنوثة.. تزيد من فتنتها وجاذبيتها.

وهى لا تنشط إلا فى الرغى والتلقيح على الناس، وصوتها مرتفع مسرسع مزعج من رأس الشارع.. وكلامها كله لت وعجن واللى تقوله تعيده.

كثيرة الأكل وفمها لا يخلوا أبدًا من شىء.. لب وسودانى.. حمص.. كرملة.. جيلاتى.. سميط.. مفتقة.. عجة.. سد الحنك.. حلاوة طحينية.

وهى تفتح الثلاجة وتأكل.. لا تسأل لمن الطبق المغطى وإنما تكشفه وتنهشه، فإذا كلمها أحد راحت تنهشه هو الآخر بلسانها السليط.. وعندها لسان منشار تدخل به فى الكلام فى كل موضوع وعاملة نفسها «أبو العريف» وتبالغ وتوقع بين الجيران وتوقع نفسها وتوقعنا فى مشاكل لا آخر لها.

فإذا حاولت أن أنصحها وأصلح من اعوجاجها قامت القيامة وهبت الأم (٥٥ سنة على نيتها ومدروشة) وراحت تصرخ.. إنت حاتكون السبب فى أنها تطفش زى ما طفشت فلانة وعلانة.. يا ميلة بختى.. يا دهوتى.. يا حوستى.. يا مصيبتى.

وطبعاً الهانم تسمع الكلام ده تتمرع أكتر وأكتر، والنتيجة أنها تدخل وتخرج على كيفها وتسهر على كيفها.

وسمعتنا فى الشارع زفت..

كل الناس يتكلمون علينا..

وأنا إذا فتحت فمى انطلقت تصرخ فى وجهى... يا خايب يا نايب.. يا ساقط.. يا ضايع.. يا صايع.. اجرى شوف لك كلمة ذاكرها.. اجرى اتشطر على كتاب تقراه.

وأنا فعلا ساقط.. بدل السنة سنتين.. وربما أسقط هذه السنة أيضًا.

ولكن هى السبب.

فكيف يمكن أن أذاكر فى زريبة.

وكيف أفتح كتابًا فى مولد لا ينفض.

أصبحت سريع الغضب ضعيف الذاكرة بسبب الحياة فى نرفزة متواصلة.

ولا أمل.. الأم مدروشة.. والأب هتلر.

ولا أحد يريد أن يتفاهم.

وكل ما تفعله البنت سكر.

وكل ما يقوله الولد خايب مثله.

والأب يقول لى بالفم المليان.. إنت آخرتك حاتطلع حرامى شحات صايع مش نافع.. كل زمايلك فى كلية الحقوق تخرجوا وأنت قاعد زى المرأة المطلقة.

– طيب وهى حاتطلع إيه فهمونى؟

– إنت مالك يا أخى هى آخرتها حايجيلها عريسها وتنكشح من على قفانا.. انما أنت راجل.

– نفسى أبقى راجل.. نفسى تخلونى مرة راجل قدامها.

– إحنا إللى حانخليك راجل.. فيه راجل طول بعرض

يسقط كل سنة زى الرطل.. إنت إللى حمار.. حانعملك إيه.. كلام.. كلام زى الدبش. زى السكاكين. زى السم.

وأنا أعيش فى ارتباك.

أختى قتلتنى.

نفسيتى تحطمت بسببها.

تخلفت فى كل شىء بسببها.

ولا حل أمامى.

المعذب م. م

* * *

أنا أفهم أن أختك بنت صايعة وضايعة فعلا.

ولكن لا أفهم كيف تكون هى المسئولة عن خيبتك.

وكيف تلقى على أكتافها مسئولية فشلك.

والرجولة معناها أن تكون مسئولا أولا وأخيرًا عن أفعالك وألّا تقول رسبت فى الامتحان لأن أختى فعلت، لأن أختى لبست.. لأن أختى قلعت.. أنت لم تخلق هذا العالم لتفرض على الآخرين شروطك.. قوم نفسك أولا لتكون قدوة للآخرين قبل أن تطلب منهم أن يكونوا على مثالك.

ويمكنك أن تبدأ بأن تكنس غرفتك بيدك.. وتغسل أطباقك بيدك.. وتنظف فراشك بيدك.

إن الزريبة زريبة لأنك لا تفكر بأن تمد يدك. بأى مساهمة فى تنظيفها.

وأختك قذرة.. هذا صحيح.

ولكنك لا تفعل أى شىء لتكون نظيفًا.

إن ما تفعله أختك لا يسقط عنك المسئولية إلا إذا كنت أنت الآخر صفرًا.. بلا إرادة وبلا عقل وبلا يدين.. كل دورك فى الحياة أن تنتظر ما تفعله الأخت.

وبالمعنى الواسع نحن لنا إخوة فى الإنسانية قتلة وسفاحون ولصوص، وبائعو مخدرات وهاتكو أعراض.. فهل نتخذ من هؤلاء الاخوة عذرًا لنلقى المسئولية عن أكتافنا ونقول رسبنا وفشلنا بسبب هؤلاء الأخوة.

وأختك نموذج ردىء بلا شك ولكنها نموذج شائع جدًا، وكثير من البنات مثلها لا هم لهن إلا الثوب والمرآة والمشط وانتظار العريس فهل معنى هذا أن نصاب جميعًا بالعقم والفشل.

لن تكون رجلا إلا فى اللحظة التى تتصرف فيها باستقلال كامل عما تفعله أختك وتعثر على شخصيتك الخاصة، وتصنع مصيرك كما تريد أنت لا كما تتخيلك الهانم وأمها.

الكلب

عمرى ٢٠ سنة وابن أكابر ومن عائلة غنية وشكلى وسيم كما يقول جميع الأصدقاء..

ساقط فى الثانوية العامة للمرة الثانية.. لم أجد حلاً لهذا السقوط المتكرر سوى الهرب من وجه الأهل والأقارب ومن كلمة «ياساقط» طفشت من البيت وأنا مصمم على عدم العودة.

فكرت أن ألتحق بأى عمل وأعتمد على نفسى وأكسب قوتى وأدخل امتحان هذا العام وأذاكر وأجتهد ولا أعود إلى البيت إلا ناجحًا.

كان الشىء الوحيد الذى أجيده هو قيادة السيارات.

وعن طريق صديق لى عملت سائقًا لدى عائلة مكونة من رجل يكاد يكون «أهبل» ويمكن «بيستهبل» وكان من الإقطاعيين وسنه فوق ٥٥ سنة وزوجة شابة عمرها حوالى ٣٥ سنة.

كنت على استعداد أن أقبل أى عمل بأى مرتب وحتى بدون

مرتب مقابل المأكل والمسكن فقط، ولكنهم أكرمونى وأعطونى ستين جنيهًا كل شهر، وغرفة صغيرة جميلة فى حديقة الفيلا (هى فى الواقع قصر) وأكثر من هذا كانت هناك خادمة تأتينى كل يوم بطعام جيد مرسل إلىّ من الفيلا.

كنت فى غاية السعادة فى عمل جميل وعندى فرصة للمذاكرة وفى جيبى مبلغ اعتبرته ثروة ومصروف سخى يأتينى كل شهر.

وكانت السيدة صاحبة ذلك القصر تطلب منى أن أخرج لها السيارة كل يوم لتعرفنى بالأماكن التى يذهبون إليها فكنت أقود السيارة وتجلس هى خلفى وتظل طوال الطريق تسألنى.. إنت ابن مين.. وليه سبت أهلك، وإيه نوع دراستك.. وباختصار عرفت عنى كل شىء.

كانت لا تتحدث معى إلا بالإنجليزية بعد أن عرفت أننى أجيدها.

إلى هنا وأنا أعامل كل من فى المنزل سواء أصحابه أو الخدم بكل احترام وأدب.

ثم بدأت ألاحظ أشياء غريبة، فالزوجة تستغل سفر زوجها (وهو دائم السفر) لتخترع أى مشاوير وتطلب السيارة وأنا بالطبع معها، أكثر من هذا كانت تطلب السيارة للخروج، وعندما أسألها على فين تقول لى.. أنا عايزة أتفسح.. لف بالعربية كده قد ساعة وارجع تانى.

كان المفروض أن أشك فى الموضوع ولكنى كنت أقول إن بعض الظن إثم.. إلى أن كانت ليلة كنت جالسًا فى حديقة الفيلا ألاعب الكلب فخرجت هى من بلكونة غرفتها ونادتنى فصعدت إليها.. التقيت بها فى صالة الفيلا.. كانت تمسح عينيها وتقول إنها تعبانه ومش لاقية حد يجيبلها كباية الميه تأخذ قرص الدوا (برغم أن المنزل ملىء بالخادمات) فنزلت إلى الدور الأول وأحضرت لها كوب الماء وصعدت فلم أجدها فى الصالة.. وسمعتها تنادينى من غرفة داخلية وتدعونى للدخول.

كانت نائمة على السرير بغرفة النوم فى قميص نوم شفاف.

وقفت مترددًا على الباب.

شجعتنى بإشارة من يدها.

لاحظت أنها لا تلبس شيئًا تحت القميص الشفاف.

ومن هذه الليلة تطورت علاقتنا زادت مرتبى عشرين جنيهًا وعرضت علىّ أن تحضر لى مدرسين لمعاونتى فى دراستى، وأصبحت تغازلنى علنًا مظهرة إعجابها بلون عينى وجمال شعرى أمام زوجها الذى كنت أشك فى رجولته، لأنه لم يكن يعبأ بكل هذا الذى تقوله زوجته.

كل هذا ياسيدى وأنا سارقانى السكينة زى المثل ما بيقول، إلى أن كانت ليلة فظيعة حاولت فيها أن أثور عليها وعلى العبودية والخضوع الذليل الذى وصلت إليه وقمت لأخرج من

غرفتها فقامت هى وسدت الباب بجسمها وهددتنى إذا حاولت الخروج أن تصرخ وتجمع حولنا الجيران والخدم وتدعى أنى كنت أحاول أن أتهجم عليها فى غرفة نومها فى أثناء سفر زوجها.. عندئذ وفى تلك اللحظة فقط أفقت من سكرتى وعرفت أى ورطة وأى مصيبة وضعت نفسى فيها.

ولا تتصور ياسيدى كيف دارت بى الدنيا وكيف أصبحت خادمًا لها أسيرًا لرغباتها على كره ونفور منى.

وقد تقول لى وماذا يكرهك على البقاء فى خدمتها.. لماذا لا تترك البيت وترحل، والإجابة أنها تهددنى إذا تركت خدمتها أن تلفق لى تهمة سرقة (والمنزل به نقود سائلة تصل أحيانًا إلى عشرة آلاف جنيه عدا المجوهرات).

أصبح فكرى مشتتًا وانقطعت عن المذاكرة.

أصبحت تسلط علىّ الخادمات وتهددنى بأن تبلغ البك بأنى أغازلهن وتلوح بأنها سوف تطلب البوليس، وسوف تطلب الكشف على الخادمة.. وسوف تزوجها لى بالإكراه إذا اتضح بالكشف أنى أفسدتها..

وهكذا أصبحت فى دوامة من التهديدات.. وأصبحت كالكلب المربوط بالسلاسل عند قدمى سيدته.. لا سبيل له إلى فكاك.

أفكر فى الانتحار أو قتلها لأتخلص من المأزق الذى وضعت نفسى فيه.

كيف أنجو من هذا الفخ.

لا تشتمنى فأنا مش ناقص.

حاول أن تدلنى على طريقة أنقذ بها نفسى ومستقبلى.. ولك شكرى..

* * *

يبدو لى خطابك كأنه «حلم يقظة» من فبركة خيال تلميذ ساقط خيبان يحلم بأنه أصبح معشوق امرأة مليونيرة، وأنه أصبح يتمرغ فى فلوسها وفى أحضانها على كره منه وعلى نفور واشمئزاز، وكالعادة يتصور أنه ضحية.. ضحية الست.. كما كان ضحية المدرسين الذين اضطهدوه وسقطوه.. وإنه ابن الأكابر المجنى عليه.

والواقع أنه لا امرأة هناك ولا فلوس.. ولا عاشق ولا معشوق.. ولا خدم ولا حشم.. وكل ما هناك هو الخيال المريض الذى يبنى القصور والفيلات فى الهواء.. ويصور لنفسه اللذات القريبة المنال وهو يرفضها وهى تطارده، وهو ينفر منها وهى تجرى وراءه وتحاصره.. وهو فى النهاية معذور مسكين غلبان يتارف هذه اللذات تحت التهديد.

مسكين يعمل إيه.. مضطر لهذه اللذات المقرفة.

لا أقول إن مثل هذه الحكايات لا تحدث..

إنها يمكن أن تحدث..

وهى عادة تحدث بكثرة فى الأفلام المصرية.

وهى تحدث دائمًا فى خيال المراهقين الذين يعيشون فى انطواء ووحدة وسوداوية تحت وطأة العادة السرية والعزلة والفشل والسقوط فى حياة الواقع.

وهى الغذاء الرئيسى لأحلام الفقراء.

وقد تحدث فى الواقع فتعتبر نادرة تروى.. ممكن..

ولكن إذا وقعت فحلها يكون سهلا جدًا لا يحتاج إلى كل هذه التشنجات.. فيمكنك أن تترك الخدمة التى لا تعجبك.. دون أى خوف، فلن تتقدم الست بأى شكوى من أى نوع.. فمثل هذه المرأة تكون جبانة جدًا.. فهى سيدة مجتمع ولا يمكن أن تجلب لنفسها فضيحة للاحتفاظ بهلفوت مثلك، وهى يمكن أن توظف غيرك فى هذه الوظيفة المغرية، ولو أعلنت عن طلب سائق لجاءها ألف، ولأمكن لها أن تنتقى ما تشاء أجمل وأرشق من سيادتك.. والمصابات بالشذوذ من أمثالها يعتمدون على خدمات الكلاب لا على السواقين إللى زيك.

ولا أفهم كيف تكون ابن أكابر ومن عائلة غنية وتصف «غرفة السائق» فى الفيللا على أنها قصر.. أن هذا خيال رجل فقير كحيان مش لاقى يأكل يبيت فى غرفة خدم فيتصور أنها

قصر لأن عمره ما شاف سرير.

ومثل هذه المرأة إللى فى بيتها نقود سائلة أكثر من عشرة آلاف جنيه غير المجوهرات وعندها هذه العربة الفاخرة، وسنها ٣٥ وجميلة، مثل هذه المرأة تكون مشتركة فى عدة نواد ولها أكثر من معجب وأكثر من صديق.. ولا يمكن أن تكون مقطوعة ومتفرغة لواحد ساقط بكالوريا زيك أمثاله بالمئات على نواصى عماد الدين.. وكلهم بشعر مسبسب وعيون عسلى.. وما أكثر وأرخص هذه البضاعة وما أوفرها فى مجتمعنا، والعشرة بصاغ يالمون.. والمسألة مش محتاجة لكل هذا الحصار وتعب القلب.

يا صديقى.. إنت بتحلم.

والحل بسيط جدًا.. أن تفوق إلى نفسك وتبطل سرح وتفتح كتاب الإنجليزى وتقرا لك كلمتين ينفعوك بدل ما تحلم أنك بتكلم صاحبتك بالإنجليزى بطلاقة (أمال سقطت ازاى وأنت بتتكلم زى شكسبير، يا أخى فلقتنى).

هل هو الجنون

سأظل أضحك.. ولكن ذلك لن يؤثر فى الحدة المتناهية التى تحيط مشكلتى.

أبى وأبوها أخوان.. فهى ابنة عمى..

ولأبدأ لك بأبى..

وأبى نموذج طيب لرجال كثيرين كانت البارات براقصاتها تعيش على أكتافهم فى الأعوام الماضية.. يملك الأرض وما يكاد يجمع «قرشين» حتى يطير إلى كازينو بديعة بالقاهرة، فينفق «القرشين» ويعود مرهق الأنفاس ضيق الصدر حاد الطبع يقضى وقته متناومًا متعبًا فى بار لوكاندة بالاس القائمة كالغراب على قناطر سنورس.. وما يكاد المحصول الجديد يحصد حتى يجمع الريع ويجرى إلى القاهرة.

ثم عمى..

ولكن عمى لم يكن يعرف القاهرة بل ولم يزرها طوال حياته إلا مرتين، مرة أيام كان عضوًا فى الاتحاد القومى وسافر على نفقة الدولة.. ومرة ذهب ليحضر والدى عام ١٩٥١ حينما علم أن

والدى قد باع أرضًا لراقصة متسولة أصبحت فيما بعد نجمة سينمائية مشهورة.

وعندما تاب والدى ورجع إلى صوابه كانت ثمانون فدانًا من أجود الأراضى قد بيعت لراقصات وسماسرة ومقامرين ووفاء لديون بعض البنوك.

ولم يكن لنا رصيد سوى والدتى فى ميراث وقف الجميع ضده كى لا يبدده.

وكنت أنا فى المدرسة، وكان أخى الأكبر هو الذى يرعى الزرع ويجمع المحصول.. وهو الذى «لطيبته المتناهية» كان يراهن على أن يأكل ٢ كيلو حلاوة طحينية مقابل ٣٥ قرشًا فيأكل نصفها ويخسر الرهان وينام فى المستشفى ١٨ يومًا.

أما عمى فقد ابتعد عنا بعد ذلك وأصبح رجلا فى حاله لا يعرفنا ولا نعرفه، عاش عاكفًا على تنمية ثروته واستثمارها وأنجب بنتا أدخلها مدرسة أمريكية فى أسيوط.. وأنشأ لها حديقة وأقام حول الحديقة سورًا وجلس خارج السور يلعب الطاولة.. هوايته الأزلية المباركة المفضلة.

ثم انفجرت العداوة بيننا وبين عمى.

كنت أيامها فى منتصف الدراسة بأحد المعاهد العليا عندما جاءنى النبأ العظيم.. أخى الأوسط قرر الزواج من بنت عمى.

ورفضت البنت ثم أمها ثم أبوها.. رفضًا غير مؤدب مشمولا

بأسباب تؤرخ لحياة أخى بادئة من علاقته بنعيمة بائعة الطعمية ومنتهية بموضوع الحلاوة الطحينية.

وثار أخى الأكبر وثارت والدتى وثار أخوالى وثار أبى ثم بالطبع ثرت أنا.. ولكنى كنت أضحك.

ولم أكن قد رأيت بنت عمى منذ ثلاث سنوات.

وفى الإجازة الصيفية رأيتها.

كنت أمر بجوار سور الحديقة عندما تلصصت نظراتى من وسط النباتات فوجدت ابنة عمى.. كأودرى هيبورن.. جالسة على الحشيش تحت شجرة مشذبة تطالع كتابًا ملونًا.

وداخل تلافيف مخى عششت البنت.. صورة حلوة هادئة مليئة بحوافز الحصول عليها.

وبعد مناقشات ومباحثات ومفاوضات مع أقطاب البيت وافق الجميع على أن يطلبوها لى حيث لم يسبق لى بشهادة الجميع أن كانت لى صلة بنعيمة بائعة الطعمية، أو كان لى تاريخ فى الرهان على التهام الحلاوة الطحينية.. بالإضافة إلى أنى كنت فى طريقى لأن أصبح موظفًا محترمًا تتمنى أى فتاة أن تدفئ نفسها بين أحضانه.

وتقدم الوفد مساء يوم الخميس من شهر أغسطس إلى والدها.

ولم يرفض والدها هذه المرة بل بصق.. نعم بصق فى وجه كبير الوفد.. وكانت المأساة المروعة أن كبير الوفد كان خالى.. وهو

من عائلة أخرى شديدة البأس.

وانفجر الموقف.. وهراوات وضرب.. وانتهى الأمر بتدخل أصحاب المعروف.. ولكن وما أفظع لكن هذه.. قرر أخى بعد موافقة أبى أن يغتال عمى.

كما قرر خالى أن يغتال عمى ويغتال أبى أيضًا.

وجمعت حقائبى وذهبت إلى صديق فى قرية أخرى.. مجروح الكرامة ولكنى كنت ربما من الغيظ.. أضحك.

ولأنك لا تعرف قريتنا ثم لأنك لا تعرف عائلتنا، ثم لأنك لا تعرف أبى وإخوتى.. فأرجو ألا تسخر أو تستهين بهذه الكلمات.. فقد كانت هذه القرارات لا تعنى سوى التنفيذ.

ولأنى كنت مجروحًا.. ولأن سلوك أهلى لم يعجبنى.. ولأنى واحد من معادلة لا يمكن الخروج عن قانونها، فقد قررت أنا الآخر اغتيال عمى.

قررت أنا كاتب هذه السطور اغتيال عمى عن طريق بنته.

قررت أن أغتصب بنته.

كنت حزينًا ولكنى كنت واعيًا مدركًا لخطورة ما أنتوى عليه.

درست حركات أبيها عند عودتى إلى القرية.

وعرفت أنه كل مساء سبت من الساعة الخامسة يترك جلسته الأبدية أمام باب المنزل ويتمشى لغاية الجمعية التعاونية الزراعية

ليحضر الاجتماع الأسبوعى.

أما الابنة المدللة الارستقراطية التى كانت تشتمنى وتطلق التصريحات ضدى فى كل مناسبة.. فما كان أسهل أن أعتدى عليها.. ضربة فوق الرأس «على طريقة المصارعة الحرة» ثم ينتهى كل شىء وبدأت اتخذ الترتيبات ثم حددت اليوم السبت ٢٦ أغسطس ١٩٦٧ الساعة ٥ مساءً.

وقبل الميعاد.. سقط عمى مريضًا بذبحة صدرية حادة أقول لك صراحة لقد فرحت وتوقعت أن تعم الفرحة الجميع.. أبى وإخوتى ووالدتى.

ولكن المفاجأة أن أبى المتحفظ فى تصرفاته جرى كالطفل يبكى ثم تبعه إخوتى ووالدتى وجريت خلف الجميع.

طلبنا طبيبًا فتأخر الطبيب فأحضرنا سيارة ونقلنا عمى إلى أحد الأطباء بالبندر.. وتغير الجميع.. أبى ظل ملازمًا لأخيه عدوه اللدود فى العيادة.

أخى الأكبر أصبح الراعى للمنزلين.

أخى الأوسط الطيب ظل طوال اليوم والأيام التى تلته من العيادة للبيت ومن البيت للغيط ومن الغيط للعيادة حتى كاد يسقط إعياءً.

وأنا آخذ ابنة عمى وأمها فى السيارة إلى العيادة وأعود بهما حيث أجلس أمام منزل عمى هادئًا مرتاحًا أرعى لهم أى طلب.

آه.. كم كانت بنت عمى تذوب رقة وحنانًا خلال هذه الأيام الستة الرائعة.

وعاد عمى.

وجلس أمام المنزل من جديد يلعب الطاولة.

وبدأت الأوضاع بسرعة غريبة تأخذ مجراها القديم.

العبوس الدائم..

السلام الذى لا يلقى على عمى. وأن ألقى فلا أحد يرد عليه.

وبدأت أشعر بعودة الغيظ القديم.

ثم..

حيث حفرت بنت عمى لها مأوى فى نفسى وحيث أصبح الحديث عن اغتيال عمى متداولا بيننا.. وكان مرضه المفاجئ كان مجرد نقطة لم تقطع خط الكراهية المستقيم.

وحيث عدت أتلصص من خصاص السور لأرصد تحركات بنت عمى.

فقد عاد القرار القديم يراودنى.

مرة أخرى بدأ يلح على ذهنى أن أغتال عمى عن طريق اغتصاب ابنته.

وابنته تجلس فى الحديقة عصر كل يوم هادئة.

وهو يلعب الطاولة أمام السور.

وأنا..
أنا مرجل من النار لا يهدأ.
الرغبة التى لا تقاوم تأكلنى.
أخطط لتنفيذ انتقامى..
وأود أن تقنعنى بعدم تنفيذه.. ولن أطاوعك.
ولقد بدأت اعترافى ضاحكًا.
وهأنذا أنهيه وأنا أبكى.

معذب من القرية

* * *

بالرغم من جاذبية أسلوبك وخفة روحك فى الكتابة.. إلا أن دمك ثقيل جدًّا.. وأفكارك غاية فى السخف والانحطاط بخصوص هذا القرار أو الخطة التى تقول أنك ستنفذها انتقامًا من عمك فى ابنته التى تحبها.

إن مجرد الانتقام من شخص فى شخص آخر هو ظلم غبى أعمى.

وأن يكون هذا الشخص هو من أحببت هو حضيض الأنانية.
وأن تعامل من تحب بما تكره وبما يكره ينحط بعواطفك لمجرد الرغبة الحاقدة فى الامتلاك بأى ثمن.. ومجرد التسلط والتحكم وفرض النفس على الآخرين بالقوة.

ولا يغفر لك إلا أن تكون كل هذه الأفكار هى مجرد خيالات مجنونة تسيطر عليك لمجرد حرمانك ممن أحببت.. أو أن تكون مزاحًا سخيفًا وثقيلا يراودك.

أما إذا كنت تقصد بالفعل وبكل برود أن ترتكب هذه الحماقة فأنا لن أقنعك.. وإنما البوليس هو الذى سيعرف كيف يقنعك وحبل المشنقة سيكون أكثر إقناعًا..

وكنت أفهم أن تحاول أن تعرض رجولتك فى القتال فتضع أمثال هذه الخطط لتوقع بأعدائك وأعداء بلدك.. أما أن تنفذ ما تعلمته فى المصارعة الحرة على بنت قليلة الحيلة لمجرد أنها رفضتك، فإنك تصبح دون الرجل ودون المرأة ودون الحيوان.. ولن تفوز بشىء سوى بصقة أخرى من العائلة كلها والقرية بأجمعها تظل عالقة كالوصمة على صدرك..

والحب لا ينال بالكراهية.. ولا التفاهم بالقوة.. وواضح من أسلوبك أنك تفهم هذه الأشياء جيدًا وأعود فأقول إنى سوف اغتفر لك هذه الكلمات الهوجاء إذا كانت مجرد الصفحات الأولى من رواية خيالية تكتبها فقد تعودت أن أقرأ أمثال هذه الفورات العنيفة فى القصص من شخصيات أمثال هيثكليف فى رواية أميلى برونتى وغيرها.
وأسلوبك يرشحك للدخول فى ميدان الكتابة..

وهذا أفضل من الدخول فى تخشيبة البوليس أومستشفى القصر العينى بعد علقة ساخنة من هراوات الفلاحين، وأفضل بكثير من حكم بالإعدام أمام محكمة الجنايات.

أكرهه.. أحبه..

هو ابن عمتى الوحيد.. كان المثال السيئ والفاشل والشرير فى العائلة كلها.. منذ نعومة أظفاره كان دائمًا مطاردًا.. أو سارقًا أوهاربًا من المدرسة.

توفى والده وهو صغير فحاول والدى – وهو خاله – وبصفته أحد كبار رجال التربية والتعليم فى ذلك الحين – حاول والدى أن يصلحه وأن يحتضنه ولكنه فشل.. إذ أن «الولد» لم يكن يقيم وزنًا لأى شيء، مقامرًا لصًا مشاكسًا حتى كرهناه جميعًا وكرهنا أن يدخل منزلنا وطرده والدى من عشر سنوات وترك الجميع عوضهم على الله فيه.. بالطبع ما عدا عمتى.. «والدته» التى عانت الأمرين وهى تتحمل شكاوى الناس وسبهم له ومطاردتهم، وشتائمهم بسبب أخلاقه وصفاته التى لم يكن فيها ثقب إبرة واحدة يستطيع الإنسان أن يرجو منه الخير.

ومنذ خمس سنوات حصلت على شهادة غير معترف بها وغير ذات أهمية من إحدى مدارس «الفرير» الأجنبية، ونظرًا لأن وضعنا فى القرية لا يساعد على أكثر من ذلك فقد قنعت بها

منتظرة - بعد ذلك - العريس القادم حتمًا - كالدستور الأبدى لعائلتى الكبيرة، والتى ترقد بناتها فى البيوت.. ويعمل رجالها سواء أصحاب أراض أو ضباط أو موظفين.

وبدأت المتاعب فى المنزل بعد أن أحيل والدى إلى المعاش - فقد قل دخلنا واستولى أبناء عمى على الأرض التى كان يديرها والدى لحسابهم «بعد موت الوالد» كوصى لهم أيام أن كانوا قصرًا.. ونتج عن ذلك هبوط شنيع فى حياتنا بل وفى ضرورياتنا، ولا سيما أن أبناء عمى لم يرحموا أبى فى مطالبتهم النهائية بكل التقديرات المالية المطلوبة منه.

ثم بدأ هو يدخل حياتنا جميعًا من جديد.

المكروه أبدًا المطارد أبدًا مثال الشر القاسى الذى لا يقيم وزنًا لأحد أو لمثاليات.

لا أعرف كيف عاد إلينا - برغم أنه لم يكن قد ترك القرية أو نزح عنها.. إنما - كالماء - تسرب إلى حياتنا وأصبح الصديق الدائم لوالدى.

لم يعد يسرق، لم يعد يتاجر فى الممنوعات - على قدر علمى - ولكنه أصبح شخصًا آخر.. مقامرًا سكيرًا يملك مالا ويزرع أرضًا.. هكذا أصبح - وفى نظرى إذا كان لا يسرق، فذلك ليس معناه أنه لا يسرق، وإنما معناه أننا لا نعلم بذلك.. أى كل ما فى الأمر قصور فى معرفتنا وليس صلاحًا فى أخلاقه.

وأحسست بأن والدى يقترض منه مالا، بل وأحسست أنه يملك قدرة التصرف فى كثير من شئوننا.

أحسست أننى الصفقة التى ستقع قريبًا فريسة له.

وعندما بدأت أجر الخيوط مع والدى اكتشفت أن ليس عنده مانع نفسى لبيعى له.

انهارت أحلامى.. واستيقظت الأفعال الشريرة التى كان يطارد بها الناس وظللت مؤرقة ضيقة الصدر.

وفكرت فى الانتحار.

ولكننى قبل أن انتحر قررت أن أواجهه. لا يمكن أن انتظر حتى تقع الفاس فى الرأس.

ثم استطعت أن انفرد به..

وبكل الضيق وبكل الأسى وبكل الحزن وبكل اليأس.. صارحته بأننى أفهم سياسته.. وأنه حقير وأن ظفرى بعشرة مثله. وأننى سأنتحر إذا ما فكر أن يحصل على..

كنت ثائرة ومستعدة لأن أقتله لحظتها..

ولكنه كان باردًا..

قال إنه لم يفكر فى ذلك ولن يفكر فى ذلك وليس مستعدا لأن يشترى «جثة جميلة» «على حد قوله».

وإذا كان أحد آخر قد فكر فى ذلك فليس هذا شأنه..

ولكنى كنت أفهم خبثه ومكره.. فسببته وقلبت ماضيه على رأسه وبرغم ذلك لم يثر.. بل ازداد برودًا.. واستطاع أن يمتص غضبى وثورتى.. وتكلم كثيرًا.. تكلم عنى وقال إننى لا أصلح لشىء اطلاقًا لأن الحياة الحديثة «نعم.. هو يتكلم عن الحياة الحديثة».. الحياة الحديثة لا تقبل أن تضم مثلى بين جدرانها قال إننى لا أستطيع أن استقل قطارًا بمفردى.. وقال إننى لا أستطيع أن أسير خطوة واحدة خارج المنزل، وكل الذى يمكننى عمله هو أن أقدم الطبيخ الدسم واللحوم المشكلة وقراءة مجلة حواء.. ويكفى أن مجلة حواء تنشر «باترونات» لم تؤثر حتى الآن فى طريقة ملابسى، وأننى فلاحة سلبية دسمة جميلة تعلمت القراءة والكتابة فى مدرسة أجنبية بحكم الصدفة، وأن كل الذى أصلح له أن أكون زوجة مدرس ابتدائى يعود إلىّ آخر اليوم حاملا بطيخة غير ذلك لا أصلح له ولا لأحد آخر.

أما مسألة أنه لص فذلك أمر لايخصنى، وأن الذين يعلمون كيف تسير حياته أربعة: الله وأمه وضميره وحبيبته.. وأنه سيتزوج العام القادم.. موظفة فى إحدى المصالح الحكومية بالبندر، وأنه مستعد لأن يقدمها إلىّ فى الفرصة والوقت اللذين أحددهما.

وفى المساء عاد - بنفس هدوئه - وقدم لى خطابات حبها له وقرأت بعضها ورأيت صورتها.. وعرفت أنه خلال الثلاث سنوات الماضية لم يكن له هم سوى نقلها من المحافظة التى تعيش فيها وهى محافظة بعيدة إلى البندر الذى تقع فيه قريتنا.

ودخلت الدوامة من أوسع أبوابها.

الأسى يطحننى والألم يهزنى.. وعلاقاتى بالناس ارتبكت. وكرهت أبى وأمى وإخوتى.. وكرهته.. ثم كرهته.. ثم أصبح هو قطعة من أفكارى.. لم أعد أنام.. ولم أعد أستيقظ.. ولم أعد أراه ولكنى أرغب دائمًا فى رؤيته، أتمنى أن أستيقظ فأجده ميتًا.. وأحيانًا أفكر أن أدس له السم.. وأحيانًا أتصور نفسى زوجة - نعم زوجة له قادرة على إسعاده وقادرة على أن أسافر إليه - أينما وكيفما كان - بمفردى أتصوره لصًا ومهربًا ومزارعًا ناجحًا أشاركه حياته «الجنة» كما وصفها.. ثم لم أعد أتصور شيئًا سوى أنى حبيبته.

نعم حبيبته.. أتزين له.. وأقص فساتينى على باترونات مجلة حواء كى أرضى خيالى معه..

أحبه.. حتى أننى أتمنى أن أقذف بنفسى بين أحضانه ثم نشعل النيران فى البيت.. لنموت معًا..

لنموت معًا..

ومازلت أتقلب على فراشى داخل السجن فى انتظار رجلى..

ر.. كوم أمبو

* * *

أكاد لا أشك فى النار التى تأكل قلبك.

ولكن هل هذا حب.

أنت ذكية جدًا ويجب ألا تخدعى نفسك بالكلمات.

هل هى نار الحب التى تأكل قلبك أم نار الكرامة الجريحة والأنوثة التى سقطت فى الامتحان.

إنه فى نظرك الشيطان اللص بائع المخدرات المقامر السكير والانتحار أهون ألف مرة من التفكير فى الزواج به.

ولكن اكتشافك أنه طول الوقت لم يكن يفكر فيك.. وأنك فى نظره واحدة ست بلدى لاتعرف كيف تلبس ولا كيف تركب قطارًا تعلمت كلمتين أفرنجى بالصدفة.. وأنه طول الوقت كان يفكر فى امرأة أخرى. كل هذا أشعل الغيرة فى قلبك وجعل منه رجلا محبوبا.

ولكن هذه أسباب لا ترشح رجلا مكروها لأن يحب..

إن ما حدث لم يكن شيئًا بينك وبينه.. وإنما شىء بينك وبين نفسك.. ثورة امرأة جرحت فى أنوثتها.

وأنت الآن تجرين وراءه لتحصلى على اعتراف عاجل بهذه الأنوثة التى أنكرها والجاذبية التى أهدرها.

إن حبك لنفسك وليس حبك له هو الدافع الحقيقى.. أنت تريدين رد اعتبار سريع لجمالك بأى ثمن ولو بأن تعلنى حبه.

وأنت فى هذا أنانية مثله شريرة مثله.

كانت أمنيتك فى البداية أن تستمتعى بإذلاله ورفضه. فإذا به

هو الذى يستمتع برفضك وإذلالك.

إنها مبارزة ذكية جدًا بين أنانية وأنانية.. مبارزة دوافعها شريرة فى الجانبين.

وإن كنت لا أستبعد أن يكون فى أعماق هذا الشر حب مستتر قديم وباطن فى قلبك وفى قلبه.. فتعليقاته المفصلة حول تصرفاتك تدل على أنه كان يراقبك طول الوقت وأنت تقرئين حواء بما فيها من باترونات.. ثم لا تلبسين فى النهاية إلا العباءات والاشولة الفلاحى «ومعنى هذا كله أنه كان يتمنى أن يراك فى فستان محزق أو جابونيز أو ديكولتيه وهى أمنية عين تحب وتشتهى».

وأنت بدورك.. كلامك الحاد البذىء عنه يدل على اهتمام مبكر به وبشئونه «ولو أن كلامك شتيمة».

ثم لم تكن هناك دواع عاجلة واضحة لهذه الخلوة التى صارحته فيها برفضك له كزوج.. فلم يثر أحد موضوع هذا الزواج المرتقب.. لا أبوك - ولا أمك.. وما قالاه فى هذا الموضوع كان نتيجة استدراج منك.. معنى هذا أنك أنت وأنت وحدك التى فتحت موضوع الزواج بلا مناسبة.. وكأن باطن شعورك يريد أن يقول: يالله يا أخى بقى اتحرك واخطبنى.. ولو كان ظاهر كلامك يقول العكس.. بعينك ولو تطلع عينك مش حاتاخدنى. ضافرى بعشرة زيك.. يا راجل يا كلب.. «وهى مرقعة نسوانى شائعة فى

الأخلاق الشرقية بين نسائنا.. أن تقول الواحدة للرجل.. يا سم.. ابعد عنى أوعى تلمسنى.. بعينك.. وهى تموت فيه وتدوب فى دباديبه».

ومعنى هذا انك شريرة مثله كما قلت.. تريدين أن تسرقى قلبه كما يريد هو أن ينشل أفكارك.

وأنت كذابة. أثيمة وهو كذاب أثيم.. وأنتو الاثنين ألعن من بعض.

وأنا أحب أن أعرف كيف ستنتهى هذه المبارزة القاتلة بينكما وإن كنت أتوقع أن ينتهى كل منكما إلى أحضان الآخر وأن تختتم القصة بزواج قريب «وما تنسوش تعزمونى فى الفرح».

الصدمة

أشعر كأنى أكتب لك هذه الرسالة بدمى أنا ابن السادسة عشرة الذى قدر له أن يفتح عينيه على مأساة ويصدم فى أمله وأحلامه ومثالياته.

إنها قصة أشبه بما تقرأ فى الروايات للأبطال الذين ينتحرون ويعيشون حياتهم على حافة الجنون.. ومع ذلك فما أجمل بداية هذه القصة.

أب حنون طيب يجاهد طول عمره ليوفر المال والثراء لأسرته.. ويقول دائمًا إن الستر والحياة فى كرامة ونظافة لا يتوفر لمن يعيش فى ذل الفاقة، وأن الدخل الميسور معناه أن تجد الأسرة الطعام وتظفر برعاية الطبيب وتتمتع بتعليم راق لأولادها وتأمين لمستقبلها.

والحياة لا أمان لها.. ورصيد فى البنك باسم الأم والأب والأولاد هو ضمان ضرورى، فالأعمار بيد الله ولا أحد يعرف ماذا يخبئ المستقبل من مفاجآت.

وهكذا مضى الأب الطيب يكدح ويقتصد ويستثمر ذكاءه

وبجهوده واشترى بضعة أسهم وعقارًا.

ثم مات فى العام الماضى ليترك لنا إيرادًا شهريًا يبلغ حوالى أربعمائة جنيه وسيارة مرسيدس وفيللا جميلة فى ضاحية راقية.

كل ما نحتاج إليه وأكثر لنعيش حياة مرفهة مستقرة، أنا وأمى وأختاى اللتان تتراوحان بين العشرين والثالثة والعشرين وتلتحقان بمدرسة أجنبية.

حياة يحلم بها أى واحد فى هذه الدنيا.

ومكانة يحسدنى عليها أى ابن..

كنت فى هذا الحلم الجميل حينما سافرت مع مدرستى فى رحلة للبحر الأحمر لمدة أسبوعين.

ومضيت ألعب وألهو على شاطئ البحر وأصطاد السمك. وأمزح مع أصدقائى.. ولأمر ما اضطرتنا الظروف للعودة قبل انقضاء الأسبوعين.

وعدت إلى الفيللا وكان ذلك حوالى السابعة مساءً.. وكان معى مفتاح للبيت ففتحت ودخلت بدون أن يشعر بى أحد لكى أفاجئ العائلة بعودتى.. ولكنى لم أجد أحدًا.. وصعدت للدور الثانى وذهبت إلى غرفة نوم أمى وكان بابها مواربًا.. ورأيت وياليتنى ما رأيت. رأيتها فى أحضان عمى.

صعقت وتصبب العرق على وجهى وارتجفت أوصالى ودارت

الدنيا بى.. وعدت أدراجى وأنا كالمذهول.. ماذا أفعل؟.. كيف أتصرف؟

واستبد بى التفكير والأرق..

ولم أعد استطيع التركيز فى كتاب أنا الطالب المجتهد الذى داومت على التفوق فى جميع مراحل تعليمى.

وتناوبتنى الهواجس والوساوس.. هل أقتل عمى، هل أصارح أمى.. وماذا أقول؟، وكيف تصبح العلاقة بيننا بعد مثل تلك المصارحة والمواجهة.. ماذا يصبح مركزها فى نظر نفسها وفى نظرى ماذا يصبح مركزى فى نظرها وفى نظر نفسى.. أنا الابن الذى فضح أمه وسقطت من نظره إلى الأبد، وفقد القدوة والمثل الأعلى.

كيف تقف منى بعد هذا موقف الناصح.. وكيف تواجهنى وترشدنى فى حياتى وهى التى عجزت عن إرشاد نفسها..

وكيف أقف منها موقف الناصح وأنا ابن السادسة عشرة وهى السيدة الأم فى الأربعين.. كيف أوجه إليها مثل هذا الاتهام المهين المشين المخجل..

وأى كراهية تنمو بيننا بعد هذا.. كراهية فى نهايتها أسوأ من السقوط والعن من الخطيئة.

وكان عقلى أضعف من أن يحتمل هذه الضغوط القظيعة فبدأ ينهار.

وتحولت إلى طيف شارد سارح مذهول على الدوام.

وليت الأمر انتهى عند ذلك، ولكنى عرفت مؤخرًا أن إخوتى البنات يذهبن إلى النادى ويترددن على شبان فى شققهم ويعدن فى الواحدة صباحًا وأمى لا تكلمهن ولا تسألهن اين ذهبن، وسمعتهن فى النادى قذرة.

وتصور أن تنهار عمد البيت الذى أعيش فيه فجأة وبدون توقع أو انتظار فاكتشف أن أمى ساقطة وإخوتى ساقطات.

وأنا من أكون.. وماذا أفعل.. وماذا يقول عنى الناس.. حينما ينكشف عارنا للكل.

أنا المثالى المتدين الذى نبت فى بيئة كلها حب.. أو هكذا خيل لى.

وتصور كيف أجلس لأذاكر فى الدور السفلى وعمى يداعب أمى فى حجرتها فى الدور العلوى مطمئنين إلى جهلى بكل شىء.. وأخواتى يراقصن الشبان التويست فى النادى.

كيف أجد العقل لأركز وأقرأ؟

كيف أجد الانتباه لأفهم؟

وكيف أجد الإرادة لأواصل وأثابر.. وأنا مشتت مبعثر ممزق الذهن والوجدان إنه عذاب فظيع الذى أعيش فيه.

أفكر فى الانتحار ولكنى أخشى الله وعقابه.

سوف أرسب.. أنا أعرف أنك سوف تواسينى ولكن ما جدوى المواساة؟

لماذا لم تكن أمى امرأة فاضلة.. وماذا تريد من الدنيا؟.. وعندها المال الوفير والعربة الأنيقة والسكن الراقى.. والمركز واحترام الناس وكل ما تتمناه امرأة؟

هل أخطأت ليعاقبنى الله فى أمى وفى أهلى..؟

إنى أموت من الحسرة ولا أجد مخرجًا!!

ماذا أفعل؟

ا. ح. ح

* * *

إنها كارثة فظيعة بالفعل وربما لو قرأت أمك كلماتك وشعرت بمأساتك ربما تصرفت بكرامة وحفظت للبيت على الأقل هيبته واحترامه وقطعت رجل هذا العم من البيت.

ولكنى لا أنصحك بأى مواجهة أو مصارحة بينك وبين أمك.. لا تفتح فمك بكلمة.. ولا تكاشف أمك بهذه السقطة وإلا تقطعت حبال المودة وزرعت كلماتك كراهية لا شفاء لها.

وتذكر أنك لست خالق هذه الدنيا لتحمل وزرها على كتفيك.

وإذا كانت أسرتك سقطت فالعالم كله فى حالة سقوط.. العالم أسرتنا الكبرى تتمزق بين الزنا والخمر والحروب والقتل والسرقة

والكذب ونحن أبناؤها نتألم ولكن علينا أن نواصل ليصلح كل منا ذات نفسه ويكون قدوة حسنة للآخرين لا قاضيا وجلادًا لهم.

كن رجلًا صالحًا فى ذاتك لتصبح قدوة لأمك وإخوتك.

وسيكون هذا صعبًا فى البداية، ولكنك يمكن أن تتعود عليه.

علي كل واحد أن يحمل وزر عمله.

وشرفك هو ما تقدمه أنت بيديك لا ما تفعله أمك.

إن النظرة التقليدية الأخلاقية بأن الأم يمكن أن تلطخ ابنها بالعار بما تفعله هى نظرة غير صحيحة.

فالإنسان يشرف بأعماله هو لا بأعمال غيره.

والعار لصاحب العار وحده.

وأنت لن تستطيع أن تصنع نفوسًا جديدة لأم فى الأربعين وأختين راشدتين، كل ما سوف تفعله إذا قذفت بالطين فى وجه الجميع هو مزيد من التمزق والكراهية والعداوة للكل.

ستعانى صراعًا عنيفًا لتغالب الانفجار والغضب، ولتروض نفسك على تقبل مصيرك وقدرك.. ولكن تذكر أن من وراء الجدران فى بيوت كثيرة حولك تخطئ أمهات وتسقط بنات، وأنه فى هذه اللحظة يسقط قتيل برىء فى فيتنام.. ويموت أطفال من الجوع فى الهند.. ويقتل الاخوة بعضهم بعضًا فى الصين.

إننا ولدنا فى أرض الخطايا.

والحل ليس الصراخ، وليس الغضب، وليس القتل، وليس قذف الطين فى وجوه المخطئين.

ولكن الحل مزيد من الحب.

أن يحاول كل منا أن يصلح نفسه ويقوم ذاته ويكون قدوة لغيره قبل أن يقف منه موقف القاضى من المتهم.

وتذكر أنك يمكن أن تخطئ أنت أيضًا حينما تكبر وتلح عليك شهواتك وغرائزك.

حاول أن تكون الابن المشفق لا القاضى الجلاد.

ولتكن مثلًا أعلى فى تصرفاتك قبل أن تطالب الآخرين بأن يكونوا مثلًا عليًّا.

إن الله يمتحنك بهذا البلاء الذى أنت فيه.

ولكنى أعتقد أنك ستمر وستتفوق على نفسك وعلى عذابك.

العفريت الذى ركبنى

أتيت من الريف.. لأدرس الطب فى القاهرة.

ولأعرفك بنفسى.. فأنا متفوق فى دراستى دائما طموح أهوى الشعر وأؤلف الروايات والتمثيليات والقصص فى أوقات فراغى.. مدمن اطلاع.. عقليتى علمية.. انظر إلى كل شىء نظرة علمية وأرفض التعلق بأى خرافة ولا أصدق قضية لم يقم عليها دليل محسوس.

تبدأ مأساتى حينما عرض علىّ بعض الزملاء فى أثناء نقاش حول الأرواح والجن والعفاريت أن نقضى ليلة فى شقة معينة قالوا لى إنها «مسكونة» بالجن.

وضحكت طبعا على هذه الخزعبلات وقلت لهم إنه لا يوجد من يسكن الشقق غير البشر.. وإن الجن والعفاريت كلام فارغ وتخاريف عجائز انحدرت إلينا من عصور ما قبل العلم.. عصور الجهالة والظلمات.

وقالوا حينذاك فى حماس.. نحن نتحداك أن تبيت ليلة فى تلك الشقة.

وقلت لهم فى تحد أعنف.. سوف أبيت الليلة وكل ليلة.. مع السكان الجان وأجعلهم يدفعون خلو رجل كمان.

ونظروا إلىّ باستخفاف وإشفاق.. وهم يتهامسون.

أنت بتنكت كمان على الجن.

ولن أطيل عليك ذهبنا جميعًا وكنا خمسة وبتنا ليلة فى تلك الشقة المشئومة.. وكان ما حدث شيئًا لا يصدق.. انقطع النور فى البداية ثم أمطرنا السقف المظلم بقذائف لا حصر لها.. طوب وملاعق وسكاكين وصحون وأشواك مسننة وقطع صابون وأكواب وثمار فاسدة وبيض وكراسى.. ثم بدأنا نسمع نقرات عالية على زجاج النوافذ والأبواب.

وحاولت أن أهرب بنفسى فأحسست بيد فى الظلام تناولنى لطمة قاسية على خدى وصرخت وأغمى علىّ.

وفى اليوم التالى كنت أمشى إلى الكلية وأنا كالمصعوق.. المشدوه.. أفكر.. وأفكر كيف يمكن أن تحمل روح كرسيًا وتقذفه فى الهواء.. وهى ذاتها هواء أو أثير.. أو لا شىء.

وهل يوجد ذلك الشىء الذى اسمه عفريت.

وكيف يسكن العفريت جسمًا آدميًا.

وماذا يحدث إذا كان أحد هذه العفاريت قد أعجبه جسمى فسكن فيه وترك الشقة لزملائه.

وكانت الفكرة عابرة فى البداية.

ولكنها بدأت تلح على ذهنى.

وبدأت أشعر بالفعل أن هناك شبحًا أثيريًا يسكن فى داخلى، شيئًا كالظل مكوم داخل هيكلى.

ولم أعد أعرف النوم.

وتحول الليل إلى عذاب طويل ورعب وسلسلة من الهواجس والمخاوف بدأت أشعر بالظل فى داخلى يتمدد وينكمش.

ثم بدأت أشعر بأنه ينقر على رأسى ومفاصلى ويدق على ظهرى.

وأحيانًا كنت أراه يقلب صفحات الكتاب الذى أقرؤه قبل أن أمد يدى لأقلبه وتحولت حياتى إلى سلسلة من الجنون.

ولم أجرؤ أن أصارح أحدًا بهواجسى حتى لا يذهبوا بى إلى المجاذيب.

واعتزلت عن أصدقائى وسجنت نفسى فى غرفتى.. أعود من الكلية فأدخل غرفتى لا أبرحها وأصبحت أضىء غرفتى طوال الليل بلمبة مائتى وات من الخوف ولم أعد قادرًا على التركيز فى مذاكرة أو قراءة.

حتى الفتاة التى خطبتها قاطعتها وأصبحت أتجنبها حتى لا تلحظ التغيير الذى طرأ علىّ، وهى بدورها أصبحت تعيش فى حيرة من أمرى.

أكتب لك الخطاب الآن فى الفجر وأشعر طول الوقت أن العفريت الذى يسكننى يدق على جمجمتى من الداخل.

نعم أقسم لك أن هناك دقات فى داخل رأسى.

إنه شىء فظيع لم أقله لأحد ولكنه، هناك من يدق على رأسى من الداخل.

أنا أصبحت كالخرابة المسكونة.

وأبشع ما فى الأمر أنى أحارب عدوا غير منظور.

لو أن ما بداخلى مرض أو ميكروب أو ورم سرطانى لأمكن استئصاله بالجراحة أو علاجه بالدواء.

إنه يكون شيئًا معروفًا يمكن لمسه وتشخيصه ووصفه وتبين خصائصه وملامحه.

أما ذلك الذى يسكن بداخلى.. فهو عدو كالهواء.. كالاثير.. كالشىء.

ذهبت إلى المشايخ ولبست أحجبة وتعاويذ أنا طالب الطب ابن العشرين عامًا.. دون جدوى.. ودون فائدة.

إنى أموت من الرعب والجنون.

وأهلى قد فقدوا كل حيلة معى.. ولا أحد يعلم مأساتى وأنت أملى الاخير.

إنى أقرأ لك دائمًا فى الموت وما بعده.

واقرأ لك تأملات عن الطبيعة وما وراءها.

وأرجو أن تجد لى مخرجًا.

المعذبى

* * *

أنت ريفى ساذج ولا شك، وقد ذهبت ضحية هزار سخيف فالأرواح إذا كانت هناك أرواح لا يمكن أن تشغل نفسها بأمر تافه مثل قذف الصحون والملاعق والشوك.

وإذا كانت الأرواح ترفع الكراسى فلماذا لا تفعل ذلك فى النور حتى يؤمن بها كل متشكك.

لماذا تفعل ذلك فى الظلام فقط.. ويحتاج الأمر إلى انقطاع النور من الشقة أولا ثم تبدأ عرضها البهلوانى.

إن اللعبة واضحة من البداية.. ولهذا بدأت الحكاية بقطع النور ثم شرع أصحابك يلطشونك على أصداغك ويقذفونك بالصحون والبيض الفاسد ويضحكون عليك.. وبعد ذلك صدقت نفسك وسقت فى أوهامك.

وإذا كانت الأرواح تضرب بالطوب وبالسكاكين فلماذا لا تحارب فى فيتنام وتنصر أصحاب الحق الغلابة على المعتدين الغاصبين بدلا من تقديم عرض بهلوانى فى شقة.. وفى فيتنام يسقط مئات القتلى كل يوم.. وما أكثر الأرواح.. وما أكثر العفاريت إذا كان هناك عفاريت.

ولا شك أن الماريشال كاوكى يستحق قلما على صدغه من أى روح من الأرواح التى أهرق دماءها.

أنت تحلم يا صديقى الريفى الساذج.. وما تشعر به من دق على جمجمتك سببه أنك داقق عصفورتين.. وأنك عبيط وأنا شخصيًا مستعد ومشتاق إلى ليلة أبيتها فى شقتك المسكونة لأمسك بيدى ذلك السخيف الذى يرفع كوبس النور وأرقعه قلما على صدغه وأحلق له شعره فى المحافظة بمساعدة عفريت حقيقى من عساكر البوليس.

والله يا أخى ما عفريت إلا بنى آدم.

والأرواح الحقيقية لها عالم آخر شفيف رفيف لطيف غير عالمنا السخيف وهى لا تفكر أبدًا فى أن تقذفنا بالطوب.. لأننا بالنسبة لها.. لا شىء.. لا نستحق حتى مجرد لفتة إلى وراء.

وهذه المرة أنا الذى سوف أدق على دماغك.. وأقول لك.. فوق واصحى يا كرودية.

الحياة بدون كبت

أنا كما يرانى الناس من الخارج فتاة عادية فى التاسعة عشرة.. مرحة منطلقة.. الكثيرون يحسدوننى على انطلاقى.. فأنا أبدًا دائمًا ضاحكة عابثة.. ولكن قلبى من الداخل يدمى.. ولا أحد يعلم ما أعانيه.

أحببت منذ ثلاث سنوات.. وكان حبًّا أكبر من عمرى.. وكان هو فى الثلاثين أكبر منى بأربعة عشر عامًا.. وعلمنى كل شىء.. كنت كتابًا مقفولا وموضوعًا على الرف. وجاء هو وفتحه وقرأ كل سطر فيه.. وكل كلمة فيه.. وكنت سعيدة.. السنة الماضية فى مثل هذا الوقت كنت أسعد مخلوقة فى الوجود.. فأنا جميلة خفيفة الظل محبوبة من الجميع ومن عائلة غنية أستطيع الحصول على جميع طلباتى.. وأهم من هذا كله.. كان هو بجانبى.. حبيبى.

كنا شبه مخطوبين أمام الناس وشبه متزوجين أمام أنفسنا وأمام الله عرفت معه كل متع الحب.. وكل مسراته.. وقد حرصنا معًا على ألا يتجاوز عبثنا الحدود.. فظللت عذراء.. ولكنه فى آخر لحظة تركنى.. وهجرنى إلى غير رجعة.. قال إنه لا يستطيع أن

يعصى أمر والدته.. وقد اختارت له والدته ابنة أختها اليتيمة.. وخطبتها له.. وهو لا يستطيع أن يرفض لها طلبًا فهو وحيدها.

وتعذبت.. ومرضت.. ثلاثة شهور..

ثم بدأت أضمد جراحى.. وأقاوم عذابى.. وأرسم الضحكة على شفتى.. وأغتصب الابتسامة.. وبدأت أعود إلى الحياة.

وعرفت أحد زملائى فى الكلية.. وصاحبته..

ولم يكن حبًّا هذه المرة.. فأنا أعلم أنى لا أحبه.. وأنه لا يحبنى.

ولكنى كنت أبحث عن سلوى.

ونحن نذهب إلى السينما حيث نقضى الساعات.. لا نرى الفيلم.. ولا نرى ما حولنا.. وإنما نظل نتبادل القبلات والعناق حتى يضىء النور..

وفى حمى الشباب تأخذنا نشوة المراهقة التى نمر بها نحن الاثنان فيشعر كلانا بأننا نقضى ساعات لذيذة.

ولكن بعد ذلك.. وبعد أن تمضى هذه الساعات.. يبدأ عذاب الضمير.. وأرانى أصرخ فى نفسى.. إنى ساقطة.. مجرمة بدون أخلاق مذنبة مصيرها جهنم.

ولكنى أعود فأسأل نفسى.. وما ذنبنا إذا كانت هذه غرائزنا التى ركبت فينا.. ورغباتنا التى خلقت معنا.

إنى لو لم أفعل هذه الأشياء.. فسوف أظل مشغولة الذهن طول الوقت أفكر وأتمنى أن أعملها.. وهذا ألعن..

ما ذنبنا إذا كانت هذه طبيعتنا..

وأبكى.. وأصلى.. وأصوم، ثم أعود إلى فعل هذه الأشياء.. وأنا أسأل نفسى فى حيرة.. ما الفرق بين ما يفعله المتزوجون وغير المتزوجين.. إنها ورقة.. مجرد ورقة..

كيف تكون رخصة الفضيلة مجرد ورقة..

ولماذا يعتبر الناس تلامس اليدين فى المصافحة عملا عاديًا لا غبار عليه.. وتلامس الشفاه فى القبلة عملا فاضحًا شائنًا.. أليست كلها أجزاء جسم واحد..

وما معنى الفضيلة هنا..

وكيف يكون تحريم أشياء هى فى صميم طبيعتنا.. فضيلة..

لماذا لا نعيش على الطبيعة، بدون تعقيد.. وبدون كبت.. وبدون تحريم.

❊ ❊ ❊

قصدك لماذا لا نعيش كالحيوانات فننطلق مع غرائزنا بلا ضابط.. وبلا نظام.. وبلا هدف سوى هاتف اللحظة.. ولذة الساعة.. مستحيل طبعا.. فهذا معناه أن نتخلى عن إنسانيتنا تمامًا.. ونعود إلى عصر الغابة..

فالآدمية لا تبدأ إلا من هذه اللحظة.. من اللحظة التى يحكم فيها الإنسان رغبته ويكبح غضبه ويلجم شهواته ويتصرف بمقتضى أهداف سامية كالرحمة والإخاء والشجاعة والتضحية والبذل فى سبيل الآخرين والعمل على اقامة نظام.. والانقطاع للعلم والتحصيل والمعرفة وخدمة الناس.. أما إذا انقلب الوضع وأصبحت لذات الجسد العابرة.. ونزوات الغريزة.. مفضلة على هذه الأغراض السامية فإن الإنسان يفقد إنسانيته وينقلب حيوانًا.. والنظام الاجتماعى كله ينهار من أساسه..

والزواج ليس مجرد ورقة كما تقولين.. الزواج تنظيم اجتماعى للغرائز حتى يكون لكل ابن يولد أب مسئول عنه.. وحتى لا تتحول العلاقات الجنسية إلى فوضى بلا رابط.. وتختلط الأحساب والأنساب.. ولا يعرف الابن أباه..

والواقع أن الإنسان حينما يضبط رغبته ويكبح شهوته.. فإنه لا يمكن أن يقال إنه يكبت طبيعته.. فإنه فى الحقيقة يخرس صوت الغريزة.. ولكنه فى نفس الوقت يطلق صوت العقل.. وهو يشد اللجام على الحيوان الهائج فى نفسه ولكنه يطلق العنان للوجدان والعاطفة والفكر.

ولا يمكن أن يقال فى أمر طبيعتنا إنها مجرد رغبات حيوانية. فإن العقل أيضًا من طبيعتنا.. والعاطفة والوجدان والروح.. هى صميمنا.. وهى أكثر أصالة فى طبيعتنا من نزوة الجنس وصرخة الحيوان الجائع.

أما حكاية تلامس الشفتين فى القبلة وتلامس اليدين فى المصافحة.. فهى مغالطة واضحة.. ولن أحاول أن أناقشها.. فأنت تعرفين جيدًا الفرق بين ما تفعله القبلة وبين ما تفعله المصافحة ومفيش داعى نكذب على بعض.

أما حكايتك مع صاحبك.. فهى حكاية يجب أن تنتهى.. فأنت باعترافك لا تحبينه وهو لا يحبك.. فالعلاقة إذن علاقة حيوانية لإشباع نزوات عارضة.. وهى علاقة تخلو من عنصر الصدق.. علاقة يهين كل منكما فيها جسمه.. ويهين نفسه.. وهى لهذا يجب أن تتوقف.. لا بسبب الدين وحده. ولا خوفًا من جهنم ولكن بدافع من الإنسانية ومن احترام كل منكما لجسمه ونفسه أيضا.

عريان أفندى

أنا شاب فى العشرين.. مازلت إلى الآن طالبًا بالثانوية العامة.. مظهرى محترم ومؤدب جدًا.. من يعرفنى لأول مرة يقول عنى أنى خجول وطيب ومهذب.. وهذه فى الحقيقة هى المعاملات الظاهرة التى أبدو بها أمام الناس.. ولكن فى الخفاء حينما انفرد بنفسى فى غرفتى أتحول إلى شخص آخر تمامًا.. ما أكاد أجد نفسى وحدى حتى أغلق باب الغرفة وأحكم إغلاقه.. ثم أفتح الشباك المطل على الجيران.. وأتجرد من ثيابى.. وأروح أتمشى فى الغرفة وأنا عريان.. وأشعر بالسرور إذا أحسست أن هناك امرأة تلمحنى حتى ولو كانت خادمة.

يحدث أحيانًا أن تبصق علىّ المرأة التى ترانى على هذه الحال.. وأحيانًا تبتسم..

وحدث أن أنشأت علاقات بهذه الطريقة.. وهى طبعًا علاقات قذرة مع خادمات ونساء ساقطات..

والمشكلة أن هذه العادة اللعينة تتحكم فى سلوكى وتستعبدنى تمامًا وتأمرنى فأطيعها وكأنى عبد.. لا أستطيع لها دفعًا. ومهما

لاقيت من احتقار وازدراء واشمئزاز لا أكف عن التمادى فيها..

والغريب أنى فى أثناء وجودى فى مجتمع أتصرف بأدب وخجل شديدين وكأنى شخص آخر.

حدث أن كانت لى علاقات بفتيات محترمات تعرفت بهن فى أماكن عامة.. وكنت أدعوهن إلى نزهة على النيل أو إلى سينما..

ولكنى كنت دائمًا أخسرهن فى النهاية.. بسبب مسلكى الشاذ فى السينمات.. فى اللحظة التى ينطفئ فيها النور ويسود الظلام.. كان يركبنى ذلك الشيطان.. فأتصرف بدناءة.. وقذارة وتكون النهاية..

وأنا لا أفعل هذه الأشياء بشقاوة.. ولكنى أفعلها وأنا مغلوب على أمرى.. وأنا أشعر بتعاسة لا حد لها..

أنا مريض.. أنا أعلم أنى مريض..

وأنا فى دراستى أرسب على الدوام.. وخائب خيبة لا حد لها وفى أعماقى أحتقر نفسى.. وأشعر أنى ملوث.. ولكن ماذا أفعل هل هناك حل لرجل مثلى.

* * *

حالتك يسميها فرويد «عقدة الاستعراض»..

وفرويد يقول إننا كلنا ونحن أطفال نحب أن نتعرى ونخبط على جسمنا العارى ونلهو به.. ولكن هذه الرغبة تتطور إلى الحالة الطبيعية السوية عند البلوغ فلا نعود نلتمس لذتنا بهذا

الأسلوب الطفلى. وإنما نتجه إلى الجنس الآخر بالغريزة الطبيعية التى توجهنا إلى الحب والزواج.

ولكن الجمود عند المرحلة الطفلية قد يحدث لسبب أو لآخر بسبب ظرف تربوى شاذ أوحادث فى أثناء الطفولة.. فتنشأ عقدة الاستعراض.. وتستمر هذه الرغبة الشاذة فى العرى فى سنوات البلوغ وبعده..

والعلاج فى هذه الحالة يحتاج إلى تحليل نفسانى وإلى استكشاف سنوات الطفولة الأولى وما حدث فيها عن طريق الأحلام والتذكر وهذا يحتاج إلى طبيب نفسانى محترف.

عقدة التفوق

أنا فتاة أبلغ من العمر الثالثة والعشرين طالبة فى كلية الطب. متوسطة الجمال.. ظريفة محبوبة.. منذ السنة الأولى وأنا أزامل طالبًا.. وأحبه ويحبنى..

كنا نقضى طول الوقت بالكلية معًا.. ونذهب معًا إلى النادى والملاعب.. ونقضى آخر الأسبوع فى السينما أو فى الحدائق.. ونتحدث فى آمالنا ومستقبلنا، ونرسم الخطط للسنوات القادمة.

وتعاهدنا على الزواج بعد التخرج.

قال لى إنه لا يريد أن يأخذ مليمًا من أبيه.. وإنه لا يريد أن يتزوج وهو يعيش عالة على غيره..

وهكذا كان انتظارنا طبيعيًّا..

ولكن حدثت المفاجأة..

فى الإجازة الصيفية من العام الأول.. ونحن نعلق الآمال.. ونحلم بالسفر إلى الإسكندرية وقضاء أيام جميلة على الشاطئ، والاشتراك فى رحلة الكلية إلى سوريا.. تغير فجأة..

فجأة.. وبدون سبب واضح.. اختفى تمامًا بعد إعلان نتيجة الامتحان.. وفشلت كل محاولاتى للعثور عليه.

وعلمت أنه رسب فى الامتحان.. وأنى نجحت.. ولكنى لم أستطع أن أربط بين هذا الرسوب وبين اختفائه من حياتى..

إن الامتحانات حظوظ.. وليس فى رسوبه ما يخجله أو ما يغضبنى.. وما ذنب حبنا..

إن حبنا أبقى وأعظم من أى نجاح أو فشل فى امتحان أو غيره وأنا أحبه مهما حدث..

وتعذبت شهورًا.. وأنا أفكر.. وأتساءل.. ثم كتبت له خطابًا طويلًا ألومه.. وأعتب عليه.. وأذرف الدموع من أجل حبنا.. وأستحلفه بالأيام الجميلة أن يعود إلىّ..

وعاد إلىّ.. وتقابلنا.. ولكنه كان ساهمًا شاردًا متجهمًا لم يكن طليقًا بشوشًا مرحًا كعادته.. وحاولت المستحيل لكى أعيد إليه مرحه.. وحاولت أن أفهم سر عذابه.. ولكنه لم ينبس بحرف.. وكان يقول دائمًا حينما أشير إلى أمر رسوبه.. أن هذا أمر تافه.. وأنه ليس بالرجل الذى يفقد روحه من أول خذلان.

ما هو إذن السر فى وجومه.. لا أعرف.

وتكرر رسوبه.. وتكرر اختفاؤه.. وتكرر نجاحى فى نفس الوقت.. وتكررت محاولاتى للمحافظة عليه واسترجاعه..

والآن أنا فى امتحان التخرج الأخير.. وهو مازال فى السنة الأولى يتعثر فى كتب التشريح..

وبعد شهور أكون قد أصبحت طبيبة.. وأكون فى الظروف التى تسمح لى بمعاونته ماليا.. والإنفاق عليه.. والزواج به برغم كل شيء.

وأنا أحبه..

ومسألة رسوبه لا تهمنى.

أريده بأى ثمن.. وهو يتهرب منى وينكمش فى نفسه أكثر وأكثر، ويقابل عاطفتى المتأججة بالبرود..

وأنا أبكى حزنًا عليه.. وحزنًا على نفسى..

ماذ أفعل لأسترجعه وأسترجع حبه.. وأتزوجه..

ماذ أفعل؟ ساعدنى..

* * *

ساعديه أنت واتركيه فى حاله. ولا تحطميه أكثر مما حطمته.

إنك لا تفهمين عقلية الرجل أبدًا..

إن الرجل ورث تقليدًا عن آبائه وأجداده.. إنه قوام على المرأة.. ووصى عليها.. ومشرف على بيتها وحياتها.. ومتفوق عليها بحكم كونه رجلا..

وهذه التقاليد والأعراف فى دمنا.. مهما تكلمنا عن المساواة..

إن عمرها خمسة آلاف سنة..

منذ أيام الفراعنة والملوك رجال والأنبياء رجال والعباقرة رجال.. وحتى هذه اللحظة تجدين فى جمهورية مصر العربية ثلاثين ملحنًا كلهم من الرجال.. مع أن فن التلحين لا يحتاج إلى عضلات.. ولا إلى رجولة.. إنه مجرد تفوق فى شيء..

ونحن ورثنا التفوق فى الواقع وفى التاريخ وفى الماضى القريب والماضى البعيد..

والكلام عن المساواة لايزيد عمره عن سنوات..

ونحن نردد كلام المساواة ولكن التاريخ أقوى منا.. لأنه بعيد قديم طويل ضارب بجذوره فينا..

ماذا نفعل.. لابد أن نتفوق لنشعر أننا طبيعيون.. وأننا رجال.. نثق فى أنفسنا..

إن رسوب زميلك.. ونجاحك باستمرار. شيء فظيع لا يمكن أن تتصورى أثره لأنك لست رجلا.

وزواجك به على أساس الانفاق عليه.. سوف يزيد مشكلته تعقيدًا، ويفقده الثقة بنفسه أكثر وأكثر.

لا يوجد حل.. إن الواقع قد تراكم ضدك..

إن الزوجة المتفوقة الذكية تدعى دائمًا أنها غير متفوقة قليلة

الحيلة وعاجزة وفى حاجة إلى نصيحة رجلها لتكسبه.. وتكسب حبه..

فلاتضيعى حياته واتركيه لحاله.

عاشق النار

بدأت مشكلتى منذ المراهقة بطوفان من المشاعر الضارية.. تدفعنى دفعًا نحو المرأة.

شلال مكتسح من الرغبة العارمة الملتهبة..

وبركان انفجر فى جسمى كله فاشتعل وكأنه الحطب تأكله النار.

منظر ساق عارية يحرمنى من النوم ليالى..

صوت امرأة فى تليفون يجعلنى أندفع فى سلسلة من الخيالات البهيمية وأنسى نفسى.

حذاء حريمى..

أفيش سينما على حائط فيه قبلة..

شبح امرأة خلف شيش نافذة..

خيال.. مجرد خيال فى ذهنى عن فتاة..

حكاية غرام يرويها راوية أمامى..

أمثال هذه المغريات البسيطة كانت بالنسبة لى كوخزات

السكاكين توقظ فى جسدى حيوانًا أعمى مجنونًا لا سبيل إلى كبح جماحه..

كنت أعلم أن ما بى هو مرض.. وأن المسألة ليست مجرد غريزة أو شهوة عارضة مما تنتاب الشباب فى سنى.. ولكن ما حيلتى وقد ولدت بهذا الداء الوبيل.

وتستطيع أن تتخيل ماذا كان يصور لى خيالى المحموم من قصص وحكايات كلما فتحت النافذة ورأيت بنت الجيران.

وطبعًا لم يكن يتجاوز الأمر مرحلة التصور والخيال أبدًا.. فأنا دائمًا فى اللحظة الحرجة وحينما أواجه فتاة أتحول إلى طفل مرتبك سابح فى عرقه يتهته ويفأفئ بلا انقطاع.

كل هذا البركان كان يغلفه خجل وكسوف وخوف.

والنتيجة عذاب متصل وأحلام يقظة لا تنتهى.

كانت المذاكرة بالنسبة لى صداعًا وأوجاعًا وعذابًا مقيمًا.. فالتركيز الذهنى فى أغلب الأوقات مستحيل والصفحة المفتوحة من كتاب الجبر كانت تتحول بقدرة قادر إلى عرايا يرقصن على الرموز والمعادلات، والأقواس.. وقصيدة الشعر تتحول إلى تأوهات..

وكنت أفتح الصفحة وأظل جامدًا أمامها مثل التمثال طول الليل..

وكنت أحتاج فى آخر السنة إلى بذل إرادة رهيبة وإلى الوقوف

تحت الدش كل نصف ساعة فى محاولة يائسة لأفيق وأنعش ذهنى وأطفئ النيران الملتهبة فى جوفى.

وتستطيع أن تتخيل أى مجهود احتجت إليه وأى صراع صارعته لكى أنجح فى الثانوية وأدخل كلية الهندسة.

وفى كلية الهندسة التقيت لأول مرة ببنات.. بنات فى الواقع. ولسن بنات أفكارى.. فأنا فى المدرج أجلس إلى جوار فتاة وكتفى فى كتفها.. وفى المعمل إلى جانبى فتاة نشترك معًا فى تجربة.

ولكن الخجل ظل هو نفس الخجل والخوف نفس الخوف.. بينما اشتعلت الرغبة أكثر وأكثر..

وبدأت أطفئ هذه الرغبة بكتابة القصص. أكتبها ثم أمزقها.. ثم بدأت أكتب مقالات وبحوثًا طويلة فى العلاقات بين الشباب والفتيات.

ثم بدأت أقرأ التاريخ وتطور العلاقات بين المرأة والرجل تاريخيًا ونشأة نظام الأسرة وتفاصيل ما كان يجرى فى عصور الفوضى والشيوعية الجنسية.. أقرأ وألخص وأكتب وأمزق.. كل يوم لى جلسة طويلة أمام الكتب لأطفئ فضولى الفظيع بالقراءة والكتابة.

وكنت أكتب أحيانًا خطابات فى عشرات الصفحات لحبيبات خياليات لا وجود لهن.. وأحيانًا كنت أرد على هذه الخطابات بالنيابة عن هؤلاء الحبيبات.

فى هذا الجو المحترق بالكبت.. الملتهب بالرغبة كنت أجاهد نفسى فى مشقة هائلة لأبدو فى الصباح وأمام الطالبات زميلا مؤدبًا مهذبًا.. وفى الواقع كانت كل تصرفاتى فى الظاهر تدل على إنسان حسن السيرة طيب الخلق.. وكانت لى سمعة بين الزملاء بأنى إنسان وديع طيب مؤدب.

ولكن فى حقيقة الأمر كان خيالى دائمًا يشتعل بالرغبات الخسيسة والأمانى الوضيعة.. كنت أنظر أحيانًا إلى فتاة بجوارى بجانب عينى فى وجل وأنا أتمنى أن أركع عند قدميها.. وأعبدها حبًا..

وعندما كنت أسمع فتاتان تتهامسان كنت أتخيل على الفور أنهما تتهامسان عنى.. وأنهما تسخران بى.. وكان الدم يغلى فى رأسى وأتمنى لو أحرقتهما حيتين.

ودائمًا كانت خيالاتى ومازالت ممزوجة بالنار.. فأنا أعبد كل فتاة حبًا ثم أنا فى النهاية أرغب فى الخلاص منها بحرقها.. فهى لا تلتفت إلىّ ولا تشعر بى ولا سبيل إلى امتلاكها.

ومن فرط حبى للنار أحتفظ على مكتبى بشمعة.. أشعلها وأتفرج عليها وهى تذوب ولهبها يرتفع وفتيلها يستطيل.. ثم وهى تتساقط دموعًا.. ياله من منظر رائع.

وأحيانا أحرق الأوراق مدعيًا أنها أوراق قديمة.. وأنا فى

الحقيقة أرغب فى الاستمتاع برؤية النار وهى تأكلها وتحيلها رمادًا وهباء..

وأحس فى تلك اللحظات أنى قد فهمت السبب الذى أحرق من أجله نيرون روما.

ولا أحد يعلم إلى الآن سر غرامى بوضع الشموع على مكتبى فأنا فى العادة أقول لهم فى البيت إنى أضعها احتياطًا بسبب انقطاع الكهرباء.

ولاأحد يدرى بهذه المتعة الخبيثة التى أشعر بها وأنا أشاهد شيئًا يحترق.. وأنا أخاف الظلام.. وأرهب سواد الليل ومواته.

وأحب ساعة الفجر حينما أقف فى الفرندة وأشعر أنى الوحيد المتيقظ فى تلك الساعة وأن الدنيا كلها ملكى.. أنا الوحيد الذى يراها ويرى جمالها.

كانت رحلة حياتى رحلة صراع ومعاناة طويلة.

وأخشى أن تتفاقم هذه الرغبات الشاذة والخيالات المنحرفة فتجرفنى يومًا ما إلى حافة الجريمة أو الجنون.

ولا أعرف ماذا أفعل..

* * *

لقد صارعت نفسك إلى الآن ببطولة وكفاءة منقطعة النظير فأنت برغم تشتتك الذهنى، ومراهقتك المضنية نجحت فى الشهادة

الثانوية بمجموع ودخلت الهندسة.. ولم تحاول إطفاء عطشك
بعلاقة طائشة أو ليلة رخيصة.. وهدتك نظرتك إلى وسيلة ناجحة
تطفئ بها انفعالك بالكتابة والقراءة.. محاولة بدائية للخلاص
بالفن.

ومازلت برغم كل شيء سيد نفسك وقابضًا بيد من حديد على
شهواتك وغرائزك وهذا انتصار.

وارتياحك للنار رد فعل النار الداخلية التى تأكلك.

وأعتقد أنك بمزاولة الرياضة العنيفة كالسباحة والتجديف
والجرى والمصارعة والكرة سوف تجد مصرفًا آخر لهذه الحيوية
الدفينة التى تغلى فى دمائك..

وبهذا تستطيع أن تكمل باقى الرحلة فى أمان حتى تواتيك
الظروف المناسبة للزواج.

والحياة المختلطة فى المجتمع والنادى والبيت والكلية هى رئة
لابد منها.. ولا يجب أن تلوذ بالعزلة والوحدة وتغلق عليك باب
غرفتك.. فمشاعر الصداقة والأخوة والألفة والمحبة تهذب
الحيوانات الكامنة فينا.

وفى النهاية ليس مرضك عضالا فالزواج سوف يشفيك منه إلى
درجة الشبع والملل.. ويومها سوف تتعجب كيف كنت تفكر بهذه
العقلية والجنون فى مسائل لا تستحق كل هذا الاشتهاء الملتاث..

ويومها سوف تدرك أن الخيال والفضول.. هما اللذان تآمرا

عليك وضخما اللذائذ لعقلك المشتت.. وأن الممنوع والمحبوب
والمحظور والمستور والمجهول.. كانت كلها تعويذة اللعنة التى
غلت عنقك طوال هذا العمر.

وفى الغابة أذكر أنى صادقت قبائل تعيش على الفطرة..
أفرادها عرايا حتى من ورقة التوت.. ومع ذلك يمر على الرجل
أكثر من الشهر لا يباشر امرأة ويهجر الزوج زوجته سنتين بعد
الحمل لايقربها ولا يباشرها.

وهذا شأن أكبر اللذات حينما تسقط عنها جميع الأقنعة.

حكاية الحب الأول

نحن روح واحدة فى ثلاثة أشخاص.. أنا وهو وهى.

صديقان هى ثالثتنا.. تعارفنا.. وكنا نتزاور منذ الصغر. ونلعب معًا.. ونخرج معًا..

كنا نقول لها أسرارنا ونشكو لها متاعبنا.. وكانت هى تحكى لنا حياتها وتشكو لنا زوجة أبيها القاسية.. وكيف تطهو وتغسل وتكنس الشقة وحدها.. وتبكى بالليل دون أن يشعر بها أحد..

وكانت جميلة وطيبة..

وكبرنا.. وكبرت معنا.. وكبرت معنا آلامنا.. وكنا نتكلم فى كل شىء إلا الشىء الوحيد الذى يؤرقنا.. حبنا.

كنت أحبها ولم يكن يشغلنى غير شعور واحد هو حبى لها. ولكنى لم أكن أجد القوة لأصرح بهذا الحب.. كنت أخجل منها ومن صديقى، وكنت أسمى هذا الحب صداقة لاخدع نفسى..

ولكنى لم أستطع أن أستمر فى الكتمان.. وراودتنى نفسى أن أرسل لها خطابًا أشرح لها فيه ما أعانيه من الوجد وكتبت

الخطاب ودسسته فى يدها.. ومرت أيام وأنا لا أقابلها وأتجنبها من الخجل والخوف والإحساس بالذنب.. ولكنها سعت إلىّ بنفسها وجاءتنى وهى تبتسم وفى يدها رد على خطابى.

وكان ردًا حارًا اعترفت فيه أنها تبادلنى الحب.. وليلتها بت طول الليل مسهدًا أتقلب على جنبى من الفرح..

واستمرت بيننا الخطابات أكثر من سنة.

وفى أحد الأيام لم أستطع أن أكتم السر عن صديقى صارحته بالحقيقة وحدثته عن حكاية الخطابات المتبادلة.. وهنا كانت المفاجأة فقد نظر إلىّ فى دهشة واستنكار.. ثم دخل غرفته وأخرج حزمة من الخطابات من درج مكتبه.. وكلها بخطها وكلها تذوب حبًا ووجدًا وهيامًا.. وبعض العبارات مكررة فى كلامها.. عبارات مثل:

أنظر إلى نجوم الليل فأتذكر سواد عينيك الجميلتين.. القمر مضىء مثل ابتسامتك..

وبعض العبارات منقولة من خطاباتى لها.. ومن تغزلى فيها.

وألجمتنا الصدمة ولبثنا ننظر إلى بعض فى ذهول..

كان من الواضح أننا ضحية مهزلة مثلتها علينا نحن الاثنين.. وأننا نبكى ونسهر ونتعذب على لا شىء.. على كلام فاضى.

وذهبنا إليها لنلقى فى وجهها بالحقيقة.. فبكت واعترفت.. وقالت إنها تحبنا نحن الاثنين.. وأن حبها لنا ينمو معها منذ

الصغر.. وأن كل واحد فينا صورة من الآخر.. لا تستطيع أن تفضل أحدًا ولا أن تختار أحدا.. ولا أن تستغنى عن أحد.. هذه هى الحقيقة.. وليظن كل منكما ما تشاء له ظنونه.. ولكنى أحبكما.. وهذا حبى الأول والوحيد.

والمهم الآن أننا نحبها.. بالرغم من هذه الخدعة.

وأنا لا أدرى ماذا يدور فى قلب صديقى.. ولكنى أعلم بما يدور فى قلبى.. وأعلم أنى أحبها أعبدها.. وأنى أغتفر لها كل ما تفعل.. وأن حبى لها سيكون حبى الأول والأخير فى الدنيا..

وحلمى الوحيد أن أتزوجها.. وأعيش معها..

ما رأيك ؟..

✽ ✽ ✽

لو أن الظروف جمعتكما مع أية فتاة أخرى لوقعتما فى شراك حبها تمامًا كما حدث مع هذه الفتاة.. وهذه دائمًا حكاية الحب الأول فى كل مكان.. خطابات وسهر ودموع ووعود بالإخلاص وخيبة أمل.. مع أية فتاة تلقى بها المصادفة..

وحكايات الحب الأول مادة جيدة للذكرى.. ولكنها لا تصلح لتكون مادة حياة وزواج.

إنها الحرارة التى تبثها المراهقة. واللهب الذى يبثه الشباب حوله فى كل مكان..

احتفظ بالخطابات.. لتقرأها حينما تكبر.. واحتفظ بالقصة كلها فى الدرج معها..

إنها الآن تثير دموعك.. ولكنها غدًا لن تثير فيك إلا ابتسامة لطيفة..

الحنان

أنا مازلت صغيرة.. اعذرنى فى أسلوبى الضعيف، إنى أشعر بالحب نحو كل الناس ونحو أصدقائى، وهم يحبوننى ويبادلوننى الإخلاص والتضحية.. وأخى كان مثلى وهو صغير، ولكنه فقد الكثير من إخلاصه وحنانه حينما كبر وأصبح جافًا جامدًا. لا يؤمن بالعواطف.

وأبى وأمى أكثر منه جفافًا.. وأقل منه إيمانًا بالحب.. وهم يقولون لى إن كل شىء فى الدنيا مصلحة.. وإن كل واحد فى الدنيا يجرى خلف منفعته.

والغريب أن حكايات أمى وهى صغيرة تدل على أنها كانت عاطفية تؤمن بالحب والإخلاص مثلى.

ماذا يحدث للإنسان حينما يكبر ليفقد حنانه وحبه وإيمانه بالإنسانية.

لماذا يصبح الناس أنانيين حينما يكبرون وما السبب؟

هل هى الظروف؟

من تجاربى البسيطة أميل إلى أن السبب هو عدم كفاية الحب والحنان الذى تبذله الناس فى هذه الدنيا.

أنا مثلا.. عندما أظهرت لأبى - الذى كنت أظنه عصبيًا قاسيًا - حنانى.. وأبديت له حبى بدلا من خوفى.. وجدته يتحول إلى إنسان رقيق غاية فى الرقة.. ورأيته يفعل المستحيل ليحقق لى رغباتى.. ولاحظت أنه بدأ يضبط أعصابه حتى لا يبدو أمامى قاسيًا.

وكذلك أمى لما حاولت أن أتفاهم معها بدلا من العناد، وجدتها تحاول أن تفهمنى وتسمح لى بكثير من الحريات.

وعندما أعددت العشاء لإخوتى الساهرين فى الخارج وكتبت لهم تحية المساء على ورقة.. طبعوا على خدى قبلة وأنا نائمة.. وفى الصباح لم يتعاركوا على المصروف.

ما رأيك.. أليست المشكلة كلها هى مشكلة حاجتنا إلى الحب.. أم أنى صغيرة كما تقول أمى.. ولا أفهم فى الدنيا.

* * *

أنت لست صغيرة أبدًا.. ربما كنت صغيرة فى السن.. ولكنك كبيرة فى القلب والعقل.. أكبر منا كلنا.

لقد استطعت بفطرتك الصافية أن تدركى سرًا كبيرًا من أسرار الدنيا.

إن الإنسان يبدأ حياته.. يتدفق بالحب والحنان والتفاؤل والثقة.. ثم يجف هذا النبع العاطفى فى قلبه كلما كبر.. ويتحول مع الزمن إلى عجوز أنانى بخيل لا يحس إلا مصلحته ولا يجرى إلا خلف منفعته.

والسبب أن أحلامه الصغيرة وعواطفه الصافية تصطدم مرة بعد مرة بما يخيب أمله.. ويزلزل ثقته فى الدنيا وفى الناس.

حبيبته تهجره وزوجته تكذب عليه.. وصديقه يستغله ولا يجد فى قلبه رصيدًا يغطى هذا الفشل.. ويحفظ له ابتسامته وتفاؤله فيفقد النضارة ويجف ويقسو.. ويتحول سخطه إلى سخط على الدنيا كلها.

والسبب كما قلت أنت.. إنه لم يجد كفايته من الحنان.. لم يجده فى الدنيا.. ولم يجده فى قلبه.. فأفلس.

والدليل على هذا أن القلب الكبير لا يحدث له هذا الجفاف مهما كبر وشاخ لأنه يجد فى نفسه القدرة على بذل الحنان دائمًا مهما حدث له.. ومهما تلقى من صدمات.

وبهذه القوة وحدها يسترد حب الناس الذى فقده.. ويسترد ثقته فى الدنيا..

وهذا هو ما حدث لك مع أبيك وأمك.

إن مشكلتنا جميعًا هى كما تقولين فى خطابك.. حاجتنا إلى الحب..

إن اعترافك الصغير البسيط هو أجمل وأصدق ما قرأت منذ بدأت فى كتابة هذا الباب.

تحضير الأرواح

بدأت مشكلتى حينما بدأت أحضر الأرواح عن طريق السلة. وكان نتيجة لتحضيرى هذا أننى أصبحت اثنين فى شخص واحد. فقد تقمصتنى روح من الأرواح تدعى نعيمة.. وسيطرت هذه الروح على تفكيرى لدرجة أنى أصبحت أعلم كل شىء عن نفسى وعن بقية الأشخاص الذين أتعامل معهم دون سؤالهم.. وأصبحت عندى القدرة على التنبؤ عن أشياء كثيرة دون أن أراها.

ودامت علاقتى بهذه الروح لدرجة أنى عاشرتها معاشرة الأزواج.

وكنت أحس بأن تفكيرى قد بات مشلولا.. وما فائدة التفكير وأنا بإمكانى أن أتنبأ بكل شىء قبل وقوعه.. بالعمل الذى أعمله بالطعام الذى آكله.. بالخطوة التى أخطوها.. بكل شىء.. كل شىء.

وكان نتيجة هذا المس الروحى أن انهارت أعصابى وأشرفت على الانتحار والجنون.. وبحثت عن مساعدة فلم يصدقنى أحد

حتى المشرفين الاجتماعيين فى المدرسة ضحكوا علىّ.

وأخيرًا قادتنى ظروفى إلى جمعية روحية.. اشتركت فيها وأصبحت عضوا مريضا بها أعالج بالجلسات الروحية.

وتحسنت صحتى ولكنى لم أشف تمامًا.. وكنت أشعر حينما كنت أذهب هناك أنى لا أستطيع صعود السلم مهما بذلت من مجهود.

وانقطعت عن الذهاب.. وعدت طبيعيًا.

ولكن منذ شهر بدأت المناوشات بين هذه الروح وبينى من جديد.. والمشكلة أنها تسبب لى متاعب جسمانية لا علاج لها.. والآن وقد بلغت من العمر ٢٢ سنة وأنا بهذا الحال.. لا أستطيع أن أكاشف أحدًا بهذه المتاعب.. حتى لايتهمنى بالجنون.. ولا أعرف ماذا أفعل.

وأخشى أن تعود هذه الروح إلىّ وأرجو أن تمد لى يد المعونة.

* * *

أولا هذا كلام فارغ.

تحضير الأرواح بالسلة كلام فارغ.. وحكاية الروح التى اسمها نعيمة التى ركبتك وعاشرتها وعاشرتك معاشرة الأزواج وفتحت لك مغاليق الغيب.. فأصبحت مكشوف الحجاب.. كلام فارغ.. ولو كنت مكشوف الحجاب بصحيح لعرفت أسئلة الامتحان وعرفت الأجوبة، ولكان فى إمكانك أن تذهب إلى سباق الخيل لتلعب وتكسب مليون جنيه على كل الخيول

الرابحة.. ما دمت تعرفها مقدمًا.. ولرقصت فرحًا بهذا الزواج الروحى بالسنت نعيمة بتاعتك فهو زواج مريح جدًا لا يحتاج إلى إيجار شقة ولا إلى عفش، ولا مسئولية بيت وأكل وشرب وأولاد.. إنه لذة صرفة يا بلاش بدون تكاليف عليها بقشيش كمان هو الاطلاع على الغيب مجانًا.

انزل إلى الشارع وابحث عن ورق اليانصيب الرابح مادمت تعرفه مقدمًا.. واشتره.. واكسب ألف جنيه يوميًا.. ولا تبك على حظك ولا تذهب لجمعية روحية لتعالج نفسك.. وليه.. واحد يعالج نفسه من مرض هو الجنة بعينها.

لكن الحقيقة أن الحكاية كلها كلام فارغ.. وأوهام فى أوهام وخيالات أوهمت بها إلى نفسك وصدقت نفسك.. وإيمان ساذج رحت ضحيته.

وأؤكد لك أنك ستشفى تمامًا فى اللحظة التى تفقد فيها إيمانك بتلك الأرواح الخرافية.

وسوف تفقد إيمانك فى اللحظة التى تناقش فيها نفسك فى هدوء وثقة وبدون خوف.

وتأكد أنه لا شىء فى الدنيا يستحق أن يخاف منه الإنسان فالإنسان قد أثبت أنه مخيف أكثر من الشيطان نفسه.. فهو قد صنع القنبلة الذرية وطار فى صاروخ إلى القمر.. وركب كوكبًا دار به حول الأرض.

ومن الذى ركب الكوكب ودار به حول الأرض؟!

امرأة اسمها فالنتينا.

يا رجل عيب.. فوق لنفسك مش عيب نبقى فى عصر فالنتينا.. وأنت فى عصر نعيمة!.

عقب السيجارة

بدأت حياتى بزواج فاشل انتهى بخيانة زوجية وطلاق.. أعقبته سنوات من الوحدة والمرارة والخراب والأعصاب التالفة والأرق والمتاعب الجسمية والنفسية من كل نوع.

كنت أشكو الصداع المزمن وسوء الهضم وأدمن على المنومات والمسكنات.

وكان هناك ما يدمرنى أكثر من هذا المنغصات الجسدية.

هو الشك وسوء الظن وفقدان الثقة وفقدان الأمل واليأس من الدنيا.. ومن الوفاء.. ومن جنس النساء على إطلاقهن.

عشت سنوات وأنا بهذه الحالة النفسية.. أتحرك مذهولا شارداً كشبح.. أعيش فى عزلة مهما خالطت الناس ومهما غشيت المجتمعات كنت أشعر أنى منفصل عن الضحكات حولى.. منعزل عن القهقهات المرحة.. غائب فى نفسى، فى التيه المظلم فى داخلى.

ظللت على هذه الحال حتى عرفتها، كانت امرأة فى الأربعين مريضة عليلة ذابلة.. امتص حياتها ثلاثة أزواج لم يتركوا لها

سوى أثر باهت من جمالها وبقايا من جسد مرهق وبيت خرب.. لا طفل.. ولا طفلة.. ولا ذكرى.

قال لى خالى الطبيب الذى فحصها.. إنها لن تعيش أكثر من سنة.

وبدأ كل منا ينفض همومه إلى الآخر.

وتوثقت بيننا مع الزمن رابطة غريبة.. هى رابطة الألم.

كانت تقول لى.. وعيناها دامعتان.

ما نفعى.. لقد انتهيت.. لم يعد هناك رجل يمكن أن ينظر إلىّ.

ولكنى كنت أنظر إليها وأحتضنها بعينى وقد ذابت شكوكى على وقع كلماتها.

أخيرًا.. أحسست أنى أثق فى امرأة من جديد.

كيف حدث هذا.. لست أدرى!

وتطورت الأمور بسرعة.. وعرضت عليها الزواج.

وثارت العائلة.. وواجهنى الكل بزوبعة من الصراخ والاحتجاج.

كيف تتزوج من هذه العجوز العليلة الذابلة التى امتصها الرجال.. وأنت رجل فى الثلاثين فى كمال رجولتك وصحتك.. غنى جميل جذاب.. لا ينقصك شىء.

إنك تلتقط عقب سيجارة دخنها الكل. ولم تعد تصلح لشىء وأنها مقضى عليها بالموت لا محالة.. فزاد هذا تمسكى بها.

وأنا الآن أستعد لإتمام الزواج فى الأيام القادمة.

سوف أتزوجها مهما حدث.

الكل ضدى.. الكل يخذلوننى.. ولكنى أحبها ما رأيك فى هذا الحب.

* * *

أخشى أن أقول لك إن هذا ليس حبًا كما تتصور.. إنه مرضك العصبى الذى وجد دواءه فى هذه المرأة.. إن مشكلتك الحقيقية أنك فقدت الثقة فى كل النساء.. وأصبح ظل الخيانة يحوم حول كل امرأة تنظر إليها.

ولهذا استحال أن يتجدد حبك.

ولهذا ظللت تعيش فى وحدة وضياع حتى عثرت على هذه المرأة.

امرأة انتهت على حد تعبيرها هى.. ولم يعد لها نفع.. ولم يعد من الممكن أن ينظر إليها رجل. كانت هذه الكلمات كقطرات الندى التى نزلت على أعصابك.

ها هى ذى امرأة لا يمكن أن تكون موضع شك.. ولا موضع خيانة.

وشعرت بالراحة.. فى أعماقك.. وفى أعماق عقلك الباطن.. وحينما قال لك خالك الطبيب.. إنها ميتة.. ولن تعيش أكثر من

سنة.. شعرت بالاطمئنان أكثر فسوف تتزوج جثة لا يمكن أن تخونك أبدًا.

كانت هذه الأحاسيس تخالجك من الباطن وكان عقلك الواعى يخدعك ويصور لك هذه الأحاسيس والروابط على أنها حب.

ولكنها ليست حبًا.. إنها عقابك لنفسك.. وسوء ظنك الذى تحكم فيك.. ثم حكم عليك بهذا الاختيار المريض.

انظر إلى حياتك من جديد.. وحاول أن تتخلص من هذه العقدة واترك المريضة لحالها.. وابحث عن امرأة تناسبك.

إن الدنيا مليئة بالبنات.. وبالإخلاص والحب والخير.

أحب العيب وأحلم بالعيب

ترددت كثيرًا قبل أن أكتب لك هذا الخطاب ومزقته وأعدت كتابته أكثر من مرة.

وصليت ركعتين لله ليلقى منك الاهتمام فلا تلقه فى سلة المهملات.

وأعرفك بنفسى أولا.. أنا طالبة بالثانوية العامة.. شكلى عادى، ولكن كل من يعرفنى يقول عنى أننى شيك وجذابة.

أخواتى كلهن أصبحن عرائس فى بيوتهن وماما وبابا كبار فى السن.

كل ما أطلبه فى البيت أجده.. ولى حرية فى الخروج كما أريد وهنا المشكلة، فأنا من صغرى نشأت على هذه الحرية وعلى الاختلاط بأولاد العائلة وكنت دائمًا مثال الأدب.. ليس هذا شكرا فى نفسى ولكنها الحقيقة.

ولكن لا أخفى عنك.

منذ سنوات.. ومنذ بدأ البلوغ يخلق منى الأنثى الكاملة وأنا فى صراع.

لم أعد أنعم بالهدوء والبساطة التى كنت أنعم بها وأنا طفلة.

أجلس بين زميلاتى فى المدرسة، وكل واحدة تحكى أن لها صاحبًا تقابله من وراء أهلها.. والبعض يخرجن من البيوت بمريلة المدرسة وتحتها فستان مينى جيب ويخلعن المريلة فى أول تاكسى وينطلقن إلى لقاء الحبيب الموعود فى الجبلاية أو السينما أو الشقق الخاصة.

ونتجمع نحن البنات حول من تحكى عن تجاربها الأولى فى الحب، ونستمع بآذان مشتاقة لهفانة إلى أول قبلة وأول عناق.

ومن هؤلاء البنات من تفتح حقيبتها فنرى أوراقًا بعشرة جنيهات، وبالطبع نتبارى فى الشتم واللوم والتقريع لأمثال هؤلاء البنات ونقول عنهن: منحرفات ضائعات خاطئات.. ولكن ما يكاد ينفض السامر حتى تذهب كل واحدة منا وقد بدأت تنسج لنفسها وفى خيالها رواية طويلة عريضة وشريطًا من المغامرات والانحرافات المكروهة المحبوبة لتعيش عليها طوال يومها فى الفسحة وفى الطريق وفى البيت وهى تمسك بكتابها وفى البلكونة فى ضوء القمر، وفى آخر الليل فى الفراش حينما ينام كل البيت ولا تبقى إلا مخدتها لتسهر معها وتبللها بالدموع.

وفى كل منا يبدأ صراع بين الممنوع والواجب.. بين إغراء الجديد المثير.. وسيطرة التقاليد والدين ونصائح الوالدين..

وبالنسبة لمن تملك الحرية يصبح هذا الصراع عذابًا ممدودًا بطول الليل والنهار.

وبالنسبة لفتاة مثلى أشعر أنه من المستحيل علىّ تمامًا أن أقوم بأمثال هذه المغامرات.

ولكن مع ذلك، أنا لى مغامراتى.

منذ ثلاث سنوات وأنا فى الإعدادية كان هناك من يقف تحت شباكى.

كنت أراه فى الترام كل يوم وأنا ذاهبة إلى المدرسة وهو ذاهب إلى الكلية، وكنت أشعر بنظراته تتقافز على صدرى وتتجول فى شعرى المرسل مكان الضفائر التى قصصتها. ولم أكن أجد القدرة على رفع وجهى لأنظر فى وجهه.. وعلى البلاج فى الصيف كنت إذا رأيته يدق قلبى وينخلع من صدرى وأشعر به ينبض فى حلقى ويكاد يغشى علىّ من الاضطراب.. وكان يكلمنى فأموت خجلا ولا أستطيع أن أرد عليه.

وبالطبع انتهت هذه الحكاية الآن وانتهت هذه العواطف الطفولية الخرساء إلى لا شىء.

لم يعد صاحبنا يقف تحت الشباك، ولم يعد يحاول أن يكلمنى وانتهت الحكاية بالنسبة له وإن كانت لم تنته تمامًا بالنسبة لى.

وأحكى هذه الحكاية للبنات فيضحكن على سذاجتى.

وأسير الآن فى الشارع فتطاردنى المعاكسات وكلمات

الإعجاب، ولا أخفى عليك أنى أطرب كثيرًا لهذه المعاكسات وأننى لو توقفت لحظة مع ذلك الذى يعاكسنى بكلماته اللطيفة، لأنظر طويلا فى وجهه، مجرد نظر ثم يمضى كل منا إلى حاله.. وبالطبع أطرد مثل هذه الرغبة بسرعة وأسير فى طريقى.

وسوف تضحك علىّ إذا قلت إنى ما زلت أقف عند محطة سيدى جابر لأنظر إليها بعينين دامعتين.

كم أحببت هذه المحطة وما زلت أحبها.. حيث كان حبيبى القديم الذى لا أعرف حتى اسمه يلتقى بى ذاهبًا إلى كليته كل يوم.

وفى أحيان كثيرة أشعر بالثورة على نفسى لدرجة الرغبة فى تدمير نفسى تمامًا لأنطلق كما أشتهى بلا حواجز وبلا حوائل لأعيش كما تعيش البنات المنطلقات.. فى سنى.

وبين الثورة والعجز.. بين مد وجزر العواطف أتعذب.

وبين الخيال المستحيل والواقع المهذب المؤدب، أعيش وتعيش مثلى بنات كثيرات.. ولا أعرف ماذا أفعل.. أريد على الأقل أن أقتنع بحياتى وسلوكى وفضائلى.

أريد نصيحتك.

لا أريد المواعظ والحكم إياها فإنها لم تعد تؤثر فى.

ولا أريد أن أقتنع بأنى على حق فى طريق الحرمان الذى

اخترته لنفسى وإنى لم أحرم نفسى من شىء هو الحياة كما تقول البنات.

أريد أن أشعر أن الأدب والتهذيب والفضيلة لها ما يبررها فعلاً لا قولاً.

كلمنى كرجل عصرى ولا تقل لى حرام وحلال وعيب ومش أصول فأنا لن أكذب عليك.

أنا أحب العيب.

ونفسى فى العيب.

وخيالى كله يحلم بالعيب وينام فى العيب ويصحو فى العيب، وأريد أن أشعر أن هذا العيب هو بالفعل عيب وأنه ضد الحياة.. وليس الحياة كما تقول لنا الأغانى والأفلام التى تصور لنا كل يوم أن هذا العيب هو نعيم الحياة وبهجة الدنيا.

أريد أن أصحو من هذه الكذبة التى زينتها لنا الكتب الرخيصة، وموضة العصر التى تقول لنا كل يوم إن الحشيش هو الغذاء الصحى.

وكيف نفيق من غرزة الحشيش.. ونحن مغروزون فيها.

م. ع.
اسكندرية

***

لن أخاطبك بلغة الحرام والحلال.

وأكثر من هذا سوف أوافق معك ومع البنات إياهن على أن إشباع الشهوة ربما كان مسألة لذيذة لمدة الخمس دقائق.

ولكن الحياة ليست هى هذه الدقائق الخمس أبدًا، وليست أهداف الحياة وغاياتها هى هذا الإغماء العابر اللذيذ فى الفراش، وهذه الدقائق من المتعة العاجلة التى تعقبها الرغبة فى النوم، ثم لا شىء ولو أننا استهدفنا هذه الغايات فقط لظللنا قرودًا على الشجر وبهائم تسرح فى الغابات.. ولما اخترعنا الكتابة والقراءة والورق والبارود والصواريخ والراديو والتليفزيون والقطار والطائرة.

إن الإنسان الآن مشغول بالصعود إلى القمر والارتحال فى الفضاء إن الإنسان أعظم بكثير مما تتصور صاحباتك البنات المهفوفات. وبين إطلاق الشهوة بغير حدود وبين ضبطها.. بالإرادة والعقل يبدأ الإنسان.. إن الإنسان إنسان لأنه لم يترك شهواته تقوده، ولم يترك أهواءه وعواطفه تسيره وتحكمه، وإنما هو الذى قاد هذه الشهوات وحكم هذه الأهواء والعواطف.. وكان سيدها.

وما تظنيه حرية هو فى الحقيقة عبودية.

التى تخلع مريلة المدرسة لتلتقط أول تاكسى إلى شقة صاحبها حيث تخلع باقى ثيابها، هى إنسانة فقدت حريتها فلم تستطع أن

تقاوم رغبات حواسها العاجلة وأصبحت عبدة لها تجرها أعضاؤها التناسلية من شقة إلى شقة، أو تجرها أطماعها المادية، وهذا أسوأ، فجعلت من جسمها مادة للتجارة وهذه درجة من الاستعباد أبشع وأذل.

ولكن التى استطاعت أن تسكت صوت شهوتها لتستمع إلى صوت عواطفها هى امرأة أكثر حرية.. والتى استطاعت أن تتحكم فى عواطفها وتسكتها لتستمع إلى صوت عقلها وتتحكم فى جميع طاقاتها وتسودها وتقودها فى طريق تحقيق المعرفة والمحبة.. هى الإنسانة.. وهى مثل مدام كورى سوف تخترع وتكتشف الراديوم وتنقذ به ملايين المرضى وتغير به التاريخ وتؤثر فى الحضارة.

وفرق كبير بين القردة «شيتا» التى تهرش طول الوقت بين فخذيها وبين مدام كورى الإنسانة المستنيرة الجميلة فى إنسانيتها. والمسألة ليست مسألة حرام وحلال فقط وإنما مسألة جمال وقبح.

والله لم يحرم علينا إلا كل قبيح.

وليس أجمل فى الدنيا من مريلة المدرسة.. لأنها رمز للإنسان ورمز لقدرته على سيادة جميع الحوافز الحيوانية.. واختيار طريق الحرية الصحيح والإفلات من قبضة العبوديات الحيوانية الكثيرة التى ولد بها ليضع نفسه فى النهاية فى خدمة العلم والتقدم والحياة وليس فى خدمة هذا الهرش الجنسى الذى لا يدوم أكثر من خمس دقائق.

وليس معنى هذا أن نخنق الحب ونقتل نوازع أجسادنا إلى النهاية وإنما العكس.

نحن نفعل هذا لأننا نحترم الحب ونريد أن نجعل منه عاطفة دائمة ووسيلة إلى بناء أسرة واختيار زوج، والوصول إلى متعة طويلة الأجل لا قصيرة الأجل، ومحبة مستقرة لا شعلة غرامية تنطفئ فى أيام وتترك الندم والحسرة لباقى الحياة.

وواضح جدا أن معاكسات الشوارع والتردد على الشقق ليست هى الوسائل التى ينمو بها الحب ليؤدى إلى الزواج.. ولا سن المراهقة هى السن التى تؤتمن فيها العواطف على الاختيار الواعى السليم لشريك العمر.

ولا مفر من أن تكون مرحلة المراهقة هى مرحلة صراع.. لأنه من خلال هذا الصراع والمغالبة تنمو الإرادة وتتكون الشخصية ويولد الإنسان من الحيوان.. وتولد مدام كورى من القردة شيتا لابد من الحرمان.. لابد من المعاناة.

أما التى تخلع ثيابها عند أول زوبعة من زوابع المراهقة، والتى تلقى بنفسها بين ذراعى أول مراهق يعاكسها على محطة ترام وتظن أنها حرية، فإنها تخطئ الفهم.. فهى لا تمارس حرية.. وإنما القرد هو الذى يمارس فيها تجربته.. لقد هبطت بنفسها إلى مجرد أداة فاقدة للحرية والاختيار فى يد القرد الهائج داخلها.. وهى فاقدة للاختيار تماما.. فأى رجل يظهر فى شباك الجيران هو

روميو.. وأى ذكر يلقى عليها كلمة فى ترام هو الحبيب الموعود..
والهلوسة العاطفية التى يتبادلانها فى البداية هى أعذار ومبررات
ليصل كل منهما إلى حضن الآخر بطريقة ظاهرها محترم فيكذب
على نفسه ويكذب على رفيقه.. ولا يظهر كذب الاثنين إلا فجأة
وفى النهاية حينما يشبع القرد ويبدأ الملل بعد انتهاء الدقائق
اللذيذة.. يبدأ كل واحد يقفز إلى شجرة جديدة بحثاً عن دقائق
جديدة ينسى بها الخيبة التى أعقبت الدقائق القديمة.

والأخلاق ليست مجرد أوامر ونواه.. وليست قيوداً.. إنها
القيود التى يضعها الإنسان على مخالب الحيوان بداخله وليست
أبداً القيود التى يضعها على يديه الإنسانيتين.. وبهذه القيود تصبح
يداه أكثر حرية وانطلاقاً.

هل أنا واضح.

وهل بإمكانك الآن التفكير فى وضوح برغم غرزة الحشيش
وضباب الحشيش التى تعيشين مغروزة فيها أنت وغيرك من
البنات فى أغانى الإذاعات وأفلام التليفزيونات.

وما هى النظافة؟

كانت جارتى..

تبادلنا النظرات.. ثم الإشارات.. ثم تلاقينا.. لنتبادل الهمس
وليضغط كل منا على يد الآخر.. ثم ذهبنا إلى سينما وفى الظلام
وشوشت فى أذنها بكلمة الحب.. ولثمت يدها وخدها..

وبعد شهور اختليت بها فى بيتى وأعطتنى نفسها.. جسماً
وروحاً.. ومنذ أيام.. كنا نتكلم أنا وأبى وأمى.. ولاحظت أن أبى
وأمى يتبادلان النظرات والابتسامات.. ثم قالا لى إنهما خطبا لى
عروسة.. وذكرا لى اسمها..

ودار رأسى.. واظلمت الدنيا فى عينى.. فقد كانت هى نفسها..
جارتى.

وكان أبى وأمى يتكلمان فى براءة..

وكانا مسرورين.. وكانا يقولان إنها بنت طيبة وشريفة.. ومن
أصل طيب.. ومن المدرسة إلى البيت.. ومن البيت إلى المدرسة..
ولا تعرف مياعة بنات اليومين دول.. ولم تطلع عليها سمعة سيئة
مثل غيرها من بنات الجيران..

وكنت أسبح فى عرقى.

ولقد كنت الوحيد الذى يعلم أمر هذه البنت الشريفة الطيبة التى لا تعرف مياعة بنات اليوم.

كنت أنا الوحيد الذى أعرف مياعتها. ودلعها. وخسارتها.

ولأول مرة.. حينما بدأت أتصور أنها زوجتى.. أحسست أنى أكرهها.. بكل ما فى كلمة الكراهية من معنى.. ولا أطيق رؤيتها.

لقد كان حلمى.. طول حياتى.. أن أعثر على امرأة طاهرة.. أن أبنى بيتى على حب طاهر نظيف.

ترى.. هل فات الأوان.

* * *

كان يجب أن تكره نفسك أولاً.

وكان يجب أن تبحث عن الشىء النظيف فى داخلك أنت أولاً..

إنك باسم الحب استدرجت صاحبتك حتى اختليت بها.. ثم بصقت عليها.. واعتبرتها غير نظيفة.

غير نظيفة لماذا؟ لأنها صدقت كلامك.. وطاوعت رغبتك..

إن ما فعلته من نذالة هو درس مفيد لكل بنت تطاوع ضعفها وتستسلم لرجل.

سجن بدون قضبان

ترددت كثيرًا فى الكتابة إليك خوفًا من ألا تفهم موقفى.. وتتهمنى بأنى دلوعة.. ولكن هأنذا أجازف وأكتب لك كل شىء.

أنا شاب فى أوائل العقد الثالث من عمرى.. تخرجت من الجامعة من مدة ليست طويلة.. وحالتى المالية ميسورة ومظهرى حسن.. ولكن مشكلتى أنى أحس بفراغ رهيب مخيف، وعدم اهتمام بأى شىء فى الحياة مما يجعل أيامى وليالى غير محتملة.. فأنا أستيقظ من النوم حاملاً على كاهلى هم وعذاب، إنى سأعيش يومًا جديدًا كاملاً.. ٢٤ ساعة.. ولا أتصور كيف ستمر على كل هذه الساعات فليس لدى أى شىء اهتم بأن أشغل نفسى فيه وأكون سعيدًا بانشغالى به.. وإنما على العكس أنظر إلى كل شىء نظرة ازدراء وتجاهل وعدم اهتمام.. ولا أعرف كيف أفسر هذا الشعور المؤلم الذى قلب حياتى إلى جحيم لا يطاق ودفعنى للتفكير فى الانتحار.

لقد أحببت لأول مرة حبًا جارفًا ملأ على كيانى.. ولكن بالرغم من هذا.. وبالرغم من أنى كنت أغلى كالبركان من

الداخل.. لم يكن يظهر على شيء من هذا الشعور.. ولم أصارح حبيبتى بأى شيء.. وإنما كنت أقف لأحدثها بمنتهى البرود.

وكنت أعبدها.. وأعبد التراب الذى تمشى عليه.. وكان المكان الذى تذهب إليه هو عندى أحسن الأمكنة.. والساعة التى تحضر فيها أجمل الساعات.. وكنت أتمنى أن أذهب وراءها إلى أى مكان تذهب إليه.. وأجلس إليها طوال الوقت أستمع إليها وأتحدث معها وأنظر إليها، وكان قلبى يدق حينما أكلمها ولو فى التليفون.. وكان يكفى أن أرى فتاة تشبهها، حتى يهتز كيانى كله.

وبالرغم من هذا لم أظهر لها شيئًا.

وإذا بدا عليها أنها حزينة تحولت إلى أتعس إنسان فى الدنيا.. وأصبحت مهمومًا شاردًا وبالطبع لم ينته هذا الحب إلى شيء.. وتزوجت هى وأصبح حبى شيئًا مضحكًا ومزريًا بالنسبة لى.. فطويته فى جانب بعيد قصى من قلبى.. وانهمكت فى دراستى بالكلية لأنساها.. ومرت سنتان.

وانتهيت من الدراسة وحصلت على الشهادة التى أرى الآن مقدار تفاهتها.. وانتهيت إلى الحالة التى شرحتها لك.

تمر علىّ أيام.. لا أحس بأنى أرغب فى شيء.. لا أريد أن أقرأ أو أخرج أو أسمع موسيقى، أو أمارس أى هواية من هواياتى.. وإنما أظل ممددًا على سريرى لا تصدر منى حركة.. ويمر الوقت بطيئًا مملا ثقيلا وأنا كالبركان الثائر من الداخل.. كلى اشمئزاز

ونفور من حياتى بهذه الطريقة.

لم أعد أهتم بأصدقائى.. ولم أعد أهتم بالأشياء الجميلة التى كانت تسعدنى فيما مضى كالموسيقى والقراءة والسينما والنادى.

وهكذا أعيش وقد عدمت كل شيء حتى الذكريات.. فذكرياتى سخيفة تافهة وحاضرى فارغ ومستقبلى مظلم.

لا أظن أن لديك نصيحة أو حلا.. والحقيقة أنى لم أكتب منتظرًا أى حل.. وإنما أردت أن أريك بعض حالات الشقاء والتعاسة التى يمكن أن يعيش فيها الإنسان بالرغم من توفر الفرص والوسائل لديه ليكون سعيدًا.

* * *

إن شخصيتك غريبة،

إن فيك انطواءً يدفعك دائمًا إلى أن تمضغ انفعالاتك فى قلبك ولا تنطقها.

لقد عشت فى بروفة حب.. ولم تحاول أن تمارس هذا الحب أو تجربة.. ولم تفعل هذا على سبيل البرود أو الدلال.. ولكن فعلته جبنا وخجلا وترددًا.. لانطوائك على نفسك وخوفك من الخروج منها.

وهكذا بدأت قصة حبك فى داخلك.. وانتهت فى داخلك دون أن يسمع بها أحد.

وهأنت ذا تسلك فى حياتك كما كنت تسلك فى حبك.. تمضغ

انفعالاتك.. وتعلق رغباتك على حبال الملل والانتظار.. ثم لا تكتفى بعدم العمل وإنما تتجاوز إلى عدم الاهتمام.

إن شخصيتك تسودها البطالة والتعطل.. كل شىء فيها مضمر.. وممكن.. ولكنه غير واقع.

شخصيتك تشبه دولة بها جهاز تشريعى وليس بها جهاز تنفيذى.. ومثل هذه الدولة تعيش فى النظريات ولا تفعل شيئًا.

إن ما ينقصك ليس الحب.. ولكن العمل والبت والإيجابية والفعالية.

افعل شيئًا أى شىء.. وإذا لم تكن لديك الرغبة فاحمل نفسك على فعل شىء.. ومن الحركة تتولد الرغبة.. ويتولد الاهتمام.

إن نجاتك الوحيدة فى العمل.

أما إذا أسلمت نفسك لهذه البطالة فإنك سوف تختنق يومًا بالطاقة التى تفور داخلك ولا تجد لها منفذًا تعمل فيه.. وسوف تنتهى إلى أسوأ النتائج.

الاختيار

تزوجت فى سن الخامسة عشر رجلا يكبرنى بنحو ٢٠ عامًا تحت ضغط أب عنيد وأم جاهلة، كل همهما الثراء والمركز والمكانة التى تليق باسم العائلة.

حاربت هذا الزواج بكل ما أوتيت من قوة وصراخ وبكاء.. ولكنى لم أفلح.

وباعونى كلهم.

ودخلت وأنا أرتجف بيت رجل لا أحبه.. رجل قبيح الخلقة والخلق.. بخيل.. شاذ الطباع.. شديد المعاملة.. كل كلماته أوامر.. كان لا يعود بيته قبل الثانية صباحًا تفوح منه رائحة الخمر.. يترنح.. ويتكلم.. بفم معوج.

وتمضى لحظات الفراش ثقيلة.. هو من ناحية جلف غليظ فى مغازلته.. أنانى لا يهمه إلا أن يحصل على متعته. ثم يدير ظهره ويتركنى. وأنا من ناحيتى أعانى الخجل والاشمئزاز والإحساس بالهوان.

وكنت أشكو لأمى كرهى له وعزمى على النوم وحدى..

وكانت تنهرنى وتقول لى كرهك وحبك لنفسك ضعيه فى قلبك.. أما جسدك فهو ملك له.

وسمعت كلامها.. وبدأت أترك له جسدى كخرقة بالية لا حراك فيه ولا روح.. وأنجبت أربعة أولاد.. وأنا أتعذب.. وأكتم فى نفسى.. حتى انهارت أعصابى.. وأصابنى ضغط الدم والقلب.. وبدأت تتناوبنى الأمراض.

وبدأت أبتعد عنه جسمانيًا.

كان هذا منذ اثنى عشر عامًا.

أصبحت لا أحتمل مجرد سماع صوته أو رؤيته وكنت حينما أراه يدق قلبى بشدة ويكاد يتوقف وتنتابنى حالات عصبية.

ومنذ أربع سنوات انقطعت عن الكلام معه.. وأصبح لى جناح وحدى فى البيت.. وله جناح وحده.

وإلى الآن لم يطلقنى.. وهو يقول.. إنه لن يتركنى حتى أصبح غير صالحة له أو لغيره.

ولكنى لم أعد صالحة له ولا لغيره.. منذ الآن.

لقد أصبحت بعد عذاب ٢٥ سنة امرأة محطمة أولادى كبروا وأصبحوا شبانًا.. وأنا ذبلت وأصبحت مريضة.

والآن أريد أن أستريح.

أريد الخلاص منه بأى طريقة.. إنه لا يريد أن يطلقنى

وأنا لا أستطيع أن أطلب الطلاق من المحكمة لأن مركزى ومركز أولادى ومركز العائلة لا يسمح.. لا أريد فضائح.

أفكر فى تغيير دينى لأصبح محرمة عليه.. ولكنى أخاف من الله.

كيف يكون خلاصى.. إنى تعيسة.

* * *

إن العجيب فى خطابك هو صبرك العمر الطويل.. هذه لسنوات الخمس والعشرين حتى انتهيت إلى هذه الحالة من ضغط الدم والقلب والانهيارات العصبية والمقاطعة الجسدية، ثم فى النهاية إلى عدم تبادل الكلام.

وأخيرًا وبعد خمس وعشرين سنة وبعد دفع كل هذه الضرائب الباهظة أحسست أن الحياة أصبحت لا تحتمل. وأنه لابد من خلاص.

وأى خلاص؟! خلاص يتم بمعجزة.. بدون ان يطلقك.. أو تطلقيه بالمحكمة حتى بعد الخمس والعشرين سنة مازلت تخافين.. وتقولين.. أولادى.. عائلتى.. مركز العائلة لا يسمح.

ولكن أمك حينما زوجتك بالإكراه كانت تقول هذا أيضًا.. مركز العائلة لا يسمح.. اسم العائلة يستدعى.. إلخ.. إلخ.

كانت أمك أسيرة المظهر المحترم والسمعة فاختارت لك زوجًا ذا لقب وأطيان.

وتعذبت العمر كله لأنك عجزت عن البت فى مصيرك.. كان البت يحتاج إلى إسقاط هذه الاعتبارات.. وأنت مثل أمك تخافين على هذه الاعتبارات!

واتخاذ أى قرار فى الدنيا يحتاج إلى التضحية بشىء.

نحن نقامر بحريتنا واختيارنا فى كل لحظة. وأنت تطلبين الأمان.. وهذه نتيجة الأمان.

أنا أعرف الشىء الذى يرهقك.. إنه ليس كره زوجك. ولا ضغط أمك.. إنه ضعفك.. ضعفك أمام اللحظة الفاصلة. لحظة اختيار المصير.

ولكنك تنسين أنك اخترت وانتهى الأمر، وأن هذه ثورة بعد فوات الأوان.

وإن الأكرم لك الآن الصبر والتضحية بهدف الحفاظ على كيان الأسرة أفضل من الطلاق بلا هدف.

حقيقة المشكلة

أنا طبيب حديث التخرج.. ناجح فى عملى كما كنت ناجحًا فى دراستى.. حالتى المالية من عملى ومن إيراد خارجى متيسرة جدًا.. أمتلك سيارة.. وشقة خاصة.. مؤهلاتى الشخصية ممتازة.. رياضى متفوق فى أكثر من لعبة.. صحتى جيدة.. شكلى جميل.. أنيق جذاب.. ذكى.. محبوب من الجميع.. خفيف الروح.. بارع فى اكتساب الصداقات.. وفى استهواء القلوب.

بدأت تجاربى مع الجنس الآخر فى سن مبكرة، من الخامسة عشرة.. وكانت لى علاقات كاملة منذ تلك السن.

أنا الآن عضو فى أحد أندية القاهرة.. وملك هذا النادى غير المتوج على قلوب الحسان.. ولكن للأسف الفتاة الوحيدة التى أحببتها هى التى لم أحظ منها بأقل اهتمام.

وقلبى الآن موزع بين ثلاث فتيات.

فتاة أعبدها ولاتحبنى.

.. وفتاة أخرى تعبدنى لدرجة الجنون وحاولت الانتحار وأنا لا أحبها.

وثالثة لاأحبها ولاتحبنى ولكننا نتمتع معًا إلى أقصى حدود المتعة.

إنى أعيش الآن فى يأس.. وقد كفرت بالحب.. وخلت حياتى تمامًا من الجانب المضىء.

ماذا أفعل لأكسب فتاتى التى أحبها.

* * *

إنك فى اللحظة التى تكسب فيها هذه الفتاة التى تدعى أنك تعبدها.. سوف تضعها فى خانة.. فتاة تعبدنى ولا أحبها.. ثم تبدأ فى علاقة جديدة.. إنك شاب هلاس.. كل همك أن يكون لك عرش.. وأن تكون الملك غير المتوج على قلوب الحسان.

إن مايعذبك من فتاتك.. ليس حبك لها.. ولكن حبك لنفسك.. وغرورك.. الذى حطمته هذه الفتاة لأول مرة.

ولن يكون همك هو أن تبادلها الحب أبدًا.. وإنما سوف يكون همك هو أن ترد اعتبارك لنفسك.. وتثبت لنفسك أنك مازلت فارسًا.. ولهذا سوف تلفظها بعد لحظة من استسلامها وتبدأ فى البحث عن أخرى.

إن خطابك الذى يتألف من ثلاث صفحات.. يحتوى على صفحتين كاملتين.. تتغزل فيها فى نفسك.. جاذبيتك.. جمالك.. صحتك.. شقتك الخاصة.. عربتك.. حالتك المالية.. ذكائك.. مهارتك فى استهواء القلوب.. نجاحك فى عملك وفى دراستك

وفى الوقت الذى تقول فيه إن قلبك يتعذب وعواطفك تحترق.. تسمح لنفسك بأن تبادل امرأة أخرى المتعة بدون حب من ناحيتك ولا من ناحيتها.. ولايفعل هذا إلا إنسان بلا قلب وبلا عاطفة.. وبلا مشاكل من هذا النوع الرقيق الذى تدعيه.

إن أحسن عقاب لك هو ما أنزلته بك هذه الفتاة.. التى كسرت شوكتك وحطمت غرورك.. وأرغمتك على احترامها وعبادتها.. وحينما تفهم كل فتيات النادى.. كيف يعاملنك ويكسرن أنفك الجميل.. سوف تنصلح حالك وتتأدب.. أيها الملك غير المتوج على دولة الهلس.

التعب

أنا شاب فى الرابعة والعشرين.. تركتنى خطيبتى قبل شهر ونصف بعد حب ملتهب.. وبدون سبب.. لتتزوج من غيرى فى بلد بعيد جدًا.. تحملت الصدمة بمرارة.. ثم بدأت أسلك طريقًا سيئًا.

أصبحت الفتيات الرخيصات كل هوايتى أبدل الواحدة بالأخرى على قدر ما معى من نقود.. ثم تعرفت على امرأة ذات سلوك يسميه الناس بالسلوك السيئ.. علمت أنها مطلقة ومازالت على علاقة بمطلقها.. عرضت عليها الزواج فوافقت.. لم أشعر نحوها بما يسميه الناس حبًا.. ولا أية رومانتيكية.. وهى أيضًا علمتها التجارب وعلمها الخداع أنه لايوجد شىء اسمه حب..

أصبح الأمر بيننا أشبه بصفقة.

أنا أشعر بالحاجة إليها.. ولكنى لا أفهمها.. وأحس بأن جميع عواطفها مغلقة أمامى.. ولم أر منها سوى بعض دموع فى أول اجتماعى بها.. وهى تشعر بالحاجة إلىّ.. ولكن ليس لديها حماس وأشعر بها باردة خاملة بين يدى.. ولايجد أحدنا الشجاعة الكافية

ليقول للآخر.. أحبك.. أعبدك.. أنت حياتى.

كلانا يشعر أن هذا كلام فارغ.

وأهلى يرون أن الحكاية كلها فاجعة.. ولايوافقون ويهددون ويتوعدون.. وأنا حائر.

هل أتزوج الفتاة.. أم أتركها.. وأعيش فى أحضان القلق والإسراف والإرهاق؟؟

وكيف أتزوج كما تزوج الناس.. وأنا لم أعد أعرف شيئًا اسمه بنت ناس.. وحب.. وانتظار.. وخطوبة.. وشرف وكرامة وسعادة زوجية.

* * *

إن اليأس هو المأذون الذى سوف يعقد زواجكما.. كلاكما محطم يائس غطى قلبه الصدأ وفقد البريق والنضارة.. وكلاكما يتخبط.. هى مطلقة تعاشر مطلقها وتتزوجك فى نفس الوقت.. وأنت تعاشر شبح امرأة هجرتك وتخبص وتضع يدك فى يدها وأنت لاتعرفها ولاتفهمها وتطلب منها الزواج.

إن العلاقة بينكما مفقودة تمامًا.. وكل منكما يعيش فى عزلة عن الآخر.. مغلق على مأساته.. ومشكلته.

وما يربط بينكما هو التعب.. والضجر.. والملل.. ومثل هذه العلاقة مقضى عليها بالفشل.. إنها مثل المولود الذى يولد ميتًا.

اصرف النظر عن هذا الزواج.. واقطع علاقتك بالمرأة..

وبكل النساء.. واقض بضعة شهور فى صوم وتفكير.. حتى تستعيد شهيتك الطبيعية.. وإقبالك على الحياة.. وأشواقك القديمة.

إن أسوأ ما يفعله المحب بعد صدمة عاطفية أن يمضى فى علاقاته.. إن مرارة الفشل تغير طعم الحياة فى فمه.. وتشوه أحكامه دون أن يدرى فتصبح كل علاقاته مريضة يسكنها الحقد والشر.

بعد المشوار الطويل الذى يقطعه القلب.. نحتاج إلى راحة طويلة.. تمامًا كما نفعل بعد المشوار الطويل الذى نقطعه بأقدامنا فالعواطف كالدم واللحم والأنسجة تحتاج إلى وقت لتتجدد.

عدم الإمكان

أنا سيدة جميلة فى العشرين من عمرى.. بدأت حياتى بطفولة تعيسة.. كان أبى غنيًا.. ولكنه بخيل جدًا.. شرس حاد الطبع، يتهور لدرجة القسوة. فيضربنا جميعًا ضربًا مبرحًا.. والعجيب أنه كان يضرب أمى.. والأعجب أنه كان يضرب أمه.. وألفاظه جارحة قاسية لأقصى حد.. يدخل المنزل مقطب الحاجبين.. ولايلقى كلمة تحية.. فينزوى كل من فى البيت فى رعب.

وكان أبى يضطهدنى أكثر من باقى إخوتى لأنى كنت دائمة الرسوب.. ولم يكن يعلم أنى أرسب بسببه.. وبسبب الرعب الذى وضعه فى قلبى.

وسافر أبى إلى بلد بعيد فى إحدى السنوات.. فبدأت أنجح فى المدرسة وأتفوق وأطلع الأولى.. وأحببت المدرسة.. ومرت سنتان.. وأنا على تفوقى ونجاحى.. ثم بلغت السادسة عشرة، وبدأ الخطاب يتقدمون لى.. وأبى يضغط علىّ لأتزوج.. وكنت أسمعه يقول: إن البنات نكبة على الحياة.. وإن الزواج هو الحل الوحيد للخلاص منهن.. وكان أحيانًا يشتمنى.. ومرة يضربنى ومرة أخرى

هددنى بالقتل إذا لم أتزوج.. وأمى كانت فى هذه الأحداث بين نارين.. فهى تعطف علينا.. ولكن ما باليد حيلة.. وهكذا وجدت نفسى مجبرة على الزواج.

وصدقنى، لقد ألقوا بى كما يلقون بكلب فى الشارع، ووجدت نفسى مع رجل طيب يحبنى ويعبدنى ويغار علىّ، ولكنه بخيل.. وسمج، لا يعرف الذوق فى ألفاظه ولا فى معاملته، دائم النقد لكل الناس.

وبرغم أن زوجى كان أكثر عطفًا من أبى فاننى كنت أسعد حالا فى المدرسة.. كانت لى هوايات أمارسها.. وكانت لى شخصية وكانت لى أحلام.. كنت أحلم بأن أجرب الحب.. وأذوقه.. ولكن كنت أخاف من الحبس فى البيت والضرب والقتل.

أما الآن فإنى أشعر أن حياتى انتهت.. ولم تعد لى هوايات.. ولم أعد أتمتع بالجلوس مع صديقاتى.. ولم أعد أجد لذة فى ثرثرة زمان.. فقدت صبرى.. وفقدت آمالى.. ولم أعد أطيق شيئًا..

الشىء الوحيد الذى أصبحت أحبه هو الخروج بشرط أن أكون وحدى.. أسير فى الشارع.. ترن فى أذنى الموسيقى.. ولكن زوجى لايحب الخروج.. ويلازمنى فى كل خطوة.

إن زوجى عبء.. عبء فظيع.. وأولادى عبء.. وبيتى عبء.. لا تقل لى.. أحبى زوجك.. فهذا مستحيل.. لا تقل لى اشغلى نفسك بهواية.. أو دراسة.

إنى أشعر بهبوط فى نفسى باستمرار.. وهبوط فى جسدى وصداع أليم.. وعجز عن كل شىء.

لا تبخل علىّ برد سريع أرجوك.

أنا الأخت الصغرى لصاحبة الرسالة.. وقد أعطتنى رسالتها لأقرأها قبل إرسالها إليك.. وقالت لى إنها لاتشعر أنها رسالة مقنعة.. ولكنها لاتقوى على الكتابة أكثر من ذلك.

والواقع أن أختى حالها أفظع بكثير مما وصفت لك.. إنها ساهمة.. شاردة.. منهوكة القوى دائمًا كأنها خارجة لتوها من عمل مرهق.. كانت عاطفية.. ولكنها الآن تهرب من العاطفة.. ولاتطيق سماع أغنية فيها عاطفة.. إنها تريد الهروب من كل مايمت لواقعها بصلة.

إنى قلقة عليها كثيرًا.. وخصوصًا أن صحتها فى تدهور.. لاتنصح لها ياسيدى بالطلاق.. لأن لها أولادًا صغارًا من زوجها.. ووالدى كما وصفته لك.. لايحب أحدًا.. ولايطيق مجرد إنسان معه فى المنزل حتى ولو كان ابنته أو ابنه.

وليس لديها الصبر لتكمل دراستها أو لممارسة أية هواية لاشىء تفعله الآن سوى الشرود.. والشرود فى لاشىء.

أتمنى أن تساعدها.

* * *

سيدتى..

أنت سجينة فى بيتك.. ولكنك قد سجنتنى أنا أيضًا فى أفكارى.. وكتفت يدى.. وجعلت كل الحلول غير ممكنة.. وغير مقبولة.

وحينما يحاط الإنسان بعدم الإمكان من كل طريق وتسد عليه المنافذ.. لاتبقى له إلا بطولة واحدة.. هى بطولة الخضوع والاحتمال.

وعزاؤك أننا جميعًا مثلك إلى حد ما.. أبطال قصة مفلسة فاشلة.. نهايتها الموت.. رغم كل أحلامنا وآمالنا.. كلنا نذبل على فروعنا.. ونموت عطشانين.. والماء حولنا.. والشمس فوق رءوسنا.

اكتبى قصتك على فصول طويلة.. فأسلوبك.. جميل.. وأنا أحب أن أقرأ شيئًا عن الصعيد.. كيف يعيش هناك الناس.. ويفكرون.. ويحلمون.. ويموتون.

بالصدفة

أنا شاب فى العشرين.. فى كلية الهندسة بالاسكندرية.. مرح.. بسيط.. منطلق.. وإن كنت فى داخلى أعانى فراغًا عاطفيًا هائلا.. وليس معنى هذا أنى أعيش فى عزلة.. لاأعرف النساء ولاأقربهن.. فالحقيقة أن لى صولات وجولات فى عالم الغرام.. ولى خبرة بالنساء يحسدنى عليها الكثيرون.

تعودت هذا الصيف أن أذهب وحدى كل مساء إلى محل عام وأجلس على مائدة لاتتغير.. أتناول عليها قدحًا من الشاى واللبن.

وفى مساء يوم منذ شهر تقريبًا دخلت إلى المحل سيدة سارت بين الموائد واتخذت لها مكانًا.. بالصدفة المحضة.. بجوارى.. وطلبت.. بالصدفة أيضًا قدحًا من الشاى واللبن.

سيدة لم تتجاوز الثلاثين.. كل مافيها يجبرك على أن تحترمها.. نظراتها الهادئة.. مشيتها المتزنة.. وتصرفها الرزين.. ومظهرها الذى ينم على أنها فاضلة.. جميلة.. وأنيقة.

وكعادتى.. لم أهتم بها.. أو بمعنى أصح تظاهرت بأنى مشغول

عنها معتقدًا أنها لابد فى انتظار شخص ما.. رجل أو امرأة.. وبعد حوالى الساعة نادت الجرسون وأعطته ثمن ماتناولت وانصرفت.
فى المساء عند نومى لم أعلق على الأمر أهمية.. بل لم أذكره كلية.

وفى نفس الموعد فى اليوم التالى أقبلت السيدة واتخذت مكانها بجوارى وتناولت الشاى واللبن.. ولم يحضر أحد لمقابلتها، وبعد ساعة انصرفت.

وتكرر حضورها يوميًا وبدأت نظراتى تفضحنى.. وبدأت السيدة تلاحظ ذلك.

وبعد أسبوع.. وبعد أن اتخذت مكانها بجوارى، تقدمت إليها وعرضت عليها أن نتناول الشاى على مائدة واحدة.. ولم أكن أتوقع أن توافق.. ولكنها وافقت فى الحال.. ويومها كنت أسعد مخلوق.. وتبادلنا حديثًا بسيطًا لاأثر فيه للغرام أو عبارات الإعجاب.. وانصرفنا على أن نلتقى غدًا.

وتقابلنا.. وعرفتها.. وعرفتنى.. وتكرر لقاؤنا حول أقداح الشاى نتناول حديثا كله بساطة.

ثم بدأنا نتمشى معًا كل ليلة على الكورنيش.. يدها فى يدى نتهامس ونتحاكى.. وكنت أحيانًا ألمس خدها بخدى فيحمر وجهها فى خجل وتنظر إلىّ فى عتاب.

وعرفت عنها حينئذ كل شىء.. إنها متزوجة.. تعيسة فى

زواجها.. فزوجها يكبرها بعشرين سنة بخيل ومختل العقل يعاملها بقسوة ويضربها ويشتمها بألفاظ مقذعة.. حكت لى هذا وهى تبكى.. وقالت إنها بالرغم من كل هذا لن تخوّنه.. لأن ضميرها لايطاوعها.. أن تفعل هذه الفعلة الشنيعة.

ومن يومها وأنا لا أنام.

طيفها وخيالها يطاردانى فى كل لحظة.. وقلبى يعذبنى.. وضميرى يؤنبنى لأنى أغريها بصداقتى على علاقة لاترضاها..

أحس أنى ذئب.. وأنها إنسانة طيبة وديعة.. ألقتها الصدفة بين يدى.

ماذا أفعل.. إنى أعيش فى قلق دائم.. وعذاب.

لقد فتحت الكليات أبوابها منذ أيام وسافرت إلى الإسكندرية وافترقنا بعد أن تواعدنا على اللقاء.

ولكنى أعيش فى سرحان وشرود دائم.. أفكر فيها وأتذكر كلماتها وضحكاتها.

ما نهاية هذا الحب.. الزواج.. وكيف أتزوجها وهى متزوجة؟

إن الشعور بالإثم يقتلنى.. ووجهها البرىء الفاضل النقى يطاردنى فى كل مكان.

ماذا أفعل.. وأنا بين نارين.. حبى ودراستى.

* * *

تستطيع أن تريح نفسك من هذا الشعور القاتل بالإثم.. فلا أظن أن الأمر حدث بالصدفة كما ظننت.

ولا الصدفة هى التى جعلتها تطلب الشاى باللبن مثلك..

ليست الصدفة هى التى جاءت بها على الكرسى بجوارك..

ولا الصدفة هى التى جعلتها توافق فى الحال على مشاركتك المائدة.. وتؤنسك بحديثها المهذب الرزين.. ووجهها البرىء الفاضل النقى.

لم تكن ذئبًا محنكًا كما ظننت نفسك.. وإنما أنت فى الغالب الصيد.. وهى الصياد.

هذا مع احترامى لخبرتك وجولاتك وصولاتك فى عالم الغرام.

وقصة الزوج الذى يكبرها بعشرين سنة والعقل المخبول.. والقسوة والضرب.. والألفاظ المقذعة.. هى فى الغالب حكاية لأصطياد احترامك وشفقتك واسباغ ثوب من الشرعية على هذه العلاقة.. حتى تنمو وتؤتى اكلها.. وأنت طبعًا أكلها.. ياعزيزى الذئب الغلبان.

وفر شفقتك.. فأنت أحوج إليها.

واحتفظ بعواطفك لمناسبات أخرى.

وفكر فى مستقبلك ودراستك.. ولاتضيع وقتك.. فهى لاتضيع وقتها مثلك.. وأغلب الظن أنها الآن فى القاهرة تشرب الشاى واللبن مع ذئب آخر خبير فى النساء مثل سيادتك.. بالصدفة.. طبعًا كالمعتاد.

الأسلوب المناسب

منذ ثلاث سنوات وأنا أحبها وتحبنى.. ونتحادث يوميًا بالتليفون.. ونخرج معًا مرة أو مرتين كل شهر فنذهب فى نزهة بريئة إلى إحدى الضواحى.

ثلاث أو أربع مرات فقط أوصلتها إلى البيت.. وضغطت على يدها ضغطة خفيفة، ومرة واحدة أمسكت بيدها وطبعت على ظهرها قبلة.. فردتنى بلطف وأدب وأفهمتنى أنها لاتحب هذا الأسلوب وأنها ليست من ذلك الصنف من البنات الذى تستهويه هذه الأمور.. وأنها إن كانت تخرج معى وتحادثنى فى التليفون فإنما تفعل هذا للمرة الأولى فى حياتها.. وعلى حساب أعصابها.. ومن يومها لم أكرر هذه المحاولة وصدقتها.. واقتنعت.

هى آنسة فى العشرين أو جاوزتها قليلا.. خريجة جامعة القاهرة.. تشغل فى الوقت الحالى وظيفة جامعية.. على درجة كبيرة من الجمال.. تمتاز كباقى أسرتها بالطيبة والهدوء والسمعة الحسنة.. وهى موضع احترام الجميع.

أما أنا.. فشاب جامعى فى الخامسة والعشرين.. أشغل إحدى

المهن الحرة.. عادى فى كل شىء.. عرفت قبلها كثيرات ومارست معهن كل أنواع الهوى والحب.. أعرف فى الوقت الحالى فتاتين غيرها.. أزاول معهما حماقات شبابى بقدر معقول.. وبدون ارتباط مع أيهما بشىء.. أحب صاحبتى جدًا.. وأنتوى الزواج بها هذا العام.. فما رأيك؟

ما رأيك فى هذا الحب الذى ظل أفلاطونيًا طيلة هذه السنوات الثلاث؟

إن أصدقائى يقولون لى.. أنت عبيط.. خيبة.. مش عارف توصل.. دى عاملة تقيلة ومؤدبة عشان تتجوزك.

وأقرأ فى القصص.. عن القبلات.. والأحضان.. وعن الفتاة التى تحتقر صاحبها لأنه يخاطبها بأسلوب عذرى.

هل صحيح أن كل المتمنعات كاذبات وممثلات؟..

ألا يجوز أن تكون هذه الفتاة صادقة فعلا.. وعفيفة فعلا.. وتريد فعلا أن تحتفظ بأجمل مافى الحب لما بعد الزواج..

أجبنى بصدق أرجوك.. ولاتحاول أن تطيب خاطرى.

* * *

واضح من كلامك وحسب قولك.. أنك عرفت بنات كثيرات مارست معهن كل أفانين الهوى والحب.. وأنك حاليًا تعرف فتاتين فى وقت واحد تمارس معهما حماقات شبابك.

ومعنى هذا.. أن الشىء الوحيد الذى رشح صاحبتك للزواج

فى نظرك.. أنها رفضت أن تكون مثل الأخريات.. هذه رخصة الزواج الوحيدة فى نظرك.

وهذا يكشف عن أزمة البنت العصرية.. إن صاحبها يحدثها عن التحرر.. والعقلية العصرية.. وحق التمتع بالحب.. إلخ.. إلخ.. ثم يغدر بها فى النهاية ولايتزوجها إذا طاوعته فى هذا التحرر.. وينكشف لها فى النهاية عن رجل محافظ أشد محافظة من جدها.. يطالبها بالعفة إلى آخر حدودها.. ومعنى هذا أن المشكلة بالنسبة للبنت الآن لم تعد مشكلة كذب وصدق.. وإنما أصبحت مشكلة اختيار السلوك المناسب.

والسلوك المناسب مع أمثالك هو أن تتصرف صاحبتك بالضبط كما تصرفت.. لأنها لو تهاونت لحظة فى أى شىء.. لضممتها إلى طابور الفتيات اللاتى تمارس معهن حماقات شبابك.

ليست المشكلة هى مشكلة تمثيل.. أو تصرف على الطبيعة لأن ٩٠٪ من الرجال محتالون لايتصرفون على الطبيعة.. وإنما يدعون إلى حريات لايؤمنون بها فى أعماق نفوسهم.

هناك عملية كذب عام شامل منظم بين الرجال.. لاتجد البنت أمامه مفرًا من الاحتيال ومواجهة كل ظرف بالأسلوب الذى يناسبه.

تزوج صاحبتك.. ولاتتساءل.. فليس لك الحق فى هذا التساؤل.

إن صاحبتك هى الوحيدة التى فهمتك.. وكشفتك.

كوبرى السعادة

أنا آنسة فى الستين.. عشت حياتى الطويلة المريرة كالكوبرى الممدود عبر ثلاثة أجيال.. لم أعرف الحب.. ولا الزواج.

فى العاشرة كنت أحمل أخى الطفل وأغنى له.. وفى الثلاثين كان الطفل قد كبر وتزوج.. فحملت أطفاله.. والآن وقد كبر أطفال الأطفال.. وتزوجوا.. وبدأت أستقبل على صدرى الهضيم الضامر.. أبناءهم لأعبر بهم السنين الباقية من حياتى.

أنت لاتعرف معنى أن تعيش على الشاطئ.. وتقضى فى الحرمان ستين عامًا.. وأنت عطشان.. لايمكن أن تعرف هذا لأنك لم تجربه.. فأنت رجل.

وفى صباى كانوا يقولون إن الرجال خلقوا للشارع والمدرسة والنساء خلقن للمطابخ.

وكان أبى المتوسط الحال يحلم بتربية أولاده فى الجامعة.. وكان ثمن هذا الحلم بعد أن ماتت أمى أن أظل فى البيت لا أبرحه.. أطبخ وأغسل وأمسح البلاط.. لأوفر ثمن خادمة وطاهية وغسالة.. وأعاون أبى على تحقيق حلمه الكبير.

كنت الثمن الذى دفعه جيلنا من لحمه ودمه.. لتدخلوا الجامعة وتتعلموا.. وتقولوا للعالم.. نحن الرجال.

وقد كنت سعيدة بهذه التضحية.

كنت أمًّا عذراء لأجيال ثلاثة تربوا على صدرى.

ولكنى الآن وقد تغيرت من حولى الدنيا.. أحس أنى غريبة فى عالم غريب.. عالم ملىء بالثرثرة والغرور والحب والإلحاد والثورة.

بناتى وصبيانى الذين ربيتهم ومنحتهم شبابى وعمرى.. ينظرون إلىّ كأنهم ينظرون إلى تحفة أو أنتيكة.. ويسخرون منى لأنى لاأفهم الوجودية والسياسة والحب.. ويضحكون علىّ.

لقد انتهت دولتى.. ومطبخى الصغير احتله الطاهى.. ولم يبق لى سوى البكاء فى صمت إلى جوار النافذة.

كنت أطمع فى شىء واحد.. هو التقدير.. ولكن حتى هذا لم أحصل عليه.

كم أنا تعسة.

❋ ❋ ❋

أيتها الأم الكبيرة..

إن بناتك اللاتى يقرأن فى الوجودية.. والسياسة والحب.. لايفهمن شيئًا من السياسة ولا من الحب.. ولسن جديرات بأن يكن خادماتك..

أنت الحب يا أماه.. وأنت الشرف والواجب والتضحية والفضيلة.

لقد ارتضيت أن تكونى الضريبة على الأجيال الجديدة.. الضريبة الفادحة على رأسمالية العلم والثقافة والحرية.. التى تسلمها الرجال خالصة من يديك.

إن كل هذه الثرثرة والمعارف هى بعض من فتات موائدك..

فإن كنت وجدت العقوق من أبنائك.. فاغتفريه.. فهذه خلة الأنبياء أمثالك.. وكفاك إحساس المرأة التى خلقت شيئاً عظيماً.

إنى أنحنى احترامًا لك.. وأقبل يديك.. يامريم الطاهرة.

النضج المبكر

أنا فتاة فى السادسة عشرة. فى المرحلة الثانوية.. محبوبة من كل مَن حولى.. حساسة جدًّا من الناحية الدينية، فأنا مثلا أتمسك بالصلاة وبقراءة كل ما يكتب عن الله والأنبياء، وكنت أصاب بحالات من البكاء والعصبية والرعشة بعد ليال أقضيها فى الصلاة والدعاء.. ولكن هذه النوبات قلت الآن كثيرًا.

أحب السحاب الأبيض وأبكى عند رؤيته.. وأحب القمر.. والمطر.. وأحلم بالملائكة والآخرة، وأقضى الساعات الطويلة فى قراءة القرآن.. ولكنى للأسف الشديد لا أعتقد أنى مؤمنة إطلاقًا فكثيرًا ما كنت أفكر وأنا فى وسط صلاتى، أنه قد لا يكون هناك إله!.

لا أعرف إن كنت أحب الناس أم لا.. ولكنى أشفق عليهم إلى حد غريب، وأخاف على شعورهم لا أكثر.

أغلب أصدقائى من شبان عائلتنا يفضون إلى بأسرارهم.. ولما كنت من البداية على استعداد للتطبع بطبعهم فقد أصبحت تصرفاتى رجولية إلى أبعد حد.. فمثلا لا أستطيع أن أضحك دون

جلجلة.. ومشيتى عسكرية.. وتفكيرى خشن فظ كتفكير الرجال. ولا مانع عندى من اقتحام أسرار أى شاب دون خجل.. وأغلب وقتى أقضيه منطوية مع الكتب.

بدأت مشكلتى عندما لاحظت أنى أصبحت أحلم كل ليلة أكثر من عشرة أحلام، فأصبحت أحلم أنى عارية تمامًا أمام والدى ينظر إلىّ نظرة حنان غريبة.

وبدأت أتعقد من ناحية والدى.. بدأت أفكر أنى شاذة. وأخاف من شذوذى.

وبمرور الوقت ضاعت المشكلة تاركة وراءها شعورًا غريبًا ناحيته.

وأقول ضاعت المشكلة لتبدأ غيرها.. فقد بدأت أشعر بنفس الشعور تقريبًا ناحية أخى الصغير.. فكنت أخاف من أن ينام جانبى.. وأستيقظ أكثر الليالى فزعة مشمئزة عندما يلمسنى بيده صدفة.. وبدأت أشعر بالنفور منه وأنام فى مكان آخر!

والآن.. أو بالأصدق.. منذ حوالى ثلاثة أيام تقريبًا.. انتبهت لنفسى وأنا أفحص زميلاتى فى المدرسة.. وأقول تلك جميلة جدًّا.. وهذه حلوة.. وهؤلاء مقبولات.. إلخ.. إلخ.

و.. وعادت مشكلتى من جديدة.

هل أنا شاذة.. هل من الممكن أن أرتكب هذه القذارات. بالأمس كانت ستنام أختى الصغيرة معى.. فهربت من

الفراش لأنام على الأرض.. وأمضيت الليل فى خوف ودوار وابتهال إلى الله.

أنا الآن أفكر فى الموضوع وأتساءل.. هل أنا واهمة؟.. هل السبب كثرة انطوائى وتفكيرى فى نفسى؟. هل لأنى بعدت تمامًا عن جو الفتيات؟ أم أن السبب هو شدة خوفى من الخطأ. أم أنى شاذة حقًا.. ولم..؟!.. ولم أفعل أى شر أو أوذى مخلوقا. هل الله يكرهنى لأنى كفرت به.

وسأحاول مساعدتك.. فأنا لا أعتبر نفسى جميلة.. وأنا خجولة وحساسة جدًّا.. وجياشة العاطفة.. وأقول لك حادثة قد تساعدك.. فقد حدث وأنا صغيرة جدًّا أن فعلت معى فتاة كبيرة شيئًا قبيحًا.. مازلت أذكره بالرغم من صغر سنى وقتها وذلك لغرابة الأمر بالنسبة لى.

هذه مشكلتى.. وهى مشكلة تتفاقم معى يومًا بعد يوم.. وأشعر بأنى أكره نفسى. وبأنى أود تعذيب نفسى.. ولا أعرف لهذه الآلام نهاية.

أرجوك لا تحتقرنى.

* * *

أنا لا أحتقرك.. وإنما على العكس.. أنا أشعر أنك إنسانة فاضلة وعلى درجة غير عادية من النضج والوعى بالنسبة لسنك.. فأنت أكبر من سنك بكثير.. ولديك قدرة على استبطان مشاعرك

واستجلائها لا يبلغها الكثيرون ممن هم أكبر منك من الرجال أو النساء.

ومشكلتك الحقيقية كانت فى هذا الوعى والنضج المبكر.. وفى الحساسية المفرطة التى تستقبلين بها كل حدث.. حتى أنك لتبكين لرؤية السحاب الأبيض.. وترتجفين لرؤية القمر.

ومثل هذه الحساسية أمام حادث خشن كالذى حدث لك حينما اعتدت عليك فتاة وأنت صغيرة اعتداءً فاضحًا.. مثل هذا الحادث.. كان كفيلا بأن يقلب حياتك.

أنت منذ تلك اللحظة تحاولين أن تكونى رجلا حتى لا يتكرر عليك مثل هذا الاعتداء.. فمشيتك وضحكتك المجلجلة هى ضحكة الرجل.. وبالمثل مصادقتك للرجال والحفاظ على أسرارهم.. وبالمثل نظرتك إلى البنات زميلاتك وملاحظتك أن هذه جميلة جدًّا.. وهذه حلوة.. وهذه مقبولة.. وهذه شفتاها مليئتان.. إلخ.. هى نظرة رجل.

وخوفك من أن تنام أختك الصغيرة فى حضنك هو خوف من أن تتكرر هذه الحادثة.. وأحلامك بأنك لست عذراء.. هو خوف آخر نبع من تلك اللحظة المشئومة.. فأنت تخشين أن تكونى قد فقدت عذريتك من تلك اللحظة.

وأحلام التعلق بالأب والأخ.. قد تكون معناها أن الأب والأخ هو نموذجك للرجل الذى تريدين أن تكونى على مثاله..

وقد تكون هى المرحلة الوجدانية الطبيعية التى قال عنها فرويد.. وهى المرحلة التى تتجه فيها عاطفة البنت إلى أبيها وأخيها.. وهى مرحلة عابرة.. تنطلق بعدها العاطفة حرة لتبحث عن أليفها بين الرجال الآخرين.

أما سر العذاب الذى يطحنك فهو أن جميع هذه الحلول التى لجأ إليها عقلك الباطن هى حلول غير سليمة.. فأنت لست رجلا.. أنت امرأة.. فياضة الأنوثة جياشة العاطفة..

والسلوك الرجولى الذى تخيله عقلك الباطن مرفأ أمان.. كان بالنسبة لك إهدارًا لطبيعتك.. وضياعًا لحقيقتك.. وهذا سر عذابك.

وأيًّا كانت المشكلة فقد هدتك نظراتك السليمة إلى معرفة السبب.. ووضعت يدك على العلة.

ولهذا فإن شفاءك من هذه الأمراض العصبية أكيد.

وسوف تستعيدين مرحك وحبك للحياة.. فإن المعرفة هى مفتاح الشفاء النفسى.

دلوع..

أنا شاب فى الثالثة والعشرين من عمرى تبدأ مشكلتى منذ عام ١٩٥٦، يوم حصولى على التوجيهية.. وكان حلمى فى ذلك اليوم التحق بكلية البوليس.. وألبس ضابطًا.. ولكن الظروف خيبت أملى.. ألقى بى مكتب تنسيق الجامعات فى كلية نظرية بالإسكندرية.

وانتقلت إلى المدينة.. واتخذت سكنًا إلى جوار الكلية.. وشاركنى فى سكنى زميل من البلد.

وفى الأسبوع الأول من إقامتنا رأيت زميلى يدخل البيت وفى يده امرأة من الطريق.

وتشاجرت معه.. وحاولت أن أطرد المرأة.. واشتد بيننا الخلاف.. ثم اتفقنا على أن يغلق بابه ويفعل ما يشاء.. على أن تكون هذه أول وآخر مرة.

وشتمته فى ذلك اليوم بأقذر الألفاظ.. قلت إنه سافل وعاهر داعر.. وإنى برىء منه إلى يوم القيامة.

وأغلقت بابى.. وجلست أغلى من الغيظ.. وأستغفر الله.

ومرت ساعة.

ثم بدأت أتسمع الأصوات والحركات فى غرفته.

ومرت ساعة أخرى، قمت بعدها وأنا أتصبب عرقًا. وطرقت الباب.. ثم دخلت فى خجل لأعتذر له وأطالب بنصيبى فى الغنيمة.

ومن ذلك اليوم تغيرت حياتى كلها.

تعلمت التدخين حتى أدمنت بشراهة.. شربت الخمر وعرفت البارات الرخيصة.. دخنت المخدرات.. ذقت كل أنواع الهلس.. مع المومسات.. والخادمات.

وكانت النتيجة طبعًا أنى رسبت بدرجة ضعيف جدًّا.

ولم أخبر أسرتى حتى لا يقطعوا عنى النقود ولكن أمى عرفت وعاتبتنى.. فأجبتها ثائرًا.. إنى سوف أترك الدراسة.. وأبحث عن عمل.. وإنى لا أريد منهم مليمًا.. وكانت النتيجة أنها بكت.. وقبلت رأسى.. وتوسلت إلىّ أن أعود إلى دراستى.. وتعهدت لى أن تدفع لى مصروفاتى.. وكل ما أطلبه.. وأقسمت ألا تخبر أبى بشىء.

وفى هذا العام تركت شقتى.. وسكنت فى بنسيون تملكه امرأة إيطالية وحاولت أن أنسى فشلى ورسوبى.. بالإغراق فى الخمر.. وبالإغراق فى معاشرة الإيطالية صاحبة البنسيون التى تعدت سن الأربعين.

والمشكلة الآن أن أبى يعتقد أنى فى السنة الثالثة.. وباقى لى على الليسانس سنة واحدة يتيمة.. وهو يعد العدة ليفرح بى.

خطب لى بنت رجل غنى جدًّا.. واشترى لى سيارة ليقدمها هدية لى على شطارتى.. وهو ينتظر يوم السعد.. يوم تخرجى.

وأبى رجل طيب حج سبع حجات.. وأمى لا تستطيع أن تفجعه فى.. وأنا لا أستطيع أن أواجهه بالحقيقة.. والحقيقة لابد ستظهر.. وأنا لا أعرف ماذا أفعل.. أنتحر.. أم أهرب من الدنيا كلها.. أما ماذا؟!.

❊ ❊ ❊

ذاكر ياأخى.. إن المذاكرة ليست مخيفة بالدرجة التى تفضل عليها الانتحار.

إن أكبر خطأ ارتكبته أمك.. أنها بكت.. وقبلت رأسك، وتوسلت إليك أن تعود إلى دراستك.

كان يجب عليها أن تتركك تنفذ تهديدك.. وتعمل.. وتتشرد.. وتجوع على الأبواب.. وتتعلم الأدب.. وتحس بأن الحياة جد.. وتفيق من الهلس الذى أنت فيه.

إن العلاج الوحيد للولد الدلوعة أن يحس بالمرمطة.

لا توجد قوة فى الأرض تحميك من الحقيقة.. إن مشكلتك ليست سنواتك التى ضاعت.. ولكن سنواتك القادمة التى ستضيع حتمًا.. إذا واجهت الدنيا بهذه العقلية.

هنا مصلحة فى أن تظهر الحقيقة.. وأن تصدم.

أنت فى حاجة إلى صدمة.. وقسوة.. وعنف لتفيق.. وإلا فأنت مقضى عليك.

لن تصبح رجلا إلا حينما يطردك أبوك إلى الشارع.

لعنة الجمال

أنا فتاة فى العشرين.. من ذلك النوع الذى تفتح فمك حين تراه فى الطريق وتتوقف مأخوذاً.

شعر يتماوج كالذهب.. وجه أبيض وردى.. عيون زرق.. فم دقيق.. قوام باريسى.

حيثما سرت فى الشارع.. تتبعنى الشهقات والتأوهات.. وكلمات الغزل.. وتلتف الأعناق حول نفسها حتى تكاد تنخلع من أكتافها.

حياتى كلها كانت كلمة واحدة لاحقتنى من أبى وأمى وعائلتى وممن يعرفوننى وممن لا يعرفوننى.. إيه الحلاوة دى يابنت.. إيه الجمال ده.. إيه السحر ده.

لا أحد حاول أن يسمعنى.. لا أحد حاول أن يفهمنى كلهم كانوا يتفرجون علىّ ويقلبوننى بين أيديهم كالدمية.

لم أشعر فى أى لحظة أنه ينتظر منى شىء أو يطلب منى شىء.. أو أنى إنسانة لى عقل ولى قلب مثلما لى وجه وقوام.

كان أبى يعنف أختى حينما ترسب ويلاحقها بالمدرسين ويغريها بالمذاكرة.. أما أنا فإنه كان يضحك حينما أرسب كأنه قد حدث شىء يتوقعه.. ويربت على كتفى ويقول فى سعادة.. إنت قموره.. مدارس إيه؟!.. إنتى تقعدى فى البيت زى الملكة والدنيا تجرى وراكى.. والعرسان يبوسوا إيديكى.

وحينما كنا نجتمع كلنا ونتحدث.. كان أبى يتناقش مع إخوتى ويدخل فى معركة كلامية حامية مع كل فرد إلا أنا وكأنما التفكير كلفة غير طبيعية بالنسبة لى.. وحينما كنت أحاول الكلام كان يردنى برقة قائلا.. عاوزه تقولى إيه يا ملكة، إنتى تأمرى بس.. إنما الرغى ده للفراشين إللى زينا.

وفى اللحظات التى كنت انطق فيها بملاحظة ذكية.. كانت تفوت على الذى يستمع إلىّ. لأنه كان منهمكًا فى التطلع إلى وجهى وقد نسى كل شىء.

لم يكن أحد ينظر إلىّ بأكثر من أنى زينة.. مجرد زينة.. ليس لها أن تقوم بأى دور جاد.

وبدأ يداخلنى شعور بالتفاهة والهيافة فلا أحد يشركنى فى همومه، ولا أحد يوكل إلىّ بسر يخشى عليه أو بعمل يحرص عليه.. وإنما أنا بمثابة لحظة التسلية بالنسبة للجميع.

وكان طبيعيًا أن أفشل فى دراستى وأن أترك المدرسة وأبقى فى البيت.. ثم أتزوج وأنا صغيرة.

وكان زواجًا تعيسًا.. أتعس ما فيه جمالى.. فزوجى لا يصحبنى فى خروجه لأن جمالى فضيحة تلفت النظر فى كل طريق.. وهو يسجننى فى البيت لأنه يغار علىّ.. وهو يشك فى سلوكى.. وهو يفقد ثقته بنفسه كلما ازداد إحساسًا بجمالى وبالتالى يشعر بعجزه عن أن يحكمنى فيزداد فى شكه وغيرته وقسوته.. ويزداد فى اسرافه لكى يرضينى بالملابس الباهرة والجواهر.. وازداد أنا إحساسًا بالتفاهة وازداد شقاءً.

حتى بطاقات الدعوة التى كانت تأتينا فى أفراح الأصدقاء كان ينظر إليها فى شك وريبة وقد خيل إليه أن صديقه يدعوه من أجل أن يرانى لا من أجل أن يراه هو.

وكان من الطبيعى أن ينتهى مثل هذا الزواج بالفشل والطلاق وأنتهى أنا إلى حالة من اليأس لا ينفع فيها علاج.

إن جمالى كان لعنة على.

إنى أتمنى الآن أن أفتح عينى فأجد أنى قبيحة.

إن إحساسى بجمالى أصبح مثل إحساس الغنى الذى يظن أن كل من يحبه فهو يحبه من أجل ثروته لا من أجل شخصيته.. نعم.. أنا أيضا يخيل إلىّ أن لا أحد أحبنى لشخصى.. وإنما جميعهم أحبوا فى صورتى وهذا يعذبنى.. ويشعرنى بتفاهة شخصيتى ويحرمنى من لذة احترامى لنفسى.

لقد بدأت أعتقد أنه لا سبيل إلى السعادة.. أبدًا.. فالثروة

تشقى.. والجمال يشقى.. والحب يشقى.. والعقل يشقى.. أين السعادة إذن.. وأين أجدها.

* * *

السعادة ليست فى الجمال ولا فى الغنى ولا فى الحب ولا فى القوة ولا فى الصحة.

السعادة فى استخدامنا العاقل لكل هذه الأشياء.

إن رؤية عقلك وهو عاطل.. وإحساسك بقلبك وهو عاطل.. وإدراكك لشخصيتك وقد عطلها جمالك وغباء الذين عرفوك.. هو سبب تعاستك.

لقد كنت تدركين طوال هذه السنوات أنك تعيشين بسطحك فقط. بشكلك ومظهرك.

كنت كالفستق الذى نسيه الناس وأكلوا القرطاس لأنه ملون وجميل.

كانت حقيقتك معطلة.. ومواهبك معطلة.. والسعادة هى أن نعيش كل لحظة.. بكل ما فينا.

ولكنى لا أجد ما يدعو إلى اليأس.. فمازلت فى العشرين.. فى بداية الطريق.. وحياتك مازالت حافلة بالفرص.. ألق بالسنارة مرة أخرى وجربى من جديد.

جناية المهنة

منذ صغرى وأنا أحلم بأن أكون شيئًا مهما فى الدنيا.. مخترعًا أو فنانًا.. أو زعيمًا.

وفى مراهقتى أحببت جارتى التى كنت أراها واقفة فى النافذة. وكنا نقف كلانا بالساعات فى النافذة ننظر إلى بعض ولا نتكلم.

وأرسلت لها أكثر من مائة خطاب كلها شعر.. وكنت أبكى فى فراشى كل ليلة.

ورسبت ثلاث سنوات بسببها. ومع هذا لم يحدث بيننا شىء لم نتكلم ولم نخرج إلى أى مكان.

وحينما علمت بنبأ خطوبتها وزواجها.. مرضت ولازمت الفراش شهرًا كاملا.

وحينما قمت من فراشى حاولت أن أغرق همومى فى هواية الموسيقى، ودخلت معهد الموسيقى الشرقية لأتعلم الكمان فى أوقات فراغى.. ولكنى توقفت فى منتصف الطريق وأصابنى الملل من دراسة النوتة والسولفيج والمقامات.. واكتفيت بالتردد على المعهد كمستمع ومتفرج.

وفرغت من دراستى الجامعية.. وتوظفت.. وزوجنى والدى من بنت عمى.

ولا أستطيع أن أقول إنى أحب زوجتى.. ولا أستطيع أن أقول إنى أكرهها. ولكنى دائمًا أبحث عن سبب للنكد.. انفجر مرة من الغيرة على سبب تافه.. وأصر مرة أخرى على مطالب بعينها لمجرد الإصرار ولمجرد التحكم.. وأتعلل مرة ثالثة بهفوة بسيطة فأخاصمها وأعتزل وحدى فى غرفتى حزينًا تعيسًا.. وأحيانا أبكى وحدى فى موجة هذه التعاسة الوهمية.

وأنا أعمل الآن محاسبًا فى السكة الحديد.. وأعيش نصف يومى فى الأرقام والحسابات والدفاتر.. وقد بدأت هذه الحياة الجافة تؤثر فى أعصابى.. وبدأ الجفاف يتسرب من الدفاتر إلى أيامى كلها.. وجفت عواطفى.. وتحولت الدنيا فى نظرى إلى محاسبات وتبادل منافع، وماتت أحلامى القديمة.. وماتت أشعارى.

وأنا أتساءل أحيانًا فى ألم : أيمكن أن تجنى المهنة على صاحبها بهذه الدرجة؟

لماذا أنا تعيس إلى هذا الحد.. ماذا أفعل؟!

❊ ❊ ❊

تساؤلك فى الحقيقة مضحك.. ومعناه أن الجزار يمكن أن ينظر إلى الدنيا على أنها جزارة.. وينسى ويقطع ورك زوجته ويعمل منه

كستليته ويقول.. أنا تعيس.. ماذا أفعل أيمكن أن تجنى علىّ مهنتى إلى هذا الحد.

والمهنة فى الواقع لا تخنق العاطفة وشعراء المهجر وهم أرق الشعراء عاطفة كانوا كلهم تجارًا.

ومشكلتك الحقيقية ليست مهنتك ولا زوجتك.. ولا حبك.. مشكلتك هى أحلامك.

كان حلمك منذ البداية أن تكون شيئًا.. أن تكون مخترعًا أو فنانًا أو زعيمًا.. ولم تستطع أن تحقق هذا الحلم فاكتفيت بأن تخترعه فى خيالك.

قصة حبك كانت وهمًا.. اخترعته أنت من طرف واحد.. واخترعت كل ما فيه من أحزان ونكبات.

وقصة الموسيقى بدأتها بحماس الفنان وأنهيتها بخيال المتفرج الذى يكتفى بالوقوف فى قاعة البروفات يحلم.

وكان لابد فى النهاية من أن تخترع لك زعامة وهمية لتحقيق بعض أحلامك فبدأت تفتعل الأزمات فى بيتك لتثير الشغب.. ولتصدر الأوامر.. وتحكم.. وتتحكم.

فى النهاية اخترعت عذرًا تسند إليه كل فشلك.. وهو مهنتك الجافة التى سلبتك عاطفتك.. وقتلت أشعارك العظيمة فى مهدها.

قصتك تذكرنى ببطل فى إحدى مسرحيات أبسن كان يحلم

بأن يكون صيادًا خطيرًا يصيد السباع فى الغابة، وانتهى فى النهاية إلى رجل سكير يربى البط فى غرفة ثم يدخل ليصطاده بالبندقية.

والحل الوحيد. هو أن تواجه حياتك وتفتح عينيك على واقعك.

حكاية الكرامة

أنا طالب بكلية الآداب.. عمرى تسعة عشر عامًا. تعرفت بفتاة جميلة جدًّا وظريفة وصوتها أعذب من صوت شادية.

من النظرة الأولى قلت لها.. أحبك.. وبينى وبينك قلت هذا لكى أبرر قبلاتى.. ولكنها صدمتنى بقولها.. أنت كذاب وكلامك فاضى.. هو الحب كده لعبة فى بقك تقوله لكل واحدة.. وفى هذه اللحظة أحسست أنى مجرم وأنى أحتال لأوقع بفتاة بريئة فى شباكى.. وشعرت بفداحة ذنبى.. ومنذ تلك اللحظة بدأت أحبها بحق وحقيق.. وبكل جوارحى.

ولا أنكر أنه كانت لى علاقات قبلها.. ولكن كلها علاقات على الماشى.. حب بالكلام فقط.. من أجل الوصول إلى لذات مؤقتة وأحيانًا كنت أنتفع من هذه العلاقات.. كانت إحدى جاراتى تبعث لى بأشهى ما يحضره أبوها من فاكهة.. وأطيب ما تطهيه أمها من طعام.. وكنا نقضى معًا أوقاتًا سعيدة.. ثم أنسى كل شىء بمجرد أن أفارقها.

أما هذه الفتاة فقد أحببتها جدًّا.. وانشغلت بها ليلى ونهارى

وغنت لى أغانى الحب والهيام.. مكسوفة لشادية.. علشانك أنت أنكوى بالنار والقح جتتى.. ليلى مراد.. أول لقانا كان هنا.. باحلم بيك.. أغانى الحب كلها.. ووعدتها بالجد والمذاكرة حتى أنجح ونتزوج.. وصرت أسهر حتى الثالثة صباحًا يوميًّا للمذاكرة.. وفجأة انقطعت عن مقابلتى.. ومرت شهور وأنا على نار.. وأرسلت إليها زميلة فى الكلية ومعها خطاب منى..

وعادت الزميلة لتقول إنها ستتزوج.. أبوها مصمم على أن يزوجها من يوزباشى.. وفى يومها حاولت الانتحار بابتلاع زجاجة أسبرين.. ولكنهم أنقذونى.. وزارتنى فى المستشفى.. وطيبت خاطرى.. وقالت لى إنى أخطئ كثيرًا بهذه التصرفات.. ونصحتنى بأن أكون عاقلا.. فكل ما بيننا لا يزيد عن صداقة.. وليس هناك داع لهذا الجنون.

وحينما خرجت من المستشفى تأكدت أنها تحب هذا اليوزباشى.. وتقابله كل يوم.. وتريده زوجًا لها.. ولا دخل لوالدها فى المسألة.

وشعرت بأنى أنهار.. وأتحطم، وأفقد ثقتى بنفسى وأفقد كرامتى.

مزقت صورها لأستريح.. وأحرقت المنديل الذى أهدته لى وعليه طبع شفتيها.. ولكنى لم أستطع نسيانها.

وفقدت مرحى وبهجتى.. وفقدت القدرة على المذاكرة.. وعلى النوم وصرت أسرح كثيرًا.

كانوا يسموننى مهرج الكلية.. ولكنى الآن أسير كأنى أسير فى جنازة.

هذه الفتاة طعنتنى فى كرامتى.. وشخصيتى..

أفكر أحيانًا فى أن أضربها علقة ساخنة.. وأضرب اليوزباشى معها وأرسل إلى والدها الخطابات التى أحفظها عندى بخطها.. ثم أعود فأجبن لأنى أحبها.

حالتى النفسية قلقة.. وأخشى الرسوب هذا العام.

أحيانًا أشعر برعدة وقشعريرة وأنا فى فراشى.. من فرط الأرق والتعب.. والعذاب النفسى.

سيدى.. ماذا تسمى مثل تلك الفتاة.

الفتاة التى تعطى صورها لشاب وتغنى له أغانى الحب والهيام.. وتخرج معه.. ثم تجىء فى النهاية وتقول له.. هذه كانت صداقة.. وتتركه وتحب رجلا آخر وتتزوجه.

❊ ❊ ❊

وماذا تسمى أنت ما يقوله ولد وغد يغازل جارته ويقول لها أحبك ويأكل الفاكهة التى يشتريها أبوها.. ويلهف الأطعمة التى تطهيها أمها.. ثم يذهب بكل بجاحة إلى فتاة أخرى ليقول لها أحبك.. تزوجينى.

أنت ولد عبيط وقد أخذت حقك من الأدب على يد صاحبتك.

وأنت عبيط لأنك تجعل كرامتك وثقتك بنفسك فى مستوى لعب البنات.. كلما خاصمتك البنت التى تحبها فقدت كرامتك.. وعزتك وقعدت تعيط.. وترتعش فى السرير.

وإذا كنت ناوى تفقد كرامتك مع كل أغنية من أغانى شادية.. يبقى مش حا تخلص.

كرامتك حا تستحمل إيه.. والا إيه يابنى.. على مهلك شوية.

الغولة

تزوجت فى سن مبكرة حينما بدأت أقتحم ميدان العمل.. كان هدفى الاستقامة والاستقرار.

وتزوجت موظفة.. وفى بحر أسبوع دخلنا.. ولم تكن عندى فكرة عنها.

ومنذ هذا اليوم وأنا أتعس إنسان فى الدنيا.. انهارت آمالى لم أكن أتصور أن أتزوج امرأة بهذه الصفات.. امرأة لا هم لها إلا المشاجرة والسباب بألفاظ فاضحة.. إذا لم تتشاجر معى تشاجرت مع أولادها أو الخدم أو السكان أو أمها أو إخوتها.

البيت الذى أثثته بأفخر الرياش حولته إلى أسطبل ينام فيه الذباب.

عشت معها أكثر من عشر سنوات كانت حياتى معها عبارة عن سباب بألفاظ تجرح العفة.. ومشاجرات ومحاضر فى أقسام، وتحقيقات فى النيابات.. وقضايا فى المحاكم.

حاولت إدخالى السجن بعد سنة من زواجى منها.. ذهبت إلى البوليس وادعت أنى سلبتها مجوهراتها.. وحررت محضرًا بهذا.. ثم

أفرجت عنى النيابة بعد مبيت ليلة فى السجن..

لايوجد أحد يطيقها.

أهلها تبرءوا منها ولم يحاول أحد منهم أن يزورها خوفًا من لسانها، والموظفون الذين يعملون معها يتحاشونها لسفاهتها.

ومع هذا عشت معها وصبرت على قرفها، لأنها، وإنصافًا للحقيقة، برغم كل عيوبها.. امرأة شريفة.. ليست من ذلك النوع الخليع المتبرج من نساء هذه الأيام. ليست هى الزوجة التى يعيش معها الزوج وعيناه فى وسط رأسه.

كنت دائمًا وبرغم شراستها.. أعيش فى نعمة الاطمئنان على أن عرضى مصون.. ولن يطوله أحد.

لم يوجد الرجل الذى استطاع أن ينظر إليها نظرة.. كده.. أو كده.

وأنت تعلم ماذا تعنى هذه الراحة بالنسبة للزوج، وخصوصًا فى هذه الأيام اللى يعلم بيها ربنا.. هذه الأيام التى تخرج فيها الزوجات إلى الخياطة والكوافير وطبيب الأسنان.. والاسم مشاوير.. وهاتك يادوارة ومسخرة فى شقق الرجالة العزاب.. والزوج الغلبان قاعد فى البيت بقرنين.. نهايته.. كان من الطبيعى أن أحتملها بكل قرفها.. وطبعها الحاد المشاكس وقذارتها فى سبيل راحة بالى.

حتى جاء يوم ومرضت مرضًا خطيرًا.

ونسيت كل ما سببته لى من آلام.. وفعلت المستحيل من أجل إنقاذها لتعيش لأولادها.

ولم أبخل عليها بالمال ولا بالوقت ولا بالراحة ولا بالرعاية كنت أجوب القاهرة باحثًا عن الأدوية التى تلزمها.. وكنت أحيانًا أسافر لأبحث لها عن دواء نادر.. حتى شفيت.

ولكن طبعها ازداد حدة وعصبية.. وأصبحت تثور لأتفه الأسباب وتطلب منى أن أطلقها.. فأطيب خاطرها وينتهى كل شىء.. ثم تعود الثورة لسبب تافه آخر.

وآخر مرة عدت إلى البيت متأخرًا بالليل، فوجدت الباب مغلقًا من الداخل.. ورفضت أن تفتح لى.. وألقت على موشحًا من النافذة..

وأنا الآن أفكر فى الطلاق.. ولكننى فى نفس الوقت أشعر بالحيرة واليأس.

كيف أعيش وحدى بعد الطلاق.. ماذا أفعل.. هل أتزوج مرة ثانية.. وكيف أضع عرضى وسمعتى بين يدى واحدة من بنات الشارع اللاتى يسرن كالبلياتشو مدهونات بوية.. بنات اليوم اياهن.. وأبقى بالاسم زوج.. وأنا رايح جاى بقرنين.. على راسى

أنا حائر.. دبرنى.

* * *

إن زوجتك عندها من العيوب ما يكفى لتطليق عشر زوجات من أزواجهن.

ولكن المشكلة الحقيقية هى مشكلتك أنت.

أنت تشك فى البشرية كلها.. وتسىء الظن بدرجة يستحيل معها أن تطمئن إلا إذا تزوجت غولة.

وهذا هو الذى حدث بالضبط.. لقد تزوجت غولة.. وكانت شراستها بردًا وسلامًا على قلبك.. كانت بركات وحسنات بالنسبة لك.. ومسكنات ومهدئات لداء الشك الذى يأكل عقلك.

وأنت تخطئ جدًا حينما تتصور أن الخيانة الزوجية شائعة بهذه الدرجة.

تخلص من عقدتك وتزوج.. وسيبك من حكاية القرون دى.

أما إذا لم تستطع الخلاص من مشكلتك.. فلا يوجد حل.. استمر فى معاشرة الغولة.. أو تزوج غولة أخرى.

ميلاد صناعى

أنا فى الأربعين.. أعمل بالصحافة المصرية.. متزوج وعندى عشرة أولاد.. أحب زوجتى وأتفانى فى تربية أولادى.. مستقيم، هوايتى الوحيدة فى دنياى هى إنجاب الأطفال.

تزوجت قبل زوجتى الحالية بفتاة ولم يعمر زواجنا أكثر من عام لعدم الوفاق بينى وبين عائلتها.. فطلقتها.

وتزوجت هى من بعدى برجل آخر وأنجبت منه تسعة أطفال فى خلال ١٤ عامًا.. كنت سبقتها أنا بالأطفال من زوجتى الحالية.

والتقينا بعد هذه الأعوام الطويلة.

جمعتنا الظروف صدفة منذ عامين فى مكان.. فأخذنا نتحدث ونحكى.. روت لى ما حدث لها.. ورويت لها ما حدث لى.. وتذكرنا أيام زمان حينما كنا زوجين.. وكيف كنا نختلف لأتفه الأسباب ونتعارك.. وضحكت ونظرت إلىّ فى طيبة وحنان.. وقالت لى:

- هل تعرف يافلان.. أنى كنت أحبك.. كنت أحبك جدًّا.. ولكنى عبيطة.. ولم أعرف كيف أحتفظ بك.

واعترفت لها بدورى.. كيف كنت أحبها.. ولكن كبريائى كرجل أفسد علىّ هذا الحب.. وحول حياتى إلى مشاغبات معها ومع عائلتها.. انتهت بالطلاق.

وحكيت لها كيف بكيت بعد الطلاق.

وتندت عيناها بالدموع وأنا أحكى لها قصتى.

وعشنا مع بعض ساعة جميلة من الزمن.. وتواعدنا على أن نلتقى مرة أخرى.

والتقينا مرة ثانية وثالثة.. ونشأت بيننا صداقة عميقة ما لبثت أن تسللت إلى قلوبنا وانقلبت حبًا جارفًا.

وتيقظت عواطفى وكأنى لم أر النساء طول عمرى.

وكنا كلانا ندرك العواقب فحرصنا على ألا يشعر بنا أحد.

لى قريبة زوجها يعمل بإحدى الدول العربية.. أخبرتها بكل شىء.. فقالت لى إن شقتى تحت أمرك فى أى وقت.. وفعلا التقيت بها وذهبنا إلى قريبتى فرحبت بنا وأعطتنا الحرية التامة.

وأصبح ترددنا على هذه القريبة شيئًا عاديًا.. وبمواعيد منتظمة نرسمها معًا وبحرص شديد.

زادت مقابلاتنا.. وبرغم كثرة هذه المقابلات.. فإنى أقسم لك أننا لم نفعل شيئًا.

كنا نقضى الوقت فى الحديث.. ونتعانق.. ونتبادل القبل، ولا شىء أكثر من هذا.

ومع هذا فقد بدأت أحس بعذاب ضميرى.. أشعر أنها تسرق هذا الوقت الذى نقضيه فى الحب من أولادها ومن بيتها.

قررت أن أضغط على نفسى وأبتعد عنها.. وكتبت لها أقول: إننا غافلان نخوض فى حب يملكه غيرنا.. حب مسروق.. حب بلا هدف.. وبلا نهاية.. عودى إلى زوجك.. وليجمع الله بينكما فى الخير.. وتذكرينى.. فهذا يكفينى.. وسوف أذكرك طول عمرى.

وبرغم بعدى عنها.. فأنا أعيش فى عذاب.. وأتخيلها معى فى كل لحظة.. وأفكر فى مواصلة ما كنا عليه.. ثم أعود فأتردد.

والله وحده يعلم ما يكنه قلبى من الحب.

قل لى بربك ماذا أفعل؟

* * *

هذا حب غريب فى نشأته وظروفه.

وأعتقد أنكما صنعتما هذا الحب صناعة.

لقاؤكما بعد ١٤ عامًا بعد أن أصبح كل منكما ربًا لعشرة عيال يجرجر وراءه حياة مملة متعبة ليست فيها شاعرية ولا أحلام.. هذا اللقاء وهذه الحياة الجافة المملة هى التى دفعتكما إلى صناعة لعبة تلهوان بها.. لعبة اسمها الحب.. تنعشان بها ما بقى من أيامكما.

ميلاد هذا الحب ميلاد صناعى.. وليس ميلادًا طبيعيًا.

وقد دخلتما فيه كما تدخلان سينما.

وأعتقد أنه قد جاء الوقت لتفيقا أنتما الاثنان من هذا الوهم الذى تعيشان فيه وتعودا إلى الواقع.

ملاك أزرق

أنا شاب خجول.. وربما يكون هذا عيبًا كبيرًا.. ولكن لا أستطيع أن أتلافاه.. فقد تطبعت به ما يقرب من عشرين عامًا عشتها فى كنف أسرة أحاطت نفسها بسياج من التقاليد القديمة وجعلتها دستورًا لها.

أعمل فى إحدى الشركات بالإسكندرية.. وهى، زميلة لى بالعمل توطدت بيننا صلة الزمالة إلى أن تدرجت من ناحيتى إلى حب جارف ملأ كل قلبى.

وحاولت أن أصارحها بحبى.. ولكنى كنت أعجز عن النطق عندما أرى عينيها أو أسمع صوتها.. فكتمت حبى فى قلبى وانتظرت الفرصة المناسبة.

وكان معى فى العمل زميل آخر، رجل فى الثلاثين متزوج، له ولدان، وزوجته تعمل معنا فى الشركة.. وتوطدت صلتى بها وخصوصًا لأنى سكنت بجوارها.. وأصبحت لا أفارقها من الصباح إلى المساء.

وخطر لى أن أشرح لصديقى ما أنا فيه ربما يكون عنده حل

وأفهمته شعورى وطلبت منه المساعدة.. فوعدنى أن يساعدنى بشرط ألا أستغل حبى لأتسلى بالبنت.. وبشرط أن أتزوجها.. فأقسمت له أنى لا أهدف من هذه العلاقة سوى الزواج.. وأنى لست بالرجل الذى يلهو بعواطف البنات البريئات.

وبالفعل ساعدنى.. فخرجنا معًا لأول مرة أنا وهو وزوجته وفتاتى.. ذهبنا إلى السينما وإلى منزله مرات كثيرة.. وفتحت زوجته قلبها لفتاتى واعتبرتها أختًا.. لدرجة أنها كانت تنام فى بعض الأحيان بجوارها وإلى جانبها زوجها على نفس السرير.. وكثيرًا ما تركتها وذهبت لإسكات الطفل.

كانت إنسانة ذات قلب طيب رقيق.. وكانت تثق فى زوجها ثقة عمياء، فقد تزوجت به عن حب صادق متبادل بين الطرفين.

وتعددت مقابلاتنا.. وكنا فى كل مرة نقترب من بعض أكثر، وكنت دائمًا مع صاحبتى فى منتهى الأدب بالرغم من محاولتها إثارتى لأقبلها أكثر من مرة.. ولكنى كنت أجبن فى اللحظة التى تقرب شفتيها منى.. وكنت أخشى أن أدنس حبى.

وكان دائمًا يدهشنى منها أنها كثيرة الهزار مع صديقى.. حتى أمام زوجته.. هزار مشين فى نظرى.. وليس صديقى وحده.. وإنما كل الزملاء فى المكتب بدرجة جعلتنى أنفر منها.. وأعاتبها.. وأنصحها.. وبدون فائدة.

وتصورت أنها كانت تقصد من هذا إثارة غيرتى.. وأن هذا

الهزار هو الأسلوب الأسبور للحياة.

وفى يوم شاءت الظروف أن نتأخر أنا وهى وصديقى وزوجته فى الشركة بسبب كثرة العمل.. يومها تحدثت معها حديثًا حلوًا.. وصارحتها بحبى وكانت لحظات من أجمل لحظات حياتى.

ثم حدث أن خرج صاحبى.. وغاب بعض الوقت وطلبها.. فذهبت إلى مكتبه وغابت.. فذهبت حاملا بعض الأوراق.. وفتحت باب المكتب لأفاجأ برؤيتها بين ذراعيه فى قبلة طويلة.

وكانت صدمة عنيفة أفقدتنى رشدى فجريت إلى مكتبى وارتميت عليه وأخذت أبكى.

ودخل صديقى.. وحاول أن يعتذر.. ثم جاءت هى بوجه زالت منه كل معانى الخجل.. جاءت وكأن شيئًا لم يحدث.. ولكنى طردتها بقسوة.

كان من الواضح أنهما كانا يتخذانى ستارًا لإخفاء علاقتهما الفاضحة عن أعين الزوجة.. وأنى كنت مغفلا طول الوقت.

وكرهت نفسى.. وكرهت حياتى.

ومرت أيام ذقت فيها أقسى ألوان العذاب.. وفكرت فى تقديم استقالتى من الشركة لأبعد عن هذا الجو الفاضح.. ولكنى فقدت القدرة على اتخاذ أى قرار.. لقد ذهبت ضحيتها.

أنقذنى.

* * *

أنت لم تذهب ضحيتها.. لقد ذهبت ضحية خيالك وأفكارك.

أنت المذنب من البداية.

إن صاحبتك لم تحاول أن تبدو فى أى وقت على غير حقيقتها، لم تحاول أن تخدعك.

لقد أظهرتك على حقيقتها على الدوام، فهى على الدوام فى حالة هزار مشين مع كل موظفى المكتب.. وهى تنام مع صاحبك وزوجته على فراش واحد.. وهى تحاول أن تجرك إلى تقبيلها، وأنت تخشى أن تدنس حبك.. يا سلام.

وأنت فى حالة خيال مستمر.. أنت مصر على أن تلبسها دورًا غير دورها.. أنت مصر على أن تعاملها كملاك.. وتحبها كملاك.. ملاك إيه يابنى.. دى ملاك أزرق.

والآخر تقول لى صدمة.. صدمة إيه ؟.. فين الصدمة دى، ده نهاية طبيعية جدًا وظاهرة منطقية ومتوقعة.. واضح أن المكتب كله بيبوسها.. مش صاحبك بس.

فين الصدمة هنا.

أنت أصلك مخبوط فى عقلك.

أنت المذنب.. لقد كنت طول الوقت تضطهدها وتطالبها بصفات ليست فيها.. إنها مخطئة فى حق نفسها صحيح ولكنها بريئة من دمك.

امسح دموعك.. وقوم روح شغلك.. وتانى مرة ما تحاولش تفرض خيالك على الناس.

البكاء لن ينفع

فى ١٩ يونيو ١٩٥٨ كنت قد انتهيت من امتحانى فى الجامعة وكنت أشحن عفشى فى عربة العفش التقليدى لكل طالب.. سرير ومكتب وكرسى ودولاب صغير.. وفى جيبى مفتاح أعطاه لى أحد أصدقائى لأقيم بشقته طيلة العطلة الصيفية.

ودخلت البيت ليلا حتى لا يرانى الجيران مع عفشى الحقير، وكان من عادتى أن أقوم بكل لوازمى البيتية بالليل.. أغسل وأكنس وأمسح وأنظف الأطباق بالليل.. وفى النهار أقوم بالطبخ.

وفى إحدى الليالى، كنت راجعًا حوالى الثانية عشرة، سمعت صوت بكاء ونشيج فى الشقة بجوارنا.. ثم فتح الباب وخرجت منه سيدة.. تجاوزت الثلاثين من عمرها، ممتلئة الجسم قليلا طويلة بيضاء متوسطة الجمال مثيرة الأنوثة (عرفت بعد ذلك أنها مطلقة منذ أكثر من ثلاث سنوت).. ونظرت إلىّ فى استنجاد وانفجرت تبكى.. فقلت لها فى خجل وخوف.. مالك.. فقالت والدتى خرجت من الصبح وماجتش لدلوقت.. وهى واحدة ست كبيرة.. وخايفة يكون جرى لها حاجة. فاقترحت عليها أن تتصل بأقاربها علها تكون هناك.

فأعجبتها الفكرة وأبديت استعدادى لمصاحبتها.. ورحنا نلف على بيوت الأقارب واحدًا بعد آخر حتى وجدناها بخير.. ورجعنا فى وقت متأخر فى سيارة أجرة.

وفى اليوم التالى جاءت أمها وبقية العائلة تشكرنى. فتعرفت عليهم وتبادلنا الشاى فى طهارة وحسن نية.. ولم أشعر أكثر من أنهم جيران طيبون.

وبعد شهرين ذهبت فى رحلة إلى معسكر صيفى فى الإسكندرية وغبت عشرين يومًا.. ثم رجعت فقابلتنى السيدة فى حرارة ودخلت خلفى فى الشقة وهى تسألنى عن الرحلة وعن الإسكندرية فى تلهف وخجل.. وفى عينيها بريق غريب وهى ترتعد.. وانتهى المشهد بأن خطفت منى قبلة وجرت بعدها إلى شقتها.

وتعاقبت الأيام والشهور وتطورت القبلة الخاطفة إلى قبلة طويلة.. ثم إلى عناق أطول ثم إلى المصير المحتوم الذى تودى إليه خلوة امرأة وشاب فى العشرين رياضى ومكتمل الجسم.

وتكررت المسرحية لمدة أكثر من سنة وعرف الجيران وعرف أهلها بعلاقتنا.

وسافرت فى العطلة الصيفية لعام ٥٨ - ٥٩ وكنت أتلقى منها رسائل ملتهبة أرد عليها برفق وتعقل.

وعدت من البلد لتقابلنى بحب أكثر ولهفة أكثر ولتحكى لى

ما حدث مع أهلها.. وكيف أنهم عرضوا عليها الزواج من رجل
غنى.. وكيف رفضت وأصرت على الرفض.. وبكت واشتكت
وتشاجرت مع أهلها وهجرتهم وهجروها.. وعرضت علىّ الزواج
فكانت مفاجأة بالنسبة لى.. ارتبكت.. ثم رفضت بحجة أنى
فقير.. وبأنى مازلت طالبًا لم أكمل تعليمى.. وصغير السن.. أصغر
منها بعشر سنوات. فقالت وماله.. عندى ثروة تكفينى وتكفيك..
وسأضع كل مالى بين يديك.. وأساعدك فى تعليمك، وأخدمك أكثر
من خدامة.. وقلت لها.. إن هناك أهلى.. وهم لا يوافقون على
زواجى.. فقالت لا يهم أى شىء ما دمت أحبك وتحبنى.. ولكنى
رفضت بشدة.. وانتهى الموضوع ليتجدد بعد ذلك كل يوم ومعه
بكاء وصراخ.. وقبلات على يدى ورجلى والأرض التى أمشى
عليها.. أحبك.. أعبدك ما أقدرش أعيش من غيرك.

وفى إحدى الليالى طرق الباب بعنف وفتحت لأراها أمامى
متورمة العينين من البكاء.. وارتمت على صدرى تصرخ وتولول
بأن أهلها جلبوا لها عريسًا آخر وهم يضغطون عليها لتتزوج منه
وهى لا تريد لأنها لا تحبه ولأنه أكبر منها بعشر سنوات.. وكنت
رقيقًا معها هذه المرة ولم أشأ أن أقول لها إنها هى الأخرى أكبر
منى بعشر سنوات.

وراحت تقبلنى وتقول لى أنقذنى.. تزوجنى ولو ليوم واحد
لأسكت أهلى وأريهم العقد فيبعدوا عنى.. فوافقتها لا أدرى

كيف، ربما طيبة منى.. ذهبنا إلى محام تعرفه.. وكتبنا العقد.
وكان عقدًا عرفيًا نظرًا لاختلاف دياناتنا فهى مسيحية وأنا
مسلم.. ورجعنا إلى البيت.

واستمرت علاقاتنا كما هى.. نلتقى بالليل فقط.. وأنا فى
شقتى وهى فى شقتها.

وكنت محافظًا على مبدئى فلم أحاول أن أستغل حبها وكرمها
وغناها.. حتى السينما كنت أرفض أن تدفعها.. وأتظاهر بالمرض
حينما تنفد نقودى.. وكانت تغار علىّ من خادمتها التى لم تتجاوز
العاشرة.

واليوم وقد أكملت تعليمى وأخذت الشهادة وأصبحت أتطلع
للمستقبل ولبناء حياتى.. حاولت أن أفاتحها فى الموضوع لإنهائه
ولكنها تشبثت وبكت واشتكت.

لى عندها خطابات وصور.. والعقد العرفى إياه.. وهى متشبثة
بهذه الأوراق كما أنها متشبثة بحبى وتهددنى بأنها ستنتحر
وستكتب أنى سبب انتحارها إذا طلقتها.

وأنا لا أريد أن أكون مجرمًا.. ولا أريد أن أكون بقايا حيوان،
ولا أريد أن أثقل ضميرى بأعباء لا يطيقها.

ولا أريد أن أكون فى نفس الوقت رجلا عبيطًا تضحك عليه
امرأة.. ولهذا أشركك فى مشكلتى وأطلب رأيك.

* * *

إنك لم تترك لى رأيًا فى الواقع.. فإن سياق خطابك يشير إلى حقيقة واحدة باستمرار.. أنك لم تحبها فى أى يوم من الأيام.. هى التى اقتحمت شقتك وخطفت منك قبلة.. وهى التى كتبت إليك رسائل ملتهبة.. وهى التى عرضت عليك الزواج وهى التى قبلت قدميك لتحصل على عقد زواج ولو لمدة يوم.. هى.. هى.. دائمًا وأنت ساكت تعطيها فمك لتقبله.. وترد على خطاباتها برفق وتعقد عليها عرفيًا من باب الشفقة.

واضح جدًا أنك قد كونت رأيك من البداية.. ولست فى انتظار رأيى فأنت قد اعتبرتها سد خانة.. مدة التلمذة.. وخلاص.

والزواج يا عزيزى ليس بالعافية.. والحب لا يمكن إثارته بالإشفاق والتهديد بالانتحار.

أظن أنها ستدفع ثمن عروضها الرخيصة.. ولن يجديها انتحار.. أو صراخ.. أو بكاء.. فأنت قد كونت رأيك من زمان.

البحث عن مقياس

أنا فتاة فى العشرين.. أشتغل عاملة فى شركة.. لى أسلوب فى حياتى اخترته واقتنعت به ومشيت عليه طول حياتى.. هو أن التزم فى علاقاتى مع زملائى الأدب والاحترام فأكون صديقة للكل دون أن أكون حبيبة لأحد.. وأحتفظ بعواطفى لنفسى ولا أبتذلها وأعرضها للهوان أمام اللى يسوى واللى ما يسواش.

كانت نظريتى ألا أفتح قلبى إلا للرجل الذى يتزوجنى.. وأبتعد عن اللف والجرى.

وكان رأيى فى غراميات البنات زميلاتى.. أنها ليست غراميات فى الحقيقة.. وإنما هى مرمطة.

وكان أسلوبى هذا يلقى السخرية من الجميع.. البنات والرجال على السواء.. البنات يقلن عنى شيخة.. والرجال يقولون عنى رجعية.. ريفية.. طالعة فيها.. أليطة.. وعلى إيه ده كله.

ولكنهم مع هذا كانوا يحترموننى ويحسبون لى ألف حساب وكان أخى يوافقنى على رأيى.. ويعيش فى حياته الخاصة

كما أعيش أنا فى حياتى.. وكان هذا يعطينى القوة لأمضى فى
طريقى.

ثم حدث شىء..

أحب أخى جارتنا.. وهى فتاة معروفة بسوء السمعة.. وهو
نفسه يعلم بسوء سمعتها وسوء أخلاقها.. وكان يحكى لى أنه رآها
تمشى مع فلان على أنه خطيبها.. ثم تستبدل به فى اليوم التالى
رجلا آخر تقول أيضًا إنه خطيبها.

ثم يحكى لى أنه رآها تهرب عشيقها من النافذة لأن أخاها دق
جرس الباب.. ويقول إنها فتاة سيئة الخلق.. وإن آخرتها
حاتكون زى الزفت.

وهذه الفتاة هى التى أحبها.. وتدله فى حبها.. ثم فعل ما هو
أدهى وأمر.. تقدم للزواج منها.

وحينما صرخت فى وجهه وقلت له كيف تتزوج فتاة أنت
نفسك تعلم أنها سيئة الخلق ومشيت مع عشرة غيرك.. أجابنى فى
برود، إنه قد اكتشف أن البنت التى لها ماض أفضل بكثير من
التى لها مستقبل.. وإنها أحسن من البنت التى ليست لها تجارب.

وانهارت مثالياتى كلها دفعة واحدة.

ماذا جرى لعقولكم يا رجال.. كيف تهون عندكم العفة إلى
هذه الدرجة.. وماذا نفعل حينما نسمع هذا الكلام.

حينما نرى أن الابتذال هو الطريق الذى يوصل إلى الزواج

والاحترام والعفة والأدب والأخلاق هى الطريق المسدود الذى
لا يوصل إلى شىء.

حاجة تحير.

هل كل الرجال يقولون هذا الكلام.

ماذا نفعل لنريح ونستريح.. قولوا لنا لنعرف برنا من بحرنا.

* * *

مشكلة هذا الجيل أن كل واحد فيه يفكر على طريقته..
المقياس الواحد العام المتفق عليه ذاب وتفتت إلى عدة
مقاييس.

هناك الرجل الذى يبحث عن بنت زمان ست البيت التى
لا تخرج فى الشارع ولا تعرى صدرها.. ومقياس الصلاحية عنده
أن تكون البنت خام. وهناك الرجل الذى تعجبه البنت التى
تحمل شهادة وتخرج وتعمل.

وهناك الرجل الذى تعجبه البنت الدايرة، ولا يهمه إن كانت
خسرانه أو مش خسرانه.

والخطر كل الخطر أن ينظر كل واحد إلى الآخر ويقلده فى
ذوقه.. أن تنظرى أنت إلى أخيك ويسقط فى يدك من الحيرة..
وتشكى فى نفسك وفى سلوكك.. وتنظرى إلى البنت الخسرانة..
وتحاولى أن تقلديها فى خسارتها لتتزوجى.. وأنت غير مقتنعة

بأسلوبها.. وأنت تحتقرينها فى نفسك.. وتكون النتيجة هى الفشل المؤكد فى الزواج.. وفى الخبص.. على السواء لأنك عشت فى لون غير لونك.

لا تقولى ماذا يريده الرجال منا نحن النساء.. وإنما قولى لنفسك.. ماذا أريد أنا.

إن الرجال ألف لون ولون.. كل رجل له طلب.. وله حلم، وله نموذج يحلم به غير النموذج الذى يحلم به الرجل الآخر. الجيل مفكك ليست له راية مذهبية واحدة.

وإذا حاولت إرضاء كل الرجال، فسوف تعيشين كالحرباء، كل يوم بلون وتخسرين نفسك دون أن تكسبى رجلا واحدًا.

حاولى أن تبحثى فى نفسك أنت عما تريدين.

أنت مقتنعة بالعفة والأدب.. عيشى عفيفة مؤدبة وستجدين رجلك الذى يتفانى فى حبك.. ويجد فيك أنت نموذجه الذى يحلم به.

حذار أن تنظرى حولك إلى ما تفعل البنات.. وإلى ما يقوله الرجال.. وإلا فسيكون سقوطك مضاعفًا.. سقوط فى نظر الناس.. وسقوط فى نظر نفسك.. وهذه هى الكارثة.

إن أخاك واحد من الرجال.. والرجال ليسوا كلهم كأخيك أبدًا.. فالدنيا مازالت بخير والحمد لله.

العقل

أنا فتاة من الشرقية من عائلة طيبة.. تعليمى متوسط.. بدأت حياتى فى سن السادسة عشرة.. شاءت الظروف أن أشتغل ممرضة بإحدى المستشفيات وكنت فى تلك السن زهرة يانعة جميلة أتدفق بالمرح والحياة والنشاط.

وأقبلت على عملى برغم ما لاحظت من احتقار الناس لهذا العمل النبيل.. والغريب أن الناس يأخذون منا صحتنا وشبابنا ويبخلون علينا حتى بالتقدير والتشجيع الأدبى فى مقابل عمرنا الذى نبذله مجانًا للمرضى.

وكان لهذا النكران والهوان والاحتقار الذى أحس به فى كل مكان أثره فى نفسى.. فبدأت أفقد ثقتى بالمثل العليا والأخلاق.. وبدأت أقول لنفسى.. إذا كان هذا رأى الناس فى الممرضة.. أنها فتاة خليعة تمشى على كيفها، فلماذا أعذب نفسى بالحرمان وأضيع عمرى خلف تقدير لن أحصل عليه.. ولماذا أجرى خلف الشرف.. والشرف يتبرأ منى.

وبدأت أسهر.. وأتمتع بكل لحظة فى حياتى.. حتى أفقت فى يوم

وقد وصلت إلى السابعة والعشرين من عمرى.. ولم أعثر بعد على حب عظيم أعتز به.. أو رجل نبيل أطمئن إليه.

كل الرجال الذين عرفتهم كانوا غشاشين.. يبدون الحنان ليحصلوا على المتعة بأى ثمن.. ثم لا شىء بعد هذا.. كل حنانهم يتبخر.

غش.. وسفالة.. وانحلال.. وكذب.. فى كل مكان.. وكل رجل.

ورجعت بذاكرتى إلى الوراء.. وندمت حيث لا ينفع الندم. ندمت على كل خطوة خرجتها مع رجل.. وكل لحظة ابتذلت فيها نفسى من أجل لذه أية لذة.. ورجل أى رجل.

ولكن المشكلة الآن أن الإنسان بيكبر.. وفرص الزواج تقل يومًا بعد يوم.

وأنا تعودت أن يكون معى رجل.. وأشعر أنى عاجزة أن أرجع كما كنت زمان.. واستغنى عن هذه الحكاية.

وكلما فكرت فى المستقبل اسودت الدنيا فى وجهى.. ورحت أبكى وأمزق شعرى فى حرقة ومرارة.

* * *

إن السحر الذى يستعبد الرجل ويخلب لبه.. ويجعله يطلع يجرى على المأذون ليتزوج.. هو عقل المرأة.. عقلها أولا.. وعقلها ثانيًا.. وعقلها ثالثًا.. وبعد ذلك جمالها وفلوسها وحبها.. إلخ.. إلخ.

وهذا طبيعى لأن العقل هو أهم شىء فى الزواج.. وأهم ضمان فى نجاح الزواج.. لأن الإخلاص عقل.. والوفاء عقل.. والقيام بمسئولية البيت عقل.. وتربية الأطفال عقل.. وتدبير ميزانية البيت عقل.. ورعاية الرجل فى مرضه وفى فشله وفى إفلاسه.. عقل.. وكفالة المظهر المحترم أمام الناس عقل.

عملية الزواج كلها عقل فى عقل.

والزواج الناجح يحتاج من المرأة إلى التعقل.. لأنه يحتم عليها أن تتنازل عن الكثير من هوس الشباب وطيشه ولذاته.. وتتنازل عن بعض نفسها لتتقاسم الحياة مع رجلها الذى تنازل أيضًا عن طيشه وعينه الفارغة الزايغة.. ليعيش.

ومهما كانت المرأة جميلة وجذابة وفاتنة.. فهذا لا يكفى ليغرى الرجل بالزواج منها إلا إذا كان مغفلا.

وأنا أذهب إلى أبعد من هذا.

أنا أبخل حتى بالهلس مع الفتاة السايبة التى تنتقل فى طيش وترخص من رجل إلى رجل.. مهما كانت جميلة وساحرة.. لأنى أشعر أنى أدلق صحتى فى بالوعة يدلق فيها الكل إفرازاتهم.. وإنى أفوز بشىء لا قيمة له اطلاقًا.

والمرأة حتى ولو كانت.. صيدة.. لا تفوز باهتمام الرجل إلا إذا شعر بقيمتها وغلوها.

ونصيحتى لك.. أن تبذلى كل عقلك وذكائك.. وإذا استطعت أن تقنعى رجلا واحدًا بأنك إنسانة ذكية وعاقلة وأنك يمكن أن تكونى محل ثقة.. فإنك ستتزوجين قبل مضى هذا العام.

تمنياتى الطيبة.. ولا تنسينى بعلبة الملبس.

الناس والظروف

بدأت حياتى فى سن الرابعة عشرة حينما بدأت أحس أنى رجل مسئول وأن على أن أساهم فى الكفاح من أجل بلدى.. ويومها انضممت إلى أحد الأحزاب السياسية وبدأت أشتغل بالسياسة وأخطب وأهتف وأنظم المظاهرات فى المدرسة الثانوية التى أتعلم بها.. وكنت حينذاك طالبًا فى السنة الثالثة.

وكما يحدث دائمًا فى مثل هذه الأمور.. كانت النتيجة هى الغرور.. والإحساس بالعظمة والأهمية.

وبدأت أعامل نفسى على أنى رجل مهم.. وأنظر إلى نفسى على أنى زعيم.. وصاحب رسالة.. ولا يهم أن أرسب فى الجغرافيا أو الكيمياء.. فالزعماء ليسوا فى حاجة إلى كيمياء.

ورسبت أكثر من سنة فى دراستى الثانوية.. وقضيت سنوات الدراسة دوبل.

وكان يحدث أثناء موجات الاعتقال.. أن أتوقف عن نشاطى السياسى.. وأبدأ فى شغل فراغى بالاستغراق فى شرب الخمر والعلاقات النسائية.. وكلهن نسوة محترفات بالطبع.. وكانت

المسألة تبدو لى جزءًا من الزعامة والباشوية التى أسعى للحصول عليها.. فهكذا يفعل الباشوات أيضًا.. يشربون ويسكرون ويعربدون مع النساء فى أوقات الفراغ من الزعامة.

ودخلت كلية الحقوق.. وتخرجت محاميا.. وفتحت مكتبًا فى القاهرة تعبت فيه كثيرًا.. لم أكسب مليمًا.. وفكرت فى العودة إلى بلدى لأمارس مهنتى.

وكان حظى فى البلد أحسن من حظى فى القاهرة بكثير.. ونجحت وكثرت الفلوس فى يدى.. وانهالت القضايا على المكتب.

وكنت فى هذا الوقت قد بلغت الخامسة والثلاثين.. وكان المكتب على كثرة شغله يترك لى نصف يوم فراغًا لا أعرف كيف أملؤه.

وكنا نجتمع أنا وطبيب المركز ووكيل النيابة والعمدة لنلعب القمار.. أو نسكر.. أو نذهب إلى بيت مشبوه حيث نجد كفايتنا من النسوة المحترفات.. وحيث نقضى ليالينا حمراء حتى الصباح.

وكنت قد نسيت أحلام الزعامة.. والباشوية.. والسياسة العليا.. واكتفيت بلذات هذا الواقع الرخيص.. أغرق فيه كلما وجدت لحظة فراغ.. ولكنى فى نفس الوقت كنت قد كبرت على هذه اللذات.. وأصبحت لا أشعر بسعادة فى هذا اللون المراهق من الاستهتار.. كنت فى الحقيقة قد كبرت على عاداتى القديمة.. وفى أغلب الحالات التى كنت أصطحب فيها هؤلاء النسوة

المحترفات كنت أجزل لهن العطاء آخر الليل دون أن أفكر فى أن أنال منهن شيئًا.

كنت أشعر أنهن نساء بائسات.. وإنى أنا أيضًا رجل بائس مثلهن.

وفى هذه المرحلة الحرجة من حياتى.. قابلتها لأول مرة.. فى بيت من هذه البيوت المشبوهة.. وكانت حاملا فى شهرها الثالث.

فتاة فى العشرين ذهبية الشعر.. جميلة.. جمالها هادئ طيب برىء حزين.. لا تتكلم إلا قليلا وتعيش فى وسطها الردىء.. وكأنها لا تنتمى إليه.

وقضيت معها ليلتى.. وتعدد لقاؤنا.. مرة.. ومرات.. وعرفت أنها تعول أمًا مريضة مشلولة.. وأخوات صغيرات فى المدارس.. وإنها العائل الوحيد لهذه الأسرة بعد وفاة الأب مصدورًا.

وتعرفت على أمها وأخواتها.

وحدث فى هذه الأثناء أن جرحت فى حادث تصادم واحتجت إلى عملية نقل دم.. ومثل هذه العملية فى قريتنا تحتاج إلى يومين.. فالقرية تتصل بالمركز والمركز يتصل بمستشفى البندر ويطلب عربة إسعاف تحمل الدم حتى لا يتلف.. وإلى أن يحضر الدم يكون الجريح فى العادة قد شبع موتًا.

والذى حدث فى تلك الليلة أنى فتحت عينى فوجدتها جالسة إلى جوارى.. وعرفت أنها تبرعت بلتر من دمها.. من أجلى..

وهكذا توطدت علاقتنا.. وبدأت تكشف لى الأيام عن روحها الطيبة الشفافة.. ونفسها التواقة إلى حياة العفة.. وكانت تقول لى دائمًا إنى أشعر أنى بحبك أنجو من الهوان.. إن حبك هو عذرى الوحيد الذى أتعلل به لأحترم نفسى.. أنا بدونك إنسانة ميتة إنسانة ساقطة تمامًا.

وهكذا مضت الأيام تنسج لنا خيوط حب عميق متين.. وأمل لروحينا الضالتين الوحيدتين.

واستطعت أن أحس بومضة الشرف فى روحها.. وتطلعها البائس إلى حياة نظيفة.. فيها حب.. ونظام.. ومعنى.. واستطعت أن أفهم ماضيها الطويل المشين الذى يجر خلفه ظروفًا قاسية لا قدرة لها على مقاومتها.

وأحسست أنى أفهم عذابها.. فأنا أيضا رجل فاسد أجر خلفى حياة طويلة مشينة كلها كذب وادعاء.. وأنا مثلها أتطلع بروحى إلى حياة فيها معنى وفيها حب..

وشعرت أن بيننا رباطًا لا فكاك منه..

وصارحتها برغبتى فى الزواج منها.. فرفضت بشدة وبكت وقالت إنها لا تقبل أن تسىء إلى سمعتى.. ولكنى مصر على الزواج بها..

ما رأيك؟..

* * *

الحب الحقيقى الصادق قد ينتشل المرأة من خطيئتها ويكشف لها وجه الحياة الشريف الجميل النقى.. تمامًا كما ينتشل الرجل من فساده واستهتاره.

وأنا لا أستبعد على امرأة خاطئة أن يردها الحب إلى مشاعرها الإنسانية النبيلة.

ورأيى أن الزواج مسألة شخصية جدًا..

افعل ما يدلك عليه قلبك وإحساسك.. فحياتك ملك لك وحدك..

تلفيق التهم

أنا فتاة فى السابعة عشرة من عمرى فى الثانوية العامة فتاة لم أذق طعم الحب ولم أره فى حياتى.. وهذه هى مشكلتى!

كثيرات من بنات جنسى يروين لى مغامراتهن مع أحبائهن.. وعن جمال الحب وعذابه وسهره وأنينه.. وأجلس أنصت لهن ويدى على خدى ودموعى فى عينى.. ويسألنى فى النهاية على قصة حبى فلا أجد شيئًا أقوله.. فليست لى مغامرات وليس لى عشاق ولا محبون.

سألت مرة والدى عن معنى كلمة الحب فقال لى إنه ترابط قلبين مخلصين إلى الأبد وهو شعور جميل جدًّا..

وسهرت ليالى كثيرة أفكر فى كلامه.. وأسأل نفسى.. هل أنا بلا قلب وبلا إحساس.. هل أنا إنسانة مجردة من الشعور؟

واخترت شابًّا طيبًا يسكن بجوارى.. صغير جدًّا فى السن، وبدأت أقول لزميلاتى إنى أحب هذا الشاب.. وأزين لنفسى أنى أحبه فعلا.. لأثبت لنفسى أنى فتاة ذات قلب ينبض بالشعور

والإحساس.. وإنى فتاة ذكية عرفت كيف تحب وكيف تختار حبيبها.

ولكن صاحباتى يقلن عنى إنى ساذجة جدًّا.. وإنى لن أنجح فى الحياة.. هذا مع العلم أنى دائمًا من الأوائل فى مدرستى. أظن أنك تضحك الآن.. وتقول عنى فتاة مراهقة.. لا.. أنا لست مراهقة.. أنا بنت ناضجة.. ولكن كل ما فى الأمر أنى لم أحب ولم أجرب مطلقًا.. ولهذا أشعر بنقص شديد.. وضيق.. وعذاب.. حينما تقول عنى صاحباتى.. أنى ساذجة.

هل تتصور أنى عندما أدخل فيلمًا فى إحدى دور العرض ويكون فيلمًا غراميًا مثيرًا.. وأرى مناظر الحب والغرام.. أشعر بالبكاء.. وأشعر بغصة الدموع فى حلقى.. وتنتابنى طوال عرض الفيلم مشاعر متفاوتة من اللذة والألم والنقص.. النقص لأنى لم أحب.. ولا أعرف ما هو الحب كما تعرفه زميلاتى.. وأظل طول الليل ساهرة أحاول أن أطرد هذه الكلمة من مخى.. الحب.. الحب.. وتظل الكلمة تطاردنى.. وتأكل مخى.. بلا نهاية.. ماذا أفعل؟

* * *

أولا أحب أن أقول لك إن هذه السن.. سن السابعة عشرة هى سن الفشر والأوهام والخيالات.. ومعظم الحكايات التى تحكيها لك صاحباتك فشر فى فشر.. فالبنات والأولاد يلذ لهم فى

هذه السن أن يتخيلوا وقائع لا أساس لها.. ومغامرات لا أصل لها..
ثم يحكونها لبعضهم البعض على أنها مآس.. ودرامات حب عنيفة
جربها كل منهم واكتوى بنارها وبكى واشتكى.. وسهر الليالى..
وكل مأساة من هذه المآسى لا تزيد فى أصلها عن قصتك أنت
وجارك.. قصة لا معنى لها.. يصنع منها الخيال مصيبة وكارثة من
كوارث الهوى الخرافى.. ويروح كل واحد يقنع نفسه، ويقنع
أصحابه بأنها حقيقة.. وأحيانا يصدق نفسه ويبكى فعلا..

أما الحب الحقيقى فهو فى نظرى شعور ناضج عميق.. وهو
لا يمكن أن يواتى الرجل أو المرأة قبل العشرين.. لأنه يحتاج إلى
درجة كبيرة من النمو العقلى ومن اكتمال الخبرة.

الحب ليس بالشعور الذى نطلبه ونجرى وراءه لمجرد
التقليد.. ولمجرد أننا سمعنا أن فلانًا أحب.. نأخذ ذيلنا فى أسناننا
وطيران على أول جار واقف فى الشباك.. ونروح نازلين فيه حب..
ده كلام فارغ ودى هى المراهقة فعلا.

الحب شعور تلقائى يغزو القلب من تلقاء نفسه.. بدون
استدعاء.. وبدون أن نرسل له التماسا.

وحب السابعة عشرة لا يمكن أن يكون حبًّا.. إنه فضول..
نزوة شهوة.. لعب.. أى شىء إلا أن يكون حبًّا.

اشكرى ربك على أنك لم تتورطى فى هذه الحماقات.. وتأكدى

أنك لست ناقصة.. وإنما أنت عاقلة.. لا تتعجلى نصيبك..
ولا تلفقى الأكاذيب لترضى بها فضولك.

اتركى قلبك على سجيته.. وتأكدى أن الحب سيطرق بابك فى
حينه.

عدو النساء

أنا عدو النساء رقم واحد..

واعذرونى إذا كنت أتجرأ وأشتم كل النساء.. فأنا وصلت إلى حالة عصبية فقدت فيها عقلى.. واتزانى.. وسماحتى.. وأدبى.. وأخلاقى..

واسمعوا حكايتى..

منذ ثلاث سنوات.. فكرت فى أن أتزوج.. وأكمل نصف دينى.

وكأى رجل يدخل السينما ويقرأ المجلات ويختلط بالناس وينظر بعينيه باليمين وبالشمال.. كان أملى الوحيد هو أن أتزوج امرأة جميلة.

وشكرًا للظروف الطيبة.. فقد وجدت هذه الجميلة..

وأى جمال..

جمال صارخ..

بشرة بيضاء بلّورية.. عود لين ملفوف سرح.. شعر ذهبى يرقص ويتمخطر على الكتفين.. عيون واسعة كعيون الغزلان..

فم أحمر متوهج مثل الكرز.. ساقان مثل السيقان التى تزين إعلانات جوارب النيلون.. يدان ناعمتان مترفتان مثل يدى الجيوكندا..

جمال صارخ.. بكل معنى كلمة صارخ.

وفرحت.. وقفزت من الفرح.. ولم أهدأ حتى كتبت الكتاب.. وانتقلنا إلى بيت الزوجية السعيد.. وبدأنا أيام العسل..

وبدأت المتاعب.. والتلميحات.. وغمزات الغزل من كل جانب.. ويا حلاوته إللى ماشى على قشر بيض.. أحب السمك الرعاش.. يا ملبن أنت.. يا قشطة.. يالوز ياجوز يامكسرات وعلى باب البيت ينادى العيال الذين يلعبون فى شقاوة.. معسلة أوى يا بطاطة.. والبطاطة هى زوجتى فاطمة طبعًا..

وتضحك الست فاطمة.. وأغلى أنا من البطاطة ونار البطاطة. وأنا ذنبى إيه يارب بس.. عملت إيه؟!..

إذا تركتها تخرج وحدها عادت ووراءها خمس عربات كاديلاك توصلها للباب.. وكل عربة فيها شاب صايع مسبسب.. يفتح الباب ويهمس.. عيب الحلاوة دى تمشى على رجليها.. عيب الجمال ده.. يتمرمط فى الشارع.. الجمال ده لازم يتحط فى قصر.. فى جنة.. وأنا أقف عليها خدام.. سفرجى.. شوفير تسمحى لى يامدام أكون شوفيرك.. خدامك.. عبدك مش هاين علىّ تروحى

للبهيم ده.. الطعامة والقطقطة دى كلها تنام فى حضن شيخ غفر.. اخص على ذلك!

والبهيم إللى إخص عليه بالطبع هو سيادتى.. شيخ الغفر.. حارس أبعدية الجمال والفتنة إللى حاتودينى فى داهية.

اتخانقت ودخلت القسم أكثر من مرة واشتبكت فى أكثر من معركة بالدراع بسبب دمى الحامى.

اعمل إيه.. مش طايق..

وهى مظلومة معى.. فما ذنبها فى أنها جميلة؟

إنها لا تلبس عريان.. ولا تتمخطر فى مشيتها.. وطباعها مهذبة.. ومسلكها غير ملفت ولا خليع.. ولكن جمالها.. جمالها يصرخ..

قفلنا علينا الباب.. وأضربنا عن الخروج.. فبدأ التليفون يدق آلو.. مين حضرتك.. لا أحد.. رد يابنى آدم.. البنى آدم اتخرس ومع ذلك فالسماعة مرفوعة على الطرف الآخر والسكة مفتوحة.

وفى نص الليل يدق التليفون.. فإذا رفعت زوجتى السماعة رنت طرقعة بوسة.. ثم انقفلت السكة.. وأحيانًا تظل السكة مفتوحة.. ويدير صاحبنا تسجيلات لأغنية شادية الأخيرة.. اكمنه ياناس واحشنى.. وخصامه كمان حايشنى.. كلمته سمعت حسه.. وقفلت السكة تانى..

وأحيانًا يكون صاحبنا مؤدبًا فيكتفى بأن يتأوه على الخط..

صندوق البوسطة.. لا أفتحه إلا وأجد خطابًا للست.. كله أحلام وهيام وغرام.. والإمضاء.. معجب من الجيران..

وأبدأ فى مراقبة الجيران فى جنون..

من هو المجرم ابن الحرام.

أول شىء أقرؤه فى الصحف أخبار جهاز ضبط المعاكسات التليفونية.. ماذا تم فيه.. وكم مبلغ إيجاره.. وما هى أطول مدة لإيجاره؟..

وفى الحق أنى كنت فى حاجة إلى مليون جهاز.. جهاز لضبط المعاكسات التليفونية.. وجهاز لضبط المعاكسات البريدية.. وجهاز لضبط النظرات.. وجهاز لكشف نوايا القلوب.. وأخيرًا جهاز لضبط أعصابى وضبط غضبى حتى لا أنفجر.. وأطق.. وأموت.

ألا يوجد عمل للناس فى الدنيا إلا زوجتى.

وكرهت الجمال.. وقرفت من الجمال.. وطهقت من الجمال الذى كلفنى دم قلبى.

وطلقت الجمال.. واسترحت.

ومرت سنة.. ونسيت ما حدث لى من تحت رأس الزواج، وعدت أفكر فى تكملة نصف دينى.. وهذه المرة كانت نيتى أن أبحث عن زوجة وحشة مثل غراب البين حتى لا ينظر إليها أحد وحتى أستريح من المعاكسات والمطاردات وأنام ملء جفونى.

واخترتها.. نقاوة.. ليس فيها عضو من أعضائها سليماً، شعرها أكرت.. وجهها فيه نمش عيناها بها حول.. قصيرة لا تصل إلى كتفى.. سمينة مدكوكة كالبرميل.. لا تعرف لها رقبة من وسط من كتف من رجلين.

امرأة فيها كل العبر..

واعتبرت نفسى رجلا محظوظًا بكل هذه الوحاشة لأنى سوف أستريح من نظرات الناس.. وسوف أنام لا يدق إلى جوارى تليفون.. ولا تنزل علىّ تلاقيح الغزل.. ولا تطاردنى طوابير العربات حتى الباب..

واندبوا معى حظى التعس.. فهذا ما حدث بالفعل.. لم يفكر أحد فى أن يعاكس زوجتى.. ولم يفكر أحد فى أن يدق لها تليفوناً.. ولم يفكر مجنون فى أن يطاردنا بعربته.. ولم يفكر مخلوق فى أن يلقى لها بنظرة إعجاب.. ولم يبصبص لها كلب بذنبه.. وكانت النتيجة.. أنها جنت.. أصبحت تقف أمام المرآة ثلاث ساعات لتضع شكارة جبس على وجهها.. وتشد جسمها المدكوك بكورسية.. وتلبس سوتيان صفيح يلقى بنهديها مترين إلى الأمام.. وتلبس حذاء كعبه عشرة سنتيمترات يرفع بها إلى فوق.. وتمشى تتمخطر.. وتتقصع فى دلع.. منفر.. مقزز.. وتنظر فى تبذل.. تستجدى الالتفات والغزل من كل من هب ودب من طلبة الست

عشرة سنة الساقطين فى ثانوى إلى العجائز من أرباب المعاشات مدمنى الكحة.

وأصبحت التعليقات التى تترامى حول أذنى من ماركة.. أعوذ بالله شايف الولية.. يانهار أزرق.. أوعى تقرب منها.. دى بتعض.. دى تلاقيها ست بيت على كيفك تنضف البيت أحسن من الد.د.ت.. ده تلاقى جوزها حاططها فى البيت عشان تاكل الصراصير.. ودى حاتموت ازاى دى ياخويا.. ده عزرائيل يخاف منها.. يانهار أزرق.

ولم يعد التليفون يدق بالمعاكسات.. وإنما هى التى أصبحت تدقه وتعاكس وتقفل السكة.. وتتأوه.. وتدير أسطوانات شادية.. وتستجدى مكالمة لله.. آلو لله.

وأنا أتشنج من الغيظ.. وأخبط رأسى فى الحائط.

أليس لى حق فى أن أكون عدو النساء رقم واحد.. عدو كل حلوة.. وكل وحشة.

❊ ❊ ❊

لك حق والله العظيم.

المثقفة

أنا فتاة فى التاسعة عشرة من عمرى جميلة حاصلة على شهادة الفلسفة من مدرسة فرنسية للراهبات.. غنية.. ومن عائلة غنية.. لى أخت متزوجة.. وأخ أعزب.. بدأ الخطاب يتقدمون لى وأنا مازلت فى الثالثة عشرة من عمرى وبالطبع رفض والدى.. وكنت أحزن أحيانًا لأنه بذلك يمنعنى من تحقيق أحلامى الصغيرة فى الزواج.. فستان أبيض.. ملابس.. خروج.. نزهات.. بيت أحكم فيه بأمرى ومشيئتى.

حدث فى هذه السن أن وجدت زميلاتى يتكلمن عن الحب.. والـ «بوى فرند» والقبلات والرقص فأخذت أستمع اليهن مشدوهة خائفة.. كيف يخرجن مع شبان.. ألا يخفن على سمعتهن؟

ولكن كثرة الكلام فى هذا الموضوع جعلته فى النهاية يبدو أمرًا عاديًا ولماذا لا يكون لى «بوى فرند» مثل باقى البنات.. وهل أنا وحشة.. وكان هناك ضابط يسكن بجوارنا أخذ يطاردنى.. واستمر شهورًا بعد شهور يطاردنى بكل الطرق الممكنة.. كان

يحوم حولى فى كل مكان.. ويعاكسنى فى التليفون.. ويبكى إذا قفلت فى وجهه السكة.. ولا أطيل عليك.. قلت فى نفسى: أجرب ولن أفعل مثل صديقاتى.. لن أخرج معه.. إذا كان يريدنى حقًا فعليه أن يتقدم إلى والدى.. فالحب فى نظرى لا معنى له بدون زواج.

وقبل أن نتخذ أى خطوة.. فكرت أولا أن أصارح أخى بإعجابى بهذا الشاب.

وأطلعت أخى على كل شىء.. وفرح أخى.. واقترح قبل الخطوبة أن نلتقى نحن الثلاثة عدة مرات لكى نتعارف.. ونختلط بدون كلفة وبدون رسميات الخطوبة حتى نعرف بعضنا بما يكفى.. فإن انسجمنا كان بها.. وإن لم يكن.. قطعنا علاقتنا فى هدوء وبلا ضجة..

وهكذا خرجنا.. وتكرر خروجنا.. مرة.. ومرات.. لمدة سنة كاملة.. وكان لقاؤنا دائمًا بتدبير أخى فى وجوده.. وهكذا أتاح لى أخى فرصة نادرة لا تتاح لأى فتاة.

وأعجبت بالشاب وأحببته وأصبحت أنا التى أطلب من أخى أن نخرج ونخرج ونخرج.. وازداد شوقى وحبى.. وألح حبيبى فى الإسراع بإتمام الخطبة.. وتقدم بالفعل ليطلب يدى ووافق أبى ورحبت أمى.. وباركته العائلة.. وفرحت.. وأصبحت أسعد إنسانة فى الوجود.. وفجأة حدث أن وقع الاختيار على خطيبى للسفر فى

بعثة سنة إلى أوربا.. وطلب الإسراع باتمام الزواج ليصحبنى معه.. ولكنى آثرت الانتظار هذه السنة لأكمل تعليمى أنا الأخرى.

وهكذا سافر.. وكنت فى وداعه على المطار.. وتواعدنا على أن نكتب لبعض كل يوم..

وقد بدأنا نكتب بحماس فعلا خطاباتنا من يوم لآخر - ثم بدأت أنا أهمل الرد.. ولا أدرى ماذا حدث لى بالضبط - ولكن وجدت نفسى أتجاهله.. وشعرت بحبى يبرد ويفتر - وبينما كانت خطاباته تنهال علىّ تسأل.. وتسأل.. كنت أنا.. ولا هنا..

ولا تتعجب.. فأنا ذاتى متعجبة من نفسى أكثر منك.

لا يوجد هناك رجل آخر.. ولم أنشغل بأية علاقة أخرى.

وحينما رجع لم أفكر فى مقابلته.. ولم أرد عليه حينما طلبنى بالتليفون.. ماذا غيرنى إذن ؟.. سأقول لك الحقيقة.. إنه خوف.. خوف شديد.. رعب من شىء اسمه الزواج.

أنا أخاف الزواج.. وأرتعد منه.. وكلما سمعت عن صديقة تزوجت أكثرت من زيارتها لأعرف نتيجة الزواج.. فأراها تندم على أيام زمان.. أيام الحب.. والحرية.. والجرى.. لم أر فى حياتى إنسانة سعيدة بزواجها.. أختى أتعس مخلوقات الله مع زوجها البخيل.. أمى هى المسيطرة على البيت وأبى يخشاها.. صديقاتى يتأففن من أعمال البيت والمسئولية والأولاد والطبيخ.. أغلب الأزواج يخونون زوجاتهم والزوجات يجاوبن بالمثل. واسألنى أنا

فقد رأيت كثيرات منهم يحاولن محاولات مستميتة مع أخى.

أرجوك.. لا تقل لى تزوجيه.. فكلما اقترب موعد الزفاف أشعر أنى أكرهه.. أكرهه.

ماذا أفعل ؟..

هل سيكون معنى هذا أن أعيش طول عمرى بلا زواج.. وهل هذا ممكن.. أم أن هناك حلا ؟!

* * *

والشطة حراقة ولكننا نأكلها ونحبها.. والحياة شاقة وصعبة ولكننا نتمسك بها.

لا يوجد واحد لم يلعن الحياة.. ولكننا مع هذا نعشق الحياة ونتعلق بها ونستميت فى التعلق بها.

لا تصدقى ما يقوله المتزوجون.. إن كل شكاوى المتزوجين كذب والمتزوج هو أول من يتزوج مرة ثانية إذا ماتت زوجته.

والخيانة الزوجية نادرة.. وإذا كانت تبدو لك مألوفة ومنتشرة.. فذلك لأن الروائح الكريهة من صفاتها أن تفوح وتنتشر ويكثر حولها الكلام.. أما الزواج الناجح والعلاقات السوية.. والبيوت الشريفة فلا يسمع عنها أحد ولا يتكلم عليها أحد.. ولهذا يخيل لك أنه لا يوجد فى الدنيا شرف.

والإنسان من طبيعته الشكوى وعدم الرضا بالواقع.. ولهذا

فإن المتزوجة التى اشتكت من زواجها.. لو أنك قابلتها وهى بنت لاشتكت من وحدتها وتعاستها ومن أنها لم تجد ابن الحلال الذى ترتاح إليه وتتزوجه.

ومشكلتك الحقيقية.. أن عندك عقد المثقفات المترفات.. القلق.. والدلع.. والمال.. والضجر من كل شىء بسرعة..

وأحسن علاج لك هو معاملتك بقسوة.. لو أن خطيبك هجرك ولم يسأل فيك.. وكان أقوى منك فى شخصيته وإرادته.. لجريت خلفه تتمسحين به كالقطة.

اشرب

أنا واقع فى مشاكل لا أول لها ولا آخر.. وكلها بسبب تفكيرى فى الزواج.. ولأبدأ من أول القصة.

أنا موظف مرتبى محدود أساعد به أبى وأمى وأخى العاطل فى معيشتهم.

صارحت أبى برغبتى فى الزواج فتطوع مشكورًا هو وأمى فى البحث عن عروسة..

وبعد شهور من البحث جاء لى بفتاة قال لى إنها ستكون رفيقة العمر التى ليس قبلها ولا بعدها.

ونزولا على رأى والدى واختياره خطبت الفتاة وشبكتها.. وبعد شهور من الخطبة بدأت الخلافات تدب.. فوالدى يشترط على الفتاة أن تعيش معنا فى عيشة واحدة.. فى الغرفتين اللتين نسكنها العائلة.. ننام نحن فى غرفة.. وتنام بقية العائلة فى الغرفة الثانية.. ولم تقبل الفتاة.. وردت الشبكة ومقدم الصداق واعتبرت أنها نجت بنفسها من مصيبة.

وكعادة والدى.. أشاح بذراعه بلا مبالاة.. وقال لى: ولا يهمك النسوان على قفا من يشيل.

وذهب يبحث وينقب.. ويسأل ويستقصى.. ثم عاد ومعه عجوز غنية وارثة وشكلها على قد الحال.. وقال لى.. هى دى اللى حاتريحك.. وحاتريشك.. ولية كبيرة ومجربة وتعرف مزاجك وحاتفرح بيك.. شاب صغير وأفندى موظف تملأ عليها البيت.. وربنا يتوب عليك م الفقر اللى أنت فيه.. يالله يا شيخ اتكل على الله.. يعنى حاتاخذ إيه م الصغيرة.. ما هو كلهم فى الضلمة زى بعض.

وهذه المرة خطبت وشبكت وكتبت الكتاب فى نفس اليوم واعتبرت إن الأمر غنيمة يحسن التعجيل بها على حد قول السيد الوالد وبدأت المشكلة.

المشكلة هذه المرة أثارها الناس..

الناس اتخذوا من زواجى موضوعًا للتريقة.. ومادة للتسلية كلما شاهدونى فى طريق أتأبط ذراع الست.

حلاوتك يا بو طقم سنان..

سلامتك م الكحة..

نجيب لك لزقة..

يا شيخ روح هات لها كفن..

يارب خليكى يا جدتى..

والنتيجة طبعًا أنى بدأت أعانى من حالة عصبية ظلت تتفاقم يومًا بعد يوم حتى وجدت نفسى فى أحد الأيام أرسل لها ورقة الطلاق غيابيًّا.

وبالطبع كانت صدمة للزوجة تلقتها فى ذهول.. لم تصدق أن هذا الرجل الجربان الذى تنفق عليه يمكن أن يتجرأ ويطلقها.. هى بنت الناس وصاحبة الجاه.. واشتكتنى فى المحكمة..

وثار والدى وتبرأ منى.. واعتبرنى نذلاً..

وكانت خصومة استمرت شهورًا.

واختفت مدة.. وكنت أتلقى فيها إعلانات الحضور للمحكمة فى خوف وخجل وإحساس بالذنب.. وكنت اقتطع من مرتبى الصغير لأدفع للمحامى ووكيل المحامى.. ووقعت فى أزمة.

وكالعادة انتهت المشكلة وتصالحت مع أبى لتبدأ القصة من جديد.. فقد راح أبى يبحث لى عن زوجة ثالثة.

وكانت الزوجة الثالثة طيبة جدًّا.. لم تشترط مهرًا ولا شبكة ولم تسأل أين سنذهب بها.

وعرفت بعد الزواج.. أنه لم يكن هناك ما يدعو لأن تسأل وتشترط وتطلب.. فهى من عائلة فقيرة دقة.. تسكن فى حارة سد فى غرفة واحدة.. يبقى حاتسأل على إيه؟!..

وهى بالطبع قانعة..

ولكنى غير قانع.. وتعبان.. ولا أفهم كيف تزوجت.. وكيف طاوعت أبى كظله فى هذه الزيجات الثلاث.. وكيف لم يكن لى رأى..

الشعور بالذنب يطاردنى باستمرار.. وشعور آخر بأننى لا أستطيع المضى فى هذا الزواج.. ولا أستطيع التمثيل على نفسى للنهاية..

أريدك أن تجد لى مخرجًا علمًا بأنى لا أستطيع العودة إلى الزوجة الثانية ولا الأولى.. ولا أستطيع أن أمضى فى هذه الورطات إلى ما لا نهاية.

* * *

لا أفهم ماذا تقصد بهذه الورطات.

فأنت على حد قولك موظف دخلك محدود تنفق منه على أب وأم وأخ عاطل وتعيش معهم فى غرفتين فأنت إذن من البداية لا تستطيع أن تفتح بيتًا.. وليست لديك مؤهلات الزوج.

وإذا كانت هناك ورطة فهى ورطة الذين قبلوك وارتضوك على علاتك.

وأنت فى كل مرة تبرر خطأك بطاعة السيد الوالد أو تريقة الناس.

والحقيقة أن طمعك وليس والدك هو الذى ورطك فى الزواج

بالغنية.. ولكنك تتمحك بالوالد وهى مماحكة لا تعفيك من المسئولية فأنت لست طفلًا ولا قاصرًا ولا فتاة عذراء.. ولا عذر لك فى أن تقول.. وأنا مالى، أبويا قال لى اعمل كده.

متأسف.. ليس لك مخرج عندى.

من العدل أن تظل موحولًا فى أعمالك.

خبير بالنساء

أنا شاب، سنى ٢٠ سنة، موظف ولى إيراد غير وظيفتى من أملاك قليلة تدر على إيرادًا آخر إضافيًا لا بأس به.. أعيش حياة ميسورة ولى عربة ومشترك فى ناد رياضى.

أزاول الرياضة العنيفة.. وأندمج فى عدة لعبات.. والواقع أنى فى نفسى أعانى إحساسًا شديدًا بالوحدة.. والخجل والتردد..

اشتركت فى النادى وهويت الألعاب.. لأبعد عن نفسى هذا الإحساس ولأندمج فى الناس وأخرج من وحدتى.. وأكون علاقات.

ولكن مع هذا أشعر أنى ما زلت متحفظًا منطويا بالرغم من كل أصدقائى.. وبالرغم من طول الوقت الذى أقضيه فى حياة اجتماعية..

تعرفت على فتاة منذ سنوات.. وكانت فى تلك الأثناء مخطوبة..

وأذكر فى ذلك الوقت أنها هى التى شجعتنى على الكلام معها

وكانت حينما تلاحظ خجلى.. تقول إن الفتاة من حقها أن يكون لها صديق.. وكل رجل من حقه أن تكون له صديقة.. وأن الصداقة علاقة رفيعة.. وأن صداقة المرأة لرجل لا يمكن أن يكون فيها خيانة لزوجها، لأن الصداقة شىء آخر غير الحب.. وأنها مثلًا تحب خطيبها ومع هذا تشعر أن صداقتها لى شىء لايشينها.

والحق.. لقد أعجبتنى عقليتها جدًّا.. وكنت أرى فيها مثال الفتاة العصرية النموذجية.

وبحكم اشتراكها فى النادى معنا – فقد كنت ألتقى بها كل يوم.. حيث نلعب معًا التنس.. والبنج بنج. ونشرب الشاى ونأكل الساندويتشات.. ونثرثر فى مواضيع لا نهاية لها.

ولم أشك يومًا فى طبيعة إحساسى نحوها.. فقد كنت أكن لها الصداقة والأخوة والود والعاطفة الرفيعة المنزهة من أى غرض..

وحدث بعد هذا أن تزوجت.. وكان زوجها موظفًا فى إحدى البلاد العربية.. وكان يتغيب معظم وقته عن القاهرة بحكم عمله.. فاستمرت علاقتنا بعد الزواج كما هى.

وظلت على مواظبتها فى الحضور كل يوم للنادى..

واستمرت صداقتنا..

وكان يحدث أحيانًا أن نذهب إلى سينما. حيث نقضى الوقت نتناقش فى الفيلم ونعلق على ما نراه.

ولم يتطرق إلى ذهنى فى أى مناسبة أن أغازلها أو أظهر لها الحب، فقد كانت مشاعرنا فوق مستوى الشبهات.

وهذا سرنى كثيرًا فى إحدى المرات أن رأيتها تطلب منى خمسين جنيهًا سلفة.. فقد شعرت أنها تعتبرنى بالفعل صديقًا تثق فيه وتحترمه وتلجأ إليه وقت الشدة.

وحينما اقترحت بعد هذا أن تقسط المبلغ على أقساط رفضت أن أتحدث فى الموضوع.. واعتبرت أن المسألة منتهية.. وأن ما تحتاجه لها أن تأخذه من جيبى بدون حساب وكأنى أخوها.. أو كأنى نفسها.

وقلت لها إن هذا سوف يدخل على قلبى السرور.. ويشعرنى باحترامى لنفسى وبثقتى بعلاقتنا.. والواقع أنها لم تتردد بعد هذا فى أن تطلب منى دفعات أخرى من خمسين.. وخمسين.. وعشرين جنيهًا أخيرًا.. وكنت أبادر بالدفع بسرور وسعادة.

والحق أنا لا أكذب عليك أنا كنت أشعر بسرور بالفعل وأنا أرى علاقتنا تتوطد.. وأرى أنها تكاشفنى باحتياجها للمال من وقت لآخر.. وإنى أنا.. وأنا بالذات أكون الصديق الذى يسارع إلى مساعدتها.

هل هذا حب.

لك أن تسميه كما تشاء.. ولكنى متأكد أن مشاعرى نحوها لم تتلوث لحظة واحدة.. وظننت حتى هذه اللحظة أنى أبادلها المشاعر

الرفيعة.. والصداقة الروحية التى لا يدنسها دنس.

ولا أنكر أنى أصبحت الآن فى حاجة إليها أكثر مما هى فى حاجة إلىّ.. ولهذا أصبحت أشعر بسرور خفى كلما ارتبطت بى برباط الحاجة المادية.. وأشعر أنها أصبحت ملكى أكثر وأكثر.. وهو شعور خبيث.. يخجلنى أن أشعر به.. ولكنها الطبيعة الإنسانية.. والطبيعة الإنسانية كما تعلم لا تخلو من الشرور..

أصدقائى يقولون لى.. إنها تستغلنى.. وإنى رجل خيالى.. ولكنى أعتقد أنى رجل خبير بالطبيعة الإنسانية.. ولو أنها كانت امرأة من إياهن لتهورت فى علاقاتها معى لتستغلنى أكثر.. ولتضمن احتياجى لها أكثر وأكثر.. ولكنها طوال علاقتنا كانت مثالاً للشرف والعفة والأخلاق الكريمة.. وهذا ينفى فى نظرى أية شبهة للاستغلال.. فى حدود فهمى للطبيعة الإنسانية على الأقل والا إيه.. ما رأيك أنت؟

* * *

الحقيقة أن فهمك للطبيعة الإنسانية.. هو اللى ضيعك..

ولو أنك فكرت شوية فى الموضوع.. وفى الطبيعة الإنسانية اللى مغلباك.. كنت وجدت أن صورتها التى تظهر بها أمامك.. وهى صورة المرأة العفيفة الشريفة النظيفة المحترمة التى لا تشعر إلا بالمشاعر الرفيعة والخلجات الروحية الطاهرة.. الصورة دى هى الصورة الأقرب إلى الاستغلال.. لأنها الصورة التى رفعت

سعرها فى نظرك.. وجعلت المبالغ التى تطلبها خمسين جنيهًا فيما فوق.. أما تهورها.. فإنه لم يكن ليرفع سعرها بل على العكس يخفضه إلى شلن..

والدليل الآخر أنها امرأة متزوجة اختارت للزواج رجلًا يعمل فى وظيفة بالبلاد العربية ويتغيب أغلب الوقت عن القاهرة.. ووظائف البلاد العربية كما هو معروف وظائف مجزية.. ومرتباتها لا تقل عن ألف جنيه فى الشهر..

ومعنى ذلك إن اختيارها للزوج كان اختيارًا مبنيًا على نفس العقلية المادية.

ومع ذلك فهى تبتز منك مائة وسبعين جنيهًا فى شهور.. ليه..

خلجات روحية.. ومشاعر رفيعة برده..

فى الواقع أنا مش شايف روحية فى الموضوع.

وخصوصًا أن الصديق الذى اختارته خلجاتها الروحية وهو سيادتك.. صديق مليان ماديًا.. وعلى نياته.. والا إيه.. والا حاترجع تانى لحكاية خبرتك بالطبيعة الإنسانية.. على كيفك.

عذراء اسمها محمد

أنا وحيد والدى ووالدتى.. عائلتى غنية.. وكل ما أطلبه أحصل عليه فى الحال. وبالرغم من هذا الدلع يعذبنى الإحساس بالمسئولية.. وأشعر بالذنب حينما أرسب.. وأبكى كثيرًا..

وأنا أتلقى دروسى فى مدرسة إعدادية خاصة.. وقد رسبت فى السنة الماضية.. وبكيت كثيرًا وأفضيت لأبى برغبتى فى ترك المدرسة والاشتغال بأية شغلة.. ولكنه رفض.. وقال وهو يضحك.. ولا يهمك.. اسقط على كيفك.. اوع تزعل نفسك.. خد فلوس زى ما أنت عايز.. إحنا فلوسنا كتير والحمد لله.. نشتغل ليه.. ونتعب ليه..

وذات يوم سافر والدى إلى بلدنا بالواحات للزيارة وحينما حضر فاجأنى برغبته فى أن أترك الدراسة.. ليه يا بابا.. ده السنة فى آخرها والامتحان قرب.

ولكنه رفض وقال لى أنت مخطوب من الآن وستتزوج بعد العيد مباشرة.

وكان لهذا الخبر وقع الصاعقة على نفسى فأنا لم أتجاوز الخامسة عشرة بشهور قليلة وطولى ١٥٠ سنتيمترًا.

وتعجبت.. وانعقد لسانى من الدهشة.. وأخذت عيناى تتوسلان لأبى بالدموع.. وأخذت أبكى وأرجوه أن يقلع عن فكرة زواجى.. ففى هذا قضاء على مستقبلى.. ورحت استعطفه واستقدم الوسطاء ليستعطفوه.. ولكنه ظل يرفض بشدة.. ويقول يا بنى أنا عاوز أفرح بيك.. وأشوفك متجوز ومخلف قدامى.. وعيالك بيلعبوا حواليه.

قلت له كيف أعول زوجة وأنا غير قادر على إعالة نفسى.. فقال وهو يضحك..

عيب يا ابنى تقول كده.. أمال أنا فين.. إنت مالكش دعوة، اطلب الفلوس اللى أنت عايزها.. إنت وزوجتك وعيالك ملزومين منى أنا.. فيه حد يلاقى الراحة ويدور على التعب.. خيرنا كتير يا ابنى والحمد لله إيه لازمة الشقا..

وفشلت كل محاولاتى فى منع الزواج.. وهو مصر على إتمامه قبل العيد..

ماذا أفعل؟

* * *

من الواضح أن أباك يعاملك كالبنت العذراء قليلة الحيلة.. مش مهم تسقط أو تنجح ما دام آخرتها البيت.. ومش مهم

تشتغل ما دام ربنا ساترها وبابا ربنا يطول عمره بيديها المصروف.. وما يصحش تقول لا.. ساعة ما يجيها ابن الحلال.. عيب.. بابا عاوز يفرح بيها.. ويشوف ولادها وولاد ولادها بيجروا حواليه يملوا عليه البيت.

المشكلة ليست فقط مشكلة دلع.. لكنها مشكلة إهدار كرامة رجل تمامًا.. وإهدار حقه فى أن ينضج ويفلح وينجح ويستقل بحياته.. وإهدار حقه فى أن يحب ويختار شريكة حياته.. ويعيش الحياة كما يجب أن يعيشها..

إن أباك يريد أن يعيش حياته. ويعيش لك حياتك أيضًا..

إنه حريص على أن يفرح بك أكثر من حرصه على تفرح أنت بنفسك.. هذه أنانية فظيعة وليست حنانًا.. إنه يريد أن يحرمك من إحساسك بذاتيتك.. فى سبيل إحساسه هو بذاتيته وبأنه رجل قادر على فتح بيوت وبيوت.

تمسك بموقفك بدون دموع وبدون توسلات.. لتكن دماغك ناشفة كالحجر.. وعزيمتك ماضية كالحديد.. فأنت رجل..

عش حياتك كما تريد أنت أن تعيشها.. فأنت لا تملك إلا حياة واحدة.. وإذا أعطيت هذه الحياة لوالدك فلن يبقى لك شىء.

حب غريب

أنا أدخل اليوم عامى الثامن والعشرين.

منذ عشر سنوات وأنا أتعذب بحب صامت أحترق فيه وأذوب وحدى دون أن يعلم بى حبيبى.

وحبيبى فى الستين.. لا تدهش ولا تمصمص شفتيك فى سخرية. ولا تقل عنى مراهقة.. أوخيالية.. فهذا الحب هو الحقيقة الوحيدة فى حياتى.. والحقيقة التى تملؤنى وتصهرنى معها..

هذا الرجل فى الستين.. الذى تنظر إليه على أنه عجوز فى خريف أيامه.. هذا الرجل كان دائمًا ربيع أيامى.. كان شبابى.. وكان قلبى لا ينبض إلا له.

وقد نشأنا فى جيرة واحدة.. وكان صديقًا لعائلتنا. وقد تزوج وأنا فى السابعة عشرة وكنت أنظر إلى زوجته بحسد.. وكنت أعيش على خياله وأنام على خياله. وكنت أتمنى لو ماتت زوجته ليصبح لى من جديد كما كان دائمًا..

وقد ماتت زوجته فعلاً ومات معها طفلها الوحيد.. وعاد حبيبى يعيش منفردًا فى بيته الكبير.. يطوى ضلوعه على حزن

دائم. وتبلل عينيه دموع حائرة تأبى أن تنزل.

وفهمت أنه يعيش فى ذكرى حب واحد هو حبه لزوجته.. وأنه يحفظ لها إخلاصًا لا يموت.

وكتمت حبى فى نفسى.. وحاولت أن أنساه.. ولكنه كان يشتعل ويتأجج فى قلبى كلما رأيته بعينيه الواسعتين الحزينتين..

وكان من عادته أن يتجول فى الحديقة فى الصباح ومعه كلاب الصيد التى يقتنيها.. وهو لا يهوى فى الدنيا إلا اربعة أشياء كلاب صيده والكمان التى يداعب أوتارها فى أوقات فراغه.. وصور زوجته ومهنة الهندسة التى يزاولها.. أما أنا فلا مكان لى فى حياته.. إنه لا يشعر بوجودى.. لا يرى أنوثتى الفاضحة ولا يحس بجمالى ولا يدرك عاطفتى المتأججة نحوه.. وأنا فى اليأس الذى أعيش فيه وأمام حبه المتفانى لزوجته الراحلة لا أجد الجرأة على مصارحته.

تقدم للزواج بى كثيرون وأتيحت لى فرص للزواج لا تتاح لفتاة فى دمشق، رفضتها جميعًا.. لأنى لا أريد أحدًا سواه..

أنا زوجته أمام الله وأمام قلبى.. وسأطوى ضلوعى على سرى وأعيش وأموت له..

لعلك تقول.. لا بد أنك قبيحة لا أمل لها أن يحبها أحد ولهذا خلقت لنفسها هذا الوهم لتعيش فيه.

ولكن الحقيقة المؤسفة.. أنى جميلة.. ومثقفة.. وأحمل دبلومًا

عاليا فى اللغة الفرنسية.. وأجيد العزف على البيانو.. ومعشوقة من الجميع.. وعائلتنا ذات مركز مرموق.. وأعيش فى مجتمع ينظر إلىّ فى حب واحترام.. ولكننى لا أشعر بهذا المجتمع.. لا أشعر إلا بشىء واحد هو حبيبى.. بيننا فارق فى العمر يبلغ ٣٢ سنة ولكنى لا أشعر بهذا الفارق.

إنه شبابى.. وطفولتى.. وحياتى.

ماذا أفعل.. أنا أتعذب.

* * *

هذه عاطفة غريبة.. لو كان سنك ١٦ سنة لقلت هذه هى المراهقة بعينها.. ولكن سنك ٢٨ سنة ولك خبرة واختلاط بالرجال.. ومثقفة وحساسة.. وفنانة.. وجميلة.

لا شك أن الرجل فيه جاذبية.. فهو وحيد يعيش مغتربًا فى بيته مع كلاب صيده ومع آلة الكمان التى يبثها أشجانه ومع صور زوجته.. فهو إذن عاطفى حنون رقيق فنان موسيقى القلب مثلك.

إن بينكما شيئًا يجمعكما..

ولكن ٣٢ سنة تفرقكما وهى كفيلة بأن تسحق أية عاطفة. وإذا كانت عواطفك لم تسحق إلى الآن فالسبب أنك تشعلينها بخيالك على الدوام.. أشك فى أن هذه عاطفة امرأة لرجل.. ربما كانت صورة من صور عشقك لأبيك وهو عشق يظل مكبوتا

بحكم كونه محرمًا حتى يجد علاقة مشروعة كهذه العلاقة فيظهر فيها.

ربما كان حبًّا.

إن الامتحان الوحيد لأمثال هذه العواطف هو الواقع..

إن زوجًا فى سن الستين لا يستطيع أن يقوم بوظائف الزوج فى أغلب الأحوال.. وهو لن يكون أكثر من صديق.. هل تكفيك هذه الصداقة وأنت كما تقولين ذات أنوثة فاضحة..

هل ترتوى الأنوثة الفاضحة بلمسة حب أفلاطونى..

يشوقنى جدًّا أن أعرف مصير مثل هذا الحب إذا تحقق له الاقتران فى الواقع.. أنك على الأقل ستفهمين نفسك.. وهو لن يخسر شيئًا.. وأنا سأزداد خبرة..

معبود الأرامل

أنا شاب فى الخامسة والعشرين من عمرى ربيت فى بيت كله قسوة وشقاء فأنا لم أر أمى بل زوجة أبى فى أبشع صورها.. وكنت أبدأ يومى بعلقة تنتهى بتمزيق ملابسى وحرق كتبى وأختم يومى بكنس المنزل ومسح السلم.. وأنام على الضرب والشتم وأصحو على السباب والإهانة.

لن أطيل.. عليك.. انتهت حياتى التعليمية ولم أستطع الحصول على الثانوية العامة.. ليس ذلك لكسل أو غباء منى.. فالكل يشهد بذكائى ونبوغى وكنت طيلة حياتى الأول.. ولكن إذلال زوجة أبى وقسوتها كسرا شوكتى وحطما عقلى وذكائى.

وعملت فى إحدى الوظائف المحترمة جدًا بمرتب أكثر من عشرين جنيهًا.

لعلك تتساءل وماذا تريد إذن.. صبرًا.. فإن تلك الوظيفة لم تكن إلا كالمرهم المسكن.. مفعولها مؤقت.. فقد كانت بعقد ستة أشهر.. وينتهى العقد بانتهاء ستة الأشهر.

وانتهى العقد وانتهيت أنا أيضًا معه.. لم يعد لى عمل سوى

التسكع فى الشوارع والتطلع إلى الفترينات والأكل كل يوم عند صديق.. والمبيت عند صديق آخر.

وأحيانًا كنت أبيت فى الحدائق.. أو فى محطات سكة الحديد متظاهرًا أنى أنتظر قطار الفجر.

وأخيرًا قررت الرحيل من القاهرة.. وفى فجر أحد أيام شهر نوفمبر الماضى قررت السفر إلى الإسكندرية.. وبدأت السير من الطريق الصحراوى.

وسرت.. وظللت أسير حتى شعرت بالتعب.. فتوقفت وسط الطريق أشير للعربات لتحملنى معها.. ولكنها كانت تمرق بجوارى دون أن تفكر حتى فى أن تهدئ من سرعتها.. وساعتها كرهت الدنيا ومن عليها وتمنيت لو تدهمنى سيارة فأستريح.

وكان الليل قد حل.. وكنت قد قطعت أكثر من خمسين كيلومترًا.. وحل بى الجوع والعطش والتعب.. فارتميت فى الطريق.. وسلمت أمرى لله.. وفى تلك اللحظة مرت بى عربة فارهة تقودها سيدة. وتوقفت العربة بجوارى.. ونزلت السيدة وحملتنى معها إلى الإسكندرية وأخذتنى إلى بيتها.

ومكثت راقدًا ثلاثة أيام مريضًا بالحمى.. وفى اليوم الرابع شفيت. وأحضرت لى السيدة طعامًا وشرابًا.. وفى تلك الليلة جاءت إلىّ بقميص نوم شفاف.. وجلست إلى جوارى على الفراش.. وحدث ما لم أكن أتوقعه.. وتكرر هذا فى الليلة التالية

والليلة التى بعدها.. وفى اليوم السادس أعطتنى خمسة جنيهات وقالت لى.. تيجى كل يوم خميس فكنت أذهب إليها وأمكث عندها الخميس والجمعة وأتركها يوم السبت.. وتعطينى الخمسة جنيهات.. وتكرر هذا أسبوعًا بعد أسبوع إلى أن كان الخميس الماضى.. حينما رفضت أن تعطينى نقودًا.. وقالت لى.. إذا كنت عاوز فلوس لازم تتجوزنى.. وبشرط مؤخر صداق ألفين جنيه.. تصور ألفين جنيه.

نسيت أن أصف لك هذه السيدة.. إنها فى الخمسين من عمرها.. شكلها مقبول.. وغنية جدًّا جدًّا.. وشاذة..

هذه مشكلتى.

هل أتزوجها وأعيش طرطورًا.. وماذا يكون مصيرى حينما أفاجأ.. وأنا زوجها بوجودها مع رجل آخر.

إنها تنتظرنى.. انصحنى.

* * *

أنصحك يا أبو لمعة.. أنك تبطل فشر.. وأن تعالج فشلك بأسلوب آخر غير أن تنام على ظهرك وتحلم بأن مليونيرة غنية شاذة فى الخمسين.. هبطت عليك من السماء.. فى عربة فارهة.. وطلبت منك القرب وأعطتك خمسة جنيهات ثمنًا لرجولتك الفذة التى لا مثيل لها.

وليس أسهل عليك ولا أمتع لعقلك التعبان من وطأة الفشل

أن تحلم أنك مهبط الوحى والفتنة للأرامل من صاحبات الملايين.. وليس أسهل عليك من اختلاق المشاكل لتحتال بها على عذابك.. ولكنى لا أجد داعيًا لأن تحتال علينا أيضًا.

أفق لنفسك وحاول أن تستغل ذراعيك.. وهناك ألف مصنع جديد يفتتح فى عرض البلاد وطولها.. فى حاجة إلى شبابك.. ورجولتك.. قوم شوف لك شغلة.

سر السعادة

أنا شاب فى الخامسة والعشرين. ولا أزال فى الجامعة.. منظرى وشكلى جميل وهذا هو السبب فى تعاستى ومصائبى..

لنا جارة ولديها طفلان.. زوجها كان متزوجًا بأخرى. وكان بطبيعة الحال يتغيب عنها بين يوم وآخر.. وفى هذه الأيام كانت تحاول أن تتصل بى، بالحديث على الباب بالمصادفة ثم بالخطابات.. ثم بالمقابلة.. وتكررت مقابلاتنا ثم بدأنا نتردد على دور السينما.. ثم بدأت تدعونى إلى شقتها.. وتسهل على الأمور وتهون على المغامرة.

وضعفت أمام إغرائها. وأمام شبابى وحرمانى، وأصبح لقاؤنا فى شقتها وفى ليالى غياب زوجها عادة.

ولأعد قليلا إلى الوراء فى سنوات نشأتى.. فقد كنت ملتهب العاطفة متدفق الحيوية.. وقد بدأت صباى بحب وحيد ملك علىّ كل حواسى. ولكنى لم أستطع المضى فيه إلى نهايته الطبيعية بالزواج لأنى كنت لا أزال طالبًا. وأمامى مستقبل.

وهكذا انتهيت إلى حالة من القلق والحرمان واليأس ألقت بى

فى أحضان هذه العلاقة السيئة.

وكانت نتيجة هذه العلاقة أزمة من نوع آخر.. فى الشك.. الشك فى كل النساء.. وكل الزوجات.

وأنا أتصور دائمًا أنى سوف أتزوج. فتخوننى زوجتى. وأصبح طرطورًا أدخل البيت أشخط وأنطر وألقى أوامرى باليمين والشمال.. ثم أخرج فترتمى زوجتى فى أحضان رجل آخر.

وتقول له أحبك.. أعبدك.. أنقذنى من زوجى. أنا لا أطيقه. هذا الزوج الذى سوف يكون أنا بالطبع.

وكبرت المسألة فى دماغى. فبدأت أتلفت حولى فى أهلى وأنظر إلى أختى فى شك وريبة. ثم إلى أمى التى يبلغ عمرها خمسين عامًا. أصبحت أشك فيها هى الأخرى، وأحاسبها حسابًا عسيرًا على خروجها وغيابها.. وأسألها أين كنت. ولماذا ذهبت بمفردك لازم تفهمى أنى مسئول عن العيلة. وخناقات لا تنتهى.

وهكذا تسممت حياتى.. وتسممت أفكارى.

والآن. أنا فى عذاب مستمر. أريد أن أتزوج والشك يقتلنى.

قالت لى صاحبتى مرة.. وهى معى: ماذا تفعل لو كنت زوجى واكتشفت هذه العلاقة.. فقلت لها على الفور أقتلك.. والعجيب فى الأمر أنى أحتقرها وأكرهها.. وأحتقر نفسى لأنى أضعف وأستجيب لإغرائها لمجرد ذلك الشىء الحيوانى الذى فى دمى.

ماذا أفعل.. كيف أتزوج.. وأتصرف كزوج طبيعى. وهل هناك

أمل فى أنى سوف أكون فى أحد الأيام زوجاً طبيعيًا. وكيف الخلاص من هذه العقدة ؟.

* * *

لكل شىء فى الدنيا ثمن.. ولكل خطأ عقابه الفورى.. وأفعال الطيبين لا تذهب عبثًا. إنهم يكافئون عليها مكافأة فورية.. بسعادة القلب واطمئنان البال.

أمثالك الذين يعيشون فى تلذذ مسروق مختلس من بيوت الناس.. يفقدون راحة بالهم ويأكلهم الشك.

إنها ليست عقدة.. إنها مقابل طبيعى للفعل.

إنه فعل خال من الشرف فى جوهره وطبيعته. فعل من أفعال الخيانة يسيطر عليه الخوف والقلق.. وهو لهذا يلد الشك وسوء الظن.

ليست فى المسألة عقدة.

إن الراحة والاطمئنان والسعادة. لا يمكن أن تنشأ إلا بتحقيق الانسجام بين الإنسان وبين عواطفه وتفكيره وأفعاله وظروفه.

حاول أن تحقق هذا الانسجام فى حياتك بترك هذه القذارة والبحث عن إنسانة شريفة تحبها. وتتزوجها ولاتمارس معها الحب مع الاحتقار.

ملانكوليا..

نشأت فى مدينة متوسطة من أبوين عصاميين.. وأنا أصغر أبناء خمسة.. ثلاث شقيقات متزوجات.. وأخ فى الدرجة الثانية فى إحدى الوزارات.

وأنا فى العشرين من عمرى فى السنة الأولى من دراستى الجامعية.. مشكلتى أن هناك رغبة جنونية تستبد بى وتذلنى.. رغبة فى تحطيم أى شىء يقع تحت يدى.. أحطم الأكواب مهما بلغ سمكها.. أحطم الأطباق.. والزهريات.. أى قلم أمسك به.. أغرس سنه فى الورقة وأحطمه مهما كان ثمنه.. وأشعر بلذة وأنا أحطمه.

وحينما أقف فى طابور السينما أو الأتوبيس وأرى أمامى شخصا.. أشعر برغبة جامحة فى خنقه والانقضاض على رقبته بيدى.. وفعلا ترتفع يداى فى حركة لا شعورية إلى عنقه.. ولا أستطيع الخلاص من هذه الرغبة الا بتحريك رأسى بشدة فى عدة اتجاهات لأبعد عينى عن المنظر كله.. وأحيانًا أعمد إلى دفعه بيدى لأبعده عنى.. وقد أوقعه على الأرض.. وتحدث هذه الأشياء

كثيرًا وأنا مع أصدقائى مما جعلهم يبتعدون عنى.. ويقولون إن هزارى سخيف.. وهم يظنون ما أفعله هزارًا..

أحب السرعة فى كل شىء.. فى الأكل واللبس والمشى.. أغير أصدقائى بسرعة.. ولا أشعر برابطة وجدانية نحو أحد..

حاولت كثيرًا أن أعرف سبب حالتى وعدت بذاكرتى إلى الوراء لعلى أجد سببًا فى طفولتى.. ولكن طفولتى عادية.. اللهم إلا ضخامة هيكلى العظمى التى كانت تخيف الأطفال.. وضخامة يدى.. وضخامة كتفى، وهم فى المدرسة يسموننى الكتف الحديدى.

وفى العام الماضى حدث أن رفعت مائة كيلوجرام دون علم بوزنها.. وحاول المدرب إغرائى على التدريب.. ولكنى لم أحفل به.

حياتى الجنسية عادية.. فيما عدا إحساس شديد بالكراهية ينتابنى ونفور حاد من المرأة.

ولهذا السبب أرفض الزواج.

لى صديقة أحبها وأعبدها وتبادلنى الحب والعبادة.. وهى صغيرة وجميلة وغنية.. وأتمنى أن أتزوجها.. ولكنى لا أجرؤ على اتخاذ هذه الخطوة خوفًا من انقلاب حبى إلى كراهية حينما أعاشرها زوجيًا.

تنتابنى نوبات فجائية من الانطواء والعزلة والصمت.. فأدخل غرفتى ولا أخرج منها يومين أو أكثر.

وقد يمضى يوم وليلة لا أتحرك من مكانى حتى تدخل أمى وتنتزعنى بالقوة من الكرسى الذى أجلس عليه متجمدًا كالتمثال.. لكى آكل..

أين كان عقلى.. وكيف سكنت معدتى لم تصرخ طالبة الطعام.

إن حالتى تتدهور بسرعة.. وأنا الآن أتجنب ركوب التاكسى خوفًا من أن أنقض على السائق وأخنقه دون أن أدرى.

ذهبت إلى أطباء نفسانيين.. وحاولوا علاجى بالجلسات والإيحاء بلا فائدة.

أرجوك انقذنى.

* * *

إن الطب النفسى لا يكفى لعلاجك..

أنت فى حاجة إلى طبيب أمراض عصبية.. وعلاج منتظم فى مستشفى.

إن حالتك.. حالة مرضية معروفة اسمها الملانكوليا.. والمريض فى هذه الحالة يعانى من رغبات متسلطة.. ونوبات حادة من الانطواء والسكون والامتناع عن كل شىء حتى عن الأكل..

وهذه الحالة قابلة للشفاء بشرط المبادرة إلى الذهاب إلى مستشفى أمراض عقلية مختص.

جنون الغيرة

أنا شاب عمرى ٣٠ سنة متزوج من سنتين.. وزوجتى مدرسة بمدرسة الراهبات.. والشىء الذى لا يعرفه أحد أنى أعيش فى عذاب الغيرة.. طوال السنتين وأنا أكتوى بنار الغيرة.

زوجتى ليست جميلة.. ولا خفيفة الدم.. بل هى عادية جدًّا جدًّا.. وظاهر تصرفاتها يوحى بالثقة.. وسمعتها حسنة.. ليس عندى شىء أمسكه عليها.. ومع ذلك أنا أشك فيها.. الشك ينهشنى.. والغيرة تأكل قلبى.

إذا ركبنا أتوبيس أقف بجوارها وأحملق فى كل شاب فى ريبة، وإذا رأيتها تنظر حولها هنا أو هناك أغتاظ ويغلى الدم فى رأسى وأشعل سيجارة وأروح أنفخ فيها.. ولا أجرؤ أن أجاهرها بشكوكى.. وإذا حضرت من عملى ووجدتها واقفة فى البلكون أغتاظ.. وإذا رأيتها تلبس فستانًا ديكولتيه مفتوح شوية أصاب بالجنون.. ولكنى أكتم جنونى وغيظى ولا أصارحها حتى لا تقول إنى متأخر ورجعى.. ولكنى ألاحظ أنها تأخذ بالها.

وإذا حضر زوار لاخوتها، فى البيت وأخذوا يروحون ويجيئون

شعرت بالضيق مع أننا وحدنا فى غرفة بعيدة.

وإذا وجدتها سرحانة ومش واخده بالها.. وكلمتها فنظرت إلىّ فى شرود.. أغضب فى نفسى.. وأنام بلا عشاء.

وإذا ذهبنا إلى مكان ما للسهرة.. وكان حولنا شبان أظل أتململ طول الوقت.. ولا يعاودنى هدوئى إلا إذا رجعنا إلى البيت..

إذا ضحكت فى الطريق أتلفت حولى لأبحث عن الرجل الذى ضحكت له.. وإذا عبست تنتابنى الوساوس والظنون.. ويظل عقلى يختلق الظنون المتعبة.

وهى الآن حامل.. ولكنى أشك أحيانًا فى الجنين الذى تحمله.. أشك فى أنه قد يكون من رجل آخر غيرى.

أنا أعيش فى عذاب..

ولكن ماذا أفعل؟.. وأنا أحبها.. أعبدها.

* * *

أنت لا تحبها.. أنت تحب نفسك.

أنت تحتقر زوجتك وتعاملها كما لو كانت من ممتلكاتك.. كما لو كانت تابعًا بلا حرية وبلا إرادة.. لا حق لها فى أن تنظر إلى اليمين أو إلى اليسار.. أو تضحك.. أو تعبس.. وأنت لا تكتفى بامتلاك جسمها وإنما تريد امتلاك روحها.

وسبب جنونك هو شعورك بالنقص وبأنك غير كفء وغير قادر على الاحتفاظ بها.. وأنه لا وسيلة للاحتفاظ إلا بالعنف والتحكم والضغط واللجوء إلى الحق الشرعى.. ومواجهتها بصكوك الملكية.. ولكنك لا تجد حتى الشجاعة فى هذا.. ولهذا تجن.. وتكتوى بالنار وتغتاظ.. وتكتم فى نفسك.

وحينما تراها تضحك فى الطريق.. تتلفت حولك لتبحث عن الرجل الذى ضحكت له، لأنك لا تتوقع ولا تنتظر أن يكون هذا الرجل هو أنت.. أنت فى نظر نفسك تافه.. لا تستحق أن تحبك حتى زوجتك.

إن العقدة فى نفسك.. وإذا لم تتغلب على هذا الشعور بالنقص فإن زواجك سيفشل.

إن زوجتك لن تحترمك لأنك لا تحترم نفسك.. ولن تعرف كيف تحبك وأنت لا تعرف كيف تحب نفسك.

الحقيقة الخفية

أنا زوجة.. وأعمل فى إحدى الشركات.

معى فى العمل شاب اعتبره أنا رجلا مثاليًّا جذبنى إليه بأدبه وذوقه ورقته، فحفظت له أعظم تقدير.. وكانت نظراتى إليه كلها نظرات إعجاب بشخصه، حتى أننى كنت امتدح أخلاقه المثالية أمام زوجى.. إلى هنا والمشكلة تبدو طبيعية.

ولكن الواقع أن النظرات استمرت وتبعتها نظرات من جهته.. نظرات طويلة وغير عادية.

وذات مرة سألت نفسى ماذا وراء نظراتى له..

إنى أحب زوجى حبًّا جمًّا وأقدس حياتى الزوجية ولا ينقصنى شىء فى الدنيا.. وبرغم اشتغالى نصف يوم خارج بيتى فأنا لم أفكر مطلقًا فى إهمال شىء ببيتى أو زوجى.

وزوجى يحفظ لى كل حب ومودة وتقدير..

فما معنى هذه النظرات التى لا أستطيع أن أوقفها عند حد.. لماذا تعلقت به عينى إلى هذه الدرجة..

ولم أستطع الإجابة على هذا السؤال..

ولكنى كنت كلما نظرت إليه شعرت بالراحة والحنين.. شعرت بأنه إنسان طيب أستطيع أن أتخذه صديقًا أحكى له مشاكلى وعذابى وآلامى.

ولكن هل هو كذلك؟

لا أعلم..

فإلى الآن.. وبعد مضى حوالى عامين من النظرات الطويلة المتبادلة.. لم يفتح فمه بكلمة.. ولم يصارح أحدنا الآخر.. بدخيلة نفسه.

وفكرت فى معنى نظراته الطويلة نحوى.. واكتشفت أنى لا أستطيع أن أعيش بعيدة عن هذه النظرات.

ولست أستطيع أن أصف لك هذه النظرات الحلوة.. مهما حاولت. فإنها شىء فوق الوصف.. نظرات كلها حنين وأنين وشجن وهمس وصراخ.

وأنا أحرص دائمًا على أن أظهر له فى كل دقيقة أنى لا أهتم به ولا أفكر فى أى رجل سوى زوجى.. ولكن فى أعماق نفسى أشعر أنى معلقة به.. ويشعر هو الآخر بذلك.

وهو من ناحيته يحاول دائمًا أن يبتعد عنى.. ويتجنب الانفراد بى فى مكان.. ويحاول أن يهرب.. وكلما سنحت فرصة لنبقى معًا يشعرنى بأنه مضطرب ثم يسرع بالاستئذان.. وفى اليوم التالى

يحاول أن يظهر إهماله لى.. ولكن نظراته تعود فتفضحه.. نظرات كلها شوق ولوعة.

وهكذا تستمر المناوشات بيننا.. نقترب ونبتعد فى سلسلة من المحاولات اليائسة للهروب من المصير المحتوم.. ولكن طول الوقت لا يبدو علينا شىء.. لا شىء سوى مظهر الزمالة العادية.. ويعلم الله ما بنفس كل منا.. والآن أشعر أن مشكلتى تتفاقم بسرعة..

وأصبحت أمضى الساعات الطوال أفكر فيه وفى نظراته التى لم أعد أستغنى عنها.

ماذا أفعل وقد أصبحت أحب عملى فقط من أجل أن أراه وأنظر إليه؟

ما رأيك؟..

* * *

ومن الواضح أنك لم تتركى لى فرصة للرأى.. فأنت فى مواضع كثيرة من خطابك.. تسبقينى.. وتسبقين نفسك بوضع أحكام نهائية ترفض الجدل.

جذبنى أدبه وذوقه ورقته..

كلما نظرت إليه شعرت بالراحة والحنين وبأنه إنسان طيب أستطيع أن أتخذه صديقًا أحكى له عذابى وآلامى.. ليه الآلام دى.. وليه العذاب ده كله.. أنك زوجة وتحبين زوجك وزوجك

يحبك وتقدسين حياتك الزوجية ولا شىء ينقصك فى الدنيا.. كما تقولين.

واضح أنك تفتعلين هذا العذاب لتجعلى من نفسك ضحية مسكينة فى حاجة إلى النظرات الحنونة.. المشتاقة.. الولهانة.. إلخ..

إنك تضعين حيثيات وهمية لتستحلى بعد ذلك أى شىء.

وهى نظرات.. يوه منها.

أنا لا أستطيع أن أصف لك هذه النظرات الحلوة مهما حاولت فإنها شىء فوق الوصف.. يا سلام.. لا ياشيخة.. نظرات كلها حنين وشجن وهمس.. آى.

اكتشفت أنى لا أستطيع أن أعيش بعيدة عن هذه النظرات.. طبعًا بعد كل هذا الإخراج.. مش ممكن.

ماذا أفعل وقد أصبحت أحب عملى فقط من أجل أن أراه وأنظر إليه.

يعنى بتهدديني كمان.. بأنك لن تستطيعى الاستمرار فى عملك.. لو أنك تركته لحاله.

ناقص تقولى.. حاترفدنى.. وتقطع عيشى لو قلت لى سيبيه.

إن المشكلة طبعًا ليست مشكلة شاب فى محل عملك ينظر إليك.

إنك كامرأة متزوجة سوف تجدين فى كل مكان رجلا مستعدا للنظر إليك طول اليوم.

إن المشكلة هى مشكلتك أنت.. ومشكلة رغبة مستبدة تنمو فى قلبك.. خيانة زوجك.. رغبة بدون سبب.. فأنت تحبين زوجك وهو يحبك.. مجرد تخريب.. عبث..

والنهاية طبعًا معروفة.

نظرات طويلة متبادلة فى محل العمل.. خبص عينى عينك.. وفضيحة بجلاجل.. وخراب بيوت.. وسمعة طين.

وفى النهاية بعد أن تخسرى كل شىء.. لن ينظر إليك حتى الرجل الذى أعطيته نفسك باحترام.

سيظل يتخيل نفسه فى مكان زوجك الذى خنته وأنت تحبينه.. سيظل يشعر دائما أنك من جنس لا أمان لعاطفته أبدًا.. وهكذا تفقدين كل شىء.. كل شىء وتنتهين تمامًا..

التعود..

أنا موظف صغير فى الدرجة الثامنة.. أقوم بمساعدة أهلى فى الريف بجزء من مرتبى وأعيش بالجنيهات القليلة التى تبقى لى فى القاهرة.. فى غرفة بمفردى.. ومازلت أعزب إلى الآن.

مضى على تعيينى ثلاث سنوات لم أدخر فيها شيئًا للزواج. تعرفت على فتاة منذ ثلاث سنوات تعمل حكيمة فى الدرجة السابعة بإحدى المستشفيات الحكومية.. سمراء.. ملفوفة.. تكبرنى سنًا بحوالى خمس سنوات.

كنت معها مثال الصديق المخلص طوال السنوات الثلاث من تعارفنا.

كنا نتقابل دائمًا فى الخارج لنقضى الوقت فى أحد الكازينوهات أو إحدى دور السينما.

ثم حدث أخيرًا أن دخلنا إحدى حفلات السينما التى تبدأ فى منتصف الليل وتنتهى فى الثالثة.

وخرجنا فى الساعة الثالثة لنواجه مشكلة.. أين تذهب.

أنا لم تكن عندى مشكلة لأنى أعيش وحدى وأستطيع أن

أعود وحدى فى أية ساعة من الليل.. أما هى فلم تكن تستطيع العودة إلى بيت الحكيمات فى مثل تلك الساعة المتأخرة.

وفكرت.. وفكرت.. ولم أجد حلا.. وأخيرًا أخذتها معى إلى مسكنى لتقضى به بقية الليل.

وأصارحك.. بأننا قضينا هذه الليلة كما نتمنى. وعوضنا الثلاث سنوات التى كنا نلتقى فيها فى الخارج.

وتكررت هذه الأشياء.. وأصبحت تتردد على منزلى.. وأصبحنا لا نسأل عن سينما أو كازينو.. فالمنزل أحسن بكثير.. وكانت تبيت معى لأن عملها يخول لها ذلك.. فهى حكيمة وعندها ورديات بالليل.. وأحيانًا ورديات بالنهار.

وأخيرًا فكرت فى الزواج منها وشجعتنى على هذه الفكرة.. وقالت لى إنها ستساعدنى فى كل شىء.. ولا داعى لأن أحمل هم التكاليف.

ولكن عندى فى نفس الوقت أسباب تجعلنى أتردد.. فهى ليست جميلة.. وهى أكبر منى سنًا.. وهى فى الدرجة السابعة وأنا فى الدرجة الثامنة.. وقد يدفعها هذا إلى أن تتصرف معى بغرور واستعلاء.. وأصحابى يقولون عنها إنها حكيمة ولها عمل ولن تكون متفرغة للمنزل ولا للزوجية.. هذا زيادة على أن طبيعة عملها ومبيتها بالمستشفى تجعلها تفعل مع الأطباء والمرضى

كما تفعل معى.. وسوف تتأخر على كيفها ولن أستطيع أن أقول لها.. كنت فين؟

وهم يقولون أيضًا إنها فى سنها الحالى وبعد أن فاتها قطار الزواج لا يهمها إلا أن تحصل على زوج أى زوج لتكون فى عصمة رجل.. ثم تعيش بعد ذلك على كيفها.

ولكن الحقيقة الأكيدة التى أشعر بها.. أنها تحبنى وتعبدنى، فى الوقت الذى أحبها أنا فيه بعض الحب فقط.

وأنا حائر.. هل أتزوجها؟

***

لا شك أن بحالتك الراهنة.. موظف فى الدرجة الثامنة وجزء من مرتبك يذهب إلى أهلك بالريف.. تعتبر.. عريس على قد حالك جدًا جدًا.

وسوف تكون فى حاجة إلى زوجة تعمل وتكسب لتعاونك.. إذا فكرت فى الزواج.

وبإيرادك الحالى الذى لا يزيد عن سبعة جنيهات لن تجد من يرضى بك.. بسهولة.

وإنها لنعمة من الله أن تجد امرأة تحبك وتعبدك.. وتحلم بالزواج بك.. وفى نفس الوقت تحبها.

وحكاية الجمال كلام فارغ.. لأن التعود يقضى على الوحاشة

وعلى الجمال.. والعين حينما تتعود على وجه وتألفه.. يفقد هذا الوجه ما يثيره فى النفس.. وتبقى الإنسانية والعشرة والأخلاق والحب والانسجام، وهى أشياء أهم من الجمال فى الزواج.

وما يقوله الناس عن المرأة العاملة من أنها ماخور يعب منها كل رجل كلام فارغ..

ورأيى إذا كانت شخصية صاحبتك تعجبك.. أن تتزوجها بالحلال وتتوب عن حياة الخطايا التى ضيعت فيها نفسك ونفس من تحب طوال هذا الوقت.

الجزاء من جنس العمل

أنا ترزى سيدات بالإسكندرية.

تعرفت فى أحد الأيام بشاب فلسطينى من اللاجئين يغنى فى أحد الكباريهات.. ودعانى صديقى لمشاهدة البرنامج.. حيث عرفنى براقصة من زميلاته.. وقدمنى إليها على أنى ابن عمه.

وأصبحت الراقصة زبونتى.. وعن طريقها تعرفت بامرأة غنية فى السابعة والثلاثين من عمرها.

وقدمت نفسى للغنية الجميلة أنى لاجئ فلسطينى مقطوع من شجرة وقدمت لى نفسها على أنها أرملة عراقى كبير ومن عائلة معروفة.

ونشأ بيننا حب جارف.. وشربنا كاساته حتى الثمالة..

ثم اكتشفت فجأة أنها تكذب علىّ.. وأنها قوادة مستهترة تتجر بالأعراض وليست أرملة عراقى وإنما هى أرملة كل الناس.

ولم أستطع مكاشفتها لأن حبى لها كان قد ذهب بى بعيدًا، وعبر حدود العقل والمنطق.. ولسبب آخر هو أنى أيضًا كذاب.

فلست «لاجئًا فلسطينيًا».. ولست مقطوعًا من شجرة.. وإنما أنا مصرى.. وأبواى على قيد الحياة.

لقد كان كلانا صعلوكًا مغامرًا.

ولا أدرى ماذا أفعل الآن..

أنا مخطئ وقد أوغلت فى الخطأ إلى حد تعذرت معه العودة إلى طريق السلامة.

* * *

سيدى..

أشكر أقدارك على أن ضحيتك ليست فتاة ساذجة.. وإنما هى امرأة محتالة مثلك نازلتك بنفس سلاحك.

إن قصتك تذكرنى بما قاله ميترلنك عن العدالة.

إنك لا تقابل إلا نفسك فى طريق القدر. كن كاذبًا تسرع إليك الأكاذيب.. كن لصًا تتشبث بك الجرائم.. فى أى طريق تذهب لن يكون قدرك إلا صورة من نفسك.

إن نهر الحياة الدافق ينساب تحت قبة السماء ويجرى بين حيطان السجون.. وإنما كل ما يعنينا هو حجم الكأس التى نغمرها فى مياهه، وإن هذه الكأس لتأخذ دائمًا شكل أفكارنا ورغباتنا.. وتساوى سعة أشداقنا.

إن حظك من الحب عادل يا صديقى الصعلوك.. والكأس التى

تشربها تساوى سعة قلبك ولون ضميرك.

كلاكما طائران متشابهان وأسلم لكما وللمجتمع أن تظلا معًا إلى نهاية الطريق.

منافسة غير شريفة

توفى زوجى منذ أعوام.. وكان عمرى حينذاك ثلاثين عامًا.. تاركًا لى ثروة كبيرة وثلاث بنات أكبرهن فى العاشرة.

وكرست حياتى لبناتى حتى كبرن وتزوجت اثنتان إحداهما بمدرس فى كلية الهندسة.. والثانية بدكتور كبير.. أما الثالثة الصغرى فقد كبرت وأصبحت قمورة فى سن السبعتاشر.

وشاءت الأقدار أن تتعرف على شاب.. وسرعان ما أحبته وشغلت به.. وأصبح محور أحاديثها فى كل وقت.

وأنا تعودت دائمًا ألا أتدخل فى شئون بناتى من ناحية اختيار الأصدقاء وفى العادة اكتفى بالإشراف من بعيد ولكنى حينما علمت أن هذا الشاب متوسط التعليم وأنه حاصل على التوجيهية فقط فزعت وخفت أن تنتهى هذه العلاقة إلى زواج فاشل غير متكافئ لا يليق بنا.. وطلبت من ابنتى أن أتعرف عليه.

واجتمعت به فى النادى لأول مرة.. وقضينا فترة نتحدث. كلمنى عن حياته وآماله ومشاكله.. وتكلم بصراحة مطلقة لم

أعهدها فى شاب.. تحدث عن ظروفه فى عدم الاستمرار فى التعليم وكيف أنه دخل كلية الآداب ونجح فيها لمدة عامين ثم خرج لأنه كان يحلم أن يكون مهندسًا.. ولم يجد فى الدراسة الأدبية شفاءً لأحلامه.. وكيف أنه دخل الجيش وقضى فيه سنة ونصف سنة ثم خرج.. وكيف استقر أخيرًا فى وظيفة محترمة بمرتب كبير، وكيف اقتضت منه الوظيفة أن يسافر إلى عدة بلدان أجنبية.. وأن يتقن ثلاث لغات.

وبتعدد مقابلاتى له بالنادى أدركت أنه يمتاز باطلاع واسع فى مختلف الثقافات.. فى العلم.. والأدب والفلسفة.. وأن عنده مكتبة تضم حوالى خمسمائة كتاب.. وعرفت أن له شخصية قوية.. ولم يكن هذا رأيى وحدى.. فإن الكل كانوا يهابونه ويحترمونه.. وأزواج بناتى كانوا يشكرون فى أخلاقه وسلوكه.. فى الحقيقة اطمأننت إليه.. وقلت فى نفسى.. مادام مركزه محترما وصفاته حسنة وشاب مؤدب وفوق ذلك ابنتى تحبه.. شجعت هذه الصداقة.

وأصبحت ابنتى لا تبتعد عنه.. وتتصل به كل يوم فى التليفون.. ويتقابلان كثيرًا.

وكانت طوال الوقت تحدثنى عن كل ما يحدث بينهما.. ومن حديثها عنه كنت أشعر أنه ذو أخلاق كريمة.. فهو لم يحدث أن عانقها أو قبلها بالرغم من أن الفرص كانت تواتيه وكان يحب

ابنتى ويقدرها ويحترمها.. ويحدثنى عن علاقة الرجل بالمرأة على أنها علاقة إنسانية قبل أن تكون علاقة جسد.

وبتوالى الأيام وحديث ابنتى عنه.. كنت أحس باشتياق له وانتظر موعد حضوره فى النادى أسبوعيًا بلهفة شديدة.. وتحول اشتياقى إلى حب جارف ملتهب.. وكانت تؤلمنى نظرته لى كأم حيث أنه فقد والدته وهو طفل.. ومع ذلك كنت أحبه وأعشقه وأتمناه زوجًا لى.. ولم لا؟ فهو الرجل الذى يستطيع أن يسد مكان زوجى، والشاب القوى الذى احتاج إليه فى هذه السن.. ستقول عنى أنانية وخائنة فى حق ابنتى.. ولكن أنا سيدة فقدت زوجى فى الثلاثين والآن أشعر بالوحدة وسأكون وحيدة بعد أن تتركنى ابنتى الثالثة.. وأنا أحبه.. وأعشق رجولته وشهامته.

وهكذا بدأت أفرق بينه وبين ابنتى حتى قطع رجله تمامًا من البيت.. ولكن الذى حدث كان أكثر من هذا.. فقد قطع رجله من النادى أيضًا ولم أعد أراه.. ولم يعد يتصل بى ولا بابنتى، وكدت أجن من الشوق والتفكير.. ولازمنى القلق.

وأخيرًا تشجعت وطلبته بالتليفون وقلت إنى أريده بالمنزل لمسألة هامة.

وأخليت المنزل.

وحينما دق الجرس ورأيته أمامى.. فقدت أعصابى وألقيت بنفسى على صدره.. وعانقته وقبلته قبلات كثيرة.. كثيرة.. لم أفق

منها إلا على صفعة.. لطمنى بها على وجهى وهو يبعدنى فى اشمئزاز وإنكار وأدار وجهه وخرج.. وتركنى ذليلة مكومة على أريكة.

منذ تلك اللحظة وأنا أعيش فى صراع فظيع.. وأفكر فى الانتحار وأفكر فى أنى حقيرة.. ولكن ما ذنب ابنتى.

إن ابنتى تبكى ليلاً ونهارًا.. وهو لا يتصل بها.. وهى تعتقد أنه سيخطب إحدى قريباته.. وهى لا تعلم الحقيقة.. ولا أجد عندى الجرأة لأقول لها الحقيقة.

ماذا أفعل؟

إنى أتمنى أن يعود إلى ابنتى.. ولا أمل لى أكثر من أن يعيش الاثنان سعداء معى.. وأرى سعادتهما من حولى.

اكتب له ليعود.

* * *

إنه لن يعود..

إن الشهامة والرجولة والأخلاق. لا يمكن أن تعود إلى أمثال هذه البيوت.. البيوت التى يخليها أصحابها، ويستدعون الرجال بالتليفون للخدمات المستعجلة.

إن ابنتك بريئة.. ولكنها تعيش معك فى البيت.. والبيت ينقل عدواه لمن فيه.. ولا شك أنك كنت بريئة.. وأنت فى سنها، وهذه

البراءة لم تمنعك من السقوط فى سن الخمسين.

وأسوأ ما يخافه شاب أن يختتم حياته الزوجية بشناعة، إن شناعة فى سن الخمسين أسوأ ألف مرة من سقوط فى سن العشرين.. لأنها شناعة بائسة مخجلة ليس لها عزاء فيها تبقى من العمر.

الفريسة والصياد

أنا فتاة فى السادسة عشرة من عمرى.. جميلة.. وجذابة. بدأت مشكلتى منذ حوالى سنة ونصف حينما كنت أعيش مع أمى.

لم يكن ينقصنا شىء فى حياتنا. فأمى امرأة غنية جدًّا ترك لها والدى قبل وفاته أربع عمارات ذات إيراد كبير وعربة أنيقة جدًّا.. وكانت تنفق بإسراف على زينتها وأناقتها ومظهرها.. وتعرفت أمى فى هذا الوقت على شاب فى السنة النهائية بكلية الآداب.. وكان شابًّا أنيقًا.. وشرعت فى إغرائه بالفلوس.. التى فرشتها تحت قدميه.

وكانت أحيانًا تصحبه معها إلى البيت الذى نعيش فيه.. وتكرر تردده إلى البيت كثيرًا.

وفجأة وجدت أمى تخبرنى بزواجها من هذا الشاب الذى انتقل إلينا وأقام معنا.. وكان فى هذا الوقت قد تخرج من الكلية والتحق بعمل محترم.

ولاحظت أنه بدأ يتودد إلىّ وبدأ يعاملنى برفق وغزل. وفى يوم كانت أمى فى الخارج.. وجاء هو إلى المنزل وكنت

وحدى فأخذ يلاطفنى حتى وجدت نفسى تحت تأثير كلماته المعسولة ملقاة على صدره وقد تلاقت شفتانا فى قبلات حارة ومنذ هذه اللحظة وأنا أحبه حبًّا كبيرًا لا أقوى على مقاومته.

وأصبحت انتظر اللحظات التى نختلى فيها بأنفسنا وأقسم لك أن علاقتنا لم تتعد القبلات والأحلام الجميلة، واتفق معى على كل شىء.. اتفق على أن يطلق أمى ويتزوجنى. وفعلًا تم الطلاق.

وحتى هذا الوقت لم تكن أمى تعلم بشىء حتى فاجأتها بأنى سوف أتزوج من هذا الشاب الذى طلقها فجن جنونها وثارت وهددتنى بحرمانى من الميراث وبرغم ذلك صممت على الزواج منه.

إنى أحبه. أحبه. أحبه. سنة كاملة وعدة شهور ونحن ننعم فى نشوة الحب.

وقد تعقدت المشكلة أخيرًا حينما أخبر أهله بنية زواجه فهاجموه جميعًا ووقفوا حائلًا ضده بحجة أن الشرع لا يبيح مثل هذا الزواج.

إنى أتعذب.

لم تكن جريمة أن أحب شابًّا يقرب سنه من سنى حبًّا شريفًا خالصًا.

لقد اعترف لى أنه أخطأ بزواجه من أمى.. وأن حاجته إلى الفلوس فى ذلك الوقت هى السبب.

إننا نتعذب.. ماذا نفعل؟

تأكدى أن الشرع على حق.

إن الرجل الذى يشتهى الأم وابنتها فى نفس الوقت لا يمكن أن يؤتمن على كلمته أو على نظرته.. إنه زائغ الشخصية.. عينه زائغة بين فلوس أمك.. وشباب ابنتها.. وتأكدى أن عقله الطماع يرمى إلى مرام بعيدة.. فهو يعرف جيدًا أن أمك لا يمكن أن تحرمك من الميراث.. وأنها مهما كانت قاسية فإنها سوف تلين فى النهاية وتعطيك حقك.. وهكذا تقعين له كما تقع الفاكهة المستوية.. على أنك صيدة.

إنه ينظر إليك بنفس المنطق الذى كان ينظر به إلى أمك.. جمال ومال.

إن كل شخصية لها منطق يحكمها.. والشخصية تغير سلوكها ولكنها لا تملك أن تغير منطقها.. لأن منطقها هو جوهرها وروحها.. وهذه روح صاحبك.

إنه رجل سيئ.. تجنبيه.. ليس بسبب الشرع فقط.. وإنما لأنه إنسان كذاب.. عواطفه كذابة.

أخواتى جميلات

هاتان الكلمتان هما كل مشكلتى «أخواتى جميلات».

هما كلمتان ولكنهما بالنسبة لى.. حكم بالإعدام.. فلا أحد ينظر إلىّ.. ولا أحد يتودد إلىّ.. وإذا مشيت مع أخواتى فى الطريق سمعت كلمات كالعسل تتساقط على آذان اخواتى على حين ترشقنى السخريات كسهام مسمومة وكأنى أنا الخادمة أو الدادة أو المربية أو لقيطة من الطريق.

كل أملى فى الحياة أن أموت لأستريح من هذا العذاب.

صداع.. صداع.. صداع.

الصداع القاتل لا يبارحنى لحظة.

وقد رسبت فى الجامعة وضاعت علىّ سنة بسبب هذا الصداع الذى يمزق رأسى.

لا أطيق النظر إلى مرآة ولا أطيق النظر فى عيون الرجال.. مع أنى لست قبيحة بل أنا مقبولة جدًّا بين البنات العاديات، ولكنى إلى جوار أخواتى أقل منهن بكثير.

جاء إلى الخطاب ورفضتهم لأنى أعلم أنهم يخطبون مركز أبى

وثروته ولايخطبوننى لذاتى.. وأنا أريد رجلاً يسعى إلى لذاتى يغازلنى ويبادلنى الحب ويتمنانى دون أن يعرف من يكون أبى ومن يكون أهلى.

حاولت الانتحار وأنقذنى أبى وبكى من أجلى.

أمى وأبى وأخواتى يعاملوننى بكل رقة ومحبة واحترام ولكنى أشعر أن هذه الرقة إشفاق وعطف وأشعر أنها كالإحسان الذى يبذل لمتسول مقطوع اليد.

أشعر بنظرات العطف تحرقنى، تكوينى، تلسعنى كالنار.

لماذا خلقنى الله لأتعذب.

لا أريد منك كلامًا أى كلام.

ولا أقبل منك مواساة.

أقنعنى.. أريدك أن تقنعنى.

أريد كلامًا مقنعًا.

أريد أن أفهم لماذا تخلق أخواتى جميلات وأخلق أنا أقل منهن. ولماذا لاتكون هناك عدالة فى السماء.

كيف يفعل هذا إله كامل قادر عادل.

لماذا يظلمنى فى وجهى وملامحى.. وماذا فعلت لأتلقى هذا الحظ الضئيل الهزيل منذ يوم ميلادى.

لماذا يكون نصيب الأخريات الحب والإعجاب والانبهار

والتعلق والمطاردة فى كل مكان.. وأمشى أنا فلا يشعر بوجودى أحد.

لماذا.. ولماذا.. وألف لماذا.. ثم صداع فظيع يغلف رأسى كالضباب وحقد ومرارة وكراهية لكل ماهو مفرح.. ورغبة فى الانتقام وأعود إلى نفسى فإذا بى أتمنى أن أدمر نفسى، أحرق نفسى، أشنق نفسى حتى لا أعيش فى هوان وإحساس مرير بالنقص على الدوام.

أريد أن أفهم.

أين العدالة فى هذا..

المعذبة

ليلى. م

* * *

الدنيا تقوم على التفاضل وعلى التفاوت والاختلاف..

كل منا يولد.. فريدًا منفردًا نسيجًا وحده مختلفًا عن غيره.. ولو أن كل النساء خلقن متطابقات متساويات فى الأوصاف لأصبحن كملايين النسخ التى تغنى عنها نسخة واحدة.. ولما أصبح هناك داع للتعدد فهو لا يحمل معه أى تفاوت ولا أى تلوين.

إن حكمة الله اقتضت هذا التفاوت والتباين.

ولكن الله لم ينس أحدًا.

وغلطتك أنك تصورت أن النعمة الوحيدة التى يمكن أن

يعطيها الله لامرأة هى جمال وجهها – والثروة الوحيدة التى يهبها لها هى ثروة الملامح والتقاطيع.

وهذا غير صحيح.

فيمكن أن يعطى الله لواحد الثروة فى وجهه ولآخر الثروة فى صحته ولثالث الثروة فى قوته الجسدية ولرابع الثروة فى جيبه ولخامس الثروة فى قلبه.

والله يمنح الموهبة والذكاء والعبقرية كما يمنح الجمال.

وقد يأتى الذكاء اللماح مع الوجه الدميم.

وقد يأتى الصوت الذهبى الرائع مع وجه يسمع فى الإذاعة ولا يرى فى التليفزيون.

وقد تأتى العبقرية مع جسم مريض بالسل.

وقد يخرج الشعر الملهم من رجل مشلول فى الفراش أو امرأة كسيحة.

ولكن الله دائمًا لا ينسى مخلوقاته. إنه يعطى لكل واحد منهم كنزًا وعلى كل واحد أن يكتشف كنزه.

وغلطتك أنك تبحثين عن كنوزك فى وجهك وملامحك.. تبحثين عنها فى المرآة وفى عيون الرجال ومعاكسات الطرق.. وهذه نظرة محدودة الأفق.

لماذا لا تبحثين عن كنوزك فى مكان آخر غير مقاسات جسمك ولون شعرك واكتناز شفتيك.

قد يكون الكنز فى صوتك فتكونين خليفة أم كلثوم.

وقد يكون الكنز فى عقلك فتكونين خليفة مدام كورى.

قد يكون فى موهبة فنية كامنة فيك فتكونين خليفة أنامانيانى.

قد يكون الكنز فى قلمك فتكونين خليفة أميلى برونتى وجورج صاند.

ابحثى عن نفسك ودعى الحقد، والمرارة والكراهية فهى ستائر مظلمة تحجب عنك نفسك.

لا تتحسسى شعرك وإنما تحسسى أعماقك.

حاولى أن تنظرى إلى الناس وإلى الحياة وإلى الدنيا وإلى الله بكل محبة.

وتأكدى أن جمال الوجه هو أول جمال يذبل.

أما جمال النفوس والمواهب فهو يزداد تألقًا ولمعانًا مع العمر. وها هو صوت أم كلثوم يزداد جمالًا.

وهيلين كيلر البكماء والصماء ملتقى إعجاب الملايين فى حياتها وموتها وهى أقل الناس حظًا فى كل شىء.

تأكدى أن الله لا ينسى أحدًا.

ولكن نحن ننسى أنفسنا فى دوامات الحقد والكراهية والحسد فلا نعرف أين نجد آثار النعمة التى اختصنا بها الخالق وتضيع منا حياتنا دون أن نكتشف كنوزها.

من كان يتصور أن الصحراء الجرداء القفر تخفى ثروة من الذهب الأسود فى باطنها.

ولكن الأمر احتاج إلى جهد مضن وإلى حفر.

وعليك أن تحفرى فى داخل نفسك بحثًا عن منجم الذهب.

يا أخت ليلى.. الحسد يعميك تمامًا عما هو فى نفسك.. يشل كل قدراتك وحواسك ويحول بينك وبين الانفتاح على نفسك وعلى العالم.

إن الله لا يظلمك.. ولكنك أنت ظلمت نفسك بأن أسدلت على عينيك ستار العمى الذى لا يرى إلا حلاوة الشكل.

ولكن الإنسان ليس مجرد شكل.

المرأة ليست سجادة.

المرأة روح وقلب وشعور وعواطف ووجدان قبل أن تكون مجرد لحم ودم.

ابنتى تحب

ليست المشكلة خاصة بى فمشاكلى تعودت أن أحلها بنفسى ولا أستشير فيها غير أطراف النزاع.. وبالنسبة لرجل زار معظم دول أوروبا وتعرف على مختلف العادات والتقاليد وكان له شباب حافل بالمغامرة مثلى فما أسهل أن يحل ما يعترضه من مشاكل معتمدًا على خبرته ومعاناته.

ومع ذلك أعترف أنى فى هذه المرة عاجز تمامًا عن الحل.. ربما لأن المشكلة ليست مشكلتى.. وربما لأنها تخص أعز ما أملك فى هذه الدنيا.. ابنتى الوحيدة.

والمشكلة يا سيدى هى مما يحدث فى كل بيت، ولكن لا يعجبنى تصرف كل بيت تجاهها.. فابنتى تحب شابًا فى الثانية والعشرين من عمره ما زال طالبًا فى كلية الطب وأمامه إلى أن ينهى دراسته ثلاث سنوات.

ولكن المشكلة أننى بعد أن عرفت بعلاقة ابنتى بهذا الشاب لم أشأ أن أعاملها بقسوة وأطلب منها قطع كل علاقة به، إيمانًا منى بأن هذا الشىء لابد أن يحدث يومًا.. وإيمانًا منى بأن أوربا كلها تمارس هذه العلاقات بحرية شديدة، وأنا نفسى كنت على علاقة

بكثير من البنات وكان أهلهن يستقبلوننى فى منازلهم، وكلهن من عائلات محترمة جدًا.. ولكن لم تزل فى أعماقى تلك النزعة الشرقية إلى الحفاظ على العرض والغضب لكل ما يجرح الشرف والسمعة ولو بخدش صغير.. فكيف أرضى على نفسى أن تخرج ابنتى لتقابل أحد الشبان وتركب فى سيارته «هذا الطالب له سيارة»، وتخرج والله أعلم أين تذهب – وهل ذهبت إلى كازينو أو إلى جلسة بريئة على شاطئ النيل كما قالت.. أم أنها ذهبت إلى شقته الخاصة.. وما أكثر وسائل الإغراء فى خلوة وغرفة مغلقة على اثنين.. ومهما كانت القيم والتقاليد ينتصر الشيطان دائمًا فى النهاية.

وكيف أسمح لنفسى وأنا أشغل وظيفة محترمة جدًا أن يتكلم عنى الجيران وعن ابنتى بأنها تمشى مع فلان وتخرج معه فى العربة، والله أعلم إلى أى حد ينتهى مثل هذا الكلام وأنت تعرف كلام الناس.

ولو فرض حتى أنها خرجت معه خروجًا بريئًا إلى أحد الكازينوهات، فمن المؤكد أنه قبلها مرارًا وتكرارًا.. وكيف أسمح لشخص كل مايربطه بابنتى هى كلمة «إن شاء الله لما أخلص تعليمى أتجوزك».. أن يفعل معها كل هذا.

وما أدرانى أنه لا يخدعها ويضحك عليها ويغرر بها..

وكيف أطمئن إلى نواياه وأخلاقه.

وماذا يقول مثل هذا الشاب عن عائلة صاحبته التى تسمح له بمرافقتها متى شاء.. هل يقول إنها عائلة متحررة أم عائلة بطالة؟

ألف سؤال وسؤال يدور فى ذهنى ولا أصل إلى جواب حاسم.

والمشكلة أنى كنت طيلة شبابى أنادى بضرورة الاختلاط فى جميع سنى الدراسة وفى جميع مجالات العمل.. وأنادى بحرية الفتاة فى أن تحب من تريد.

ولكن هذا تغير عندما أصبحت أبًا.. فقد ملأت المخاوف رأسى وعادت الأفكار المحافظة تعشش فى عقلى.. فأنا أتكلم الآن عن البيئة الشرقية وضرورة اختيار السلوك الملائم لكل بيئة.. فما دمنا نعيش فى الشرق فيجب علينا أن نتصرف كشرقيين.. وإذا كنا فى إنجلترا.. نستطيع أن نتصرف كإنجليز.

وأمام ابنتى أشعر بالحيرة.

هل أجبرها على قطع علاقتها بهذا الشاب برغم تصريحاتها المتكررة بأنها تحبه جدًا جدًا.

هل أسمح لها بالعلاقة وإلى أى مدى.. خاصة وأنى أقرأ فى الصحف عن محتالين يغررون بالفتيات ويدعون أنهم أطباء ومحامون ومهندسون.

كيف أحمى ابنتى؟

سيدى.. أنا لا أعرف تمامًا ماذا أفعل وكيف اتصرف.

أنا أمر بأزمة نفسية يمكن أن تكون هى مرحلة التطور من

القديم إلى الحديث ويمكن أن تكون بداية العودة إلى القديم.. أو الاندفاع إلى الحديث.

وأرجو أن أستمع إلى رأيك فى هذه المشكلة.

وأرجو أن تحكم على أساس أن هذه البنت هى ابنتك، وإنك أنت الأب الذىْ تمر بهذه الأزمة.

المهندس
م.أ.م

* * *

لا شك أن مشكلتك دقيقة جدًا.. خاصة وأنك أب متحرر تتمتع بآراء متحررة روجت لها وقمت بالدعوة طول حياتك إلى هذا التحرر بالقدوة والمثل والتوجيه.. وأنت نفسك استمتعت بهذه الحرية بغير حدود.

وأنت بعد هذا تطرح المشكلة بعد أن خطت خطوات بعيدة. فهذه المقابلات التى تكررت بلا اعتراض قد اكتسبت شرعية، فهذه المقابلات توطدت إلى حب «جدًا جدًا» كما تقول ابنتك، فالمنع الآن بالإكراه والعنف غير منطقى فضلا عن أنه غير مجد.. فأمام الأمر والضغط يمكن للفتاة أن تقول لك.. لن أقابله.. ثم تقابله فى الخفاء.. وهذا أسوأ.

وإحكام الرقابة مستحيل فضلا عن أنه سخيف وغير مقبول من أب مثلك.

وكل ما يمكن عمله الآن هو أن تحاول ادخال هذا الشاب فى العائلة لاضفاء مزيد من الشرعية والاحترام على هذه العلاقة ولتكون طرفًا ثالثًا يشهد ما يجرى وتستطيع التعرف على هذا الشاب، وتلمس محاسنه، وعيوبه، ودخائله. ونواياه.

رأيى أن تدعوه على مائدتك، وأن تفتح له بيتك ليتردد عليه كابن عزيز.. ومثل هذا الاحترام الذى سوف تسبغه عليه سوف يجعله يخجل ويتردد ألف مرة قبل أن يبتذل حبه لابنتك.

والعلاقة بصورتها الجديدة سوف تجعلك فى مكان النصح والتوجيه. إنها أسلم مكان تمسك منه الدفة لتوجه السفينة إلى بر الأمان.. وهذا ما كنت أفعله لو كنت فى مكانك.

ونحن فى بيئة شرقية لكن بناتنا يجلسن مع الشباب جنبًا إلى جنب. فى مدرجات الجامعة.. وإعلانات السينما فى الشوارع حافلة بصور شبه عارية، والتليفزيون يعرض علينا رقصات مكشوفة، والمجلات تروى لنا حكايات مكشوفة.

لم تعد بيئتنا شرقية وهى تتطور بسرعة نحو شكل غربى. والعلاقات التى نخشاها على الجيل الجديد سوف تحدث رغمًا عنا، ولكن فى الخفاء وراء العيون وفى سرية بذيئة وخصوصية مبتذلة وسوف نتحول إلى آباء مخدوعين نتكلم عن الشرف المصون وبناتنا تسوى الهوايل.

لابد من مواجهة المشكلة فى صراحة.

وصداقة فى النور وفى جو عائلى وتعارف يشترك فيه جميع الأطراف سوف يكون فيها عنصر الاحترام الذى سوف يصونها من الابتذال.

وهى أفضل ألف مرة من علاقات الظلام.

والحارس الذى يصون البنت هو القيم التى نزرعها فيها وليس عفريت بابا ولا عفريت ماما.

يجب أن نقيم منها حارسة على نفسها.. وهذا دور التربية وليس من مهمات البوليس المنزلى.

والحرية خطر ولكن سلب الحرية وتحطيم شخصية البنت أخطر لأنه سوف يسلبها احترامها لنفسها وثقتها فى نفسها وهى وسائل خلاصها.

ولابد لنا أن نختار.

وعلينا أن نختار عصرنا بكل أخطاره حتى لا نعزل عنه ونفقد الفعل والتأثير عليه.

غرام أفلاطون فى السويد

أنت لا شك سوف تضحك.

شاب يكتب عن غرام أفلاطونى فى السويد.. بلاد المرح والجمال والمتع المتاحة والعلاقات المتحررة من كل عرف وتقليد ومن كل قيد وشرط حيث الحب رخصة كافية ليمنح كل جنس نفسه للآخر بدون تحفظ.

فى جنة الحوريات حيث كل لذة حلال بلال.. وحيث الحرية الجنسية حق يمارسه الأولاد والبنات بلا ندم.. ودون أن يعتبر ما يفعله أى منهم منافيًا للياقة والأصول والآداب.

من هذه الجنة يكتب لك شاب عن غرام أفلاطونى !.. لا شك أنك سوف تضحك.. ولك الحق.. أنا أيضًا أعجب لحالى مثلك ولا أعرف لنفسى دواء.

وأبدأ لك الحكاية من أولها.

أنا شاب مثالى طالب ببكالوريوس هندسة متفوق دائمًا.. حسن المظهر.. ميسور جدًا من الناحية المالية.

سافرت إلى السويد مرتين.

فى المرة الأولى كنت صغيرًا رومانتيكيا فى العشرين.. حالم العينين.. شاعريًّا.. شديد النقاء.

التقيت بها فى أقصى الشمال، طويلة فارعة بيضاء كالثلج، متفتحة كالوردة، ندية كفاكهة الصباح، شعرها كسنابل القمح ذهبى فاتح مسترسل فى خصلات كثيفة.

كم أحببتها.

كنا نجلس بالساعات نتكلم.

وفى كل لحظة أجد عندها موضوعًا جديدًا.

كانت تقرأ كل شىء.. وتفهم فى كل شىء.. المسرح.. القصة.. الموسيقى.. النحت.. حتى الهندسة.. والسياسة.. والدين.. والفلسفة.

وكنت أجلس عند قدميها كالعابد الزاهد.. لا أطمع فى شىء سوى أن يمتد بنا الأجل إلى أبد لا ينتهى.

لمست يديها وعانقتها وقبلتها.. ولا أكثر.

وأصارحك الحقيقة لم أكن أفكر فى أكثر.

كان وجودها معى فيضًا من النعمة بالنسبة لى.. وكأسًا مترعة تروينى وتسكرنى فلم أكن أفكر فى المزيد.. وإنما كنت أتمنى أن يتوقف الزمن عند لحظات لقائنا الرائعة.. فلم يكن فى وسع الزمن

ولا فى وسع المستقبل - أى مستقبل - أن يكون لديه أجمل من تلك اللحظات.

ومهما حاولت أن أصف لك فلن أستطيع أن أنقل إليك حقيقة إحساسى، فهناك شىء.. شىء فى أعماق مشاعرنا ليس له كلام يشرحه ولا توجد له حروف ولا كلمات يمكن أن تدل عليه.

وانتهى ذلك الصيف وعدت إلى بلدى وقد ازددت إغراقًا فى الرومانتيكية، وقد تلون كل شىء أمامى بلون شفاف وردى.

ثم انقطعت رسائلها.. وأرسلت لى إحدى صديقاتها تقول إنها مريضة بالمستشفى.

وطال مرضها.. ولم تكتب لى!

وكنت أشعر أن حياتى كلها قد تأجلت إلى حين أعود فألتقى بها أو أموت.

ومرت سنتان لم أشعر لهما بطعم ولا معنى.

كنت أتحرك وأنا غائب الوعى تقريبًا.

وفى أول صيف كنت أطير إلى السويد.

وما كدت أضع قدمى على أرض السويد حتى أسرعت إليها.

كانت قد شفيت من مرضها ولكن جسمها نحل وصارت كما نقول نحن كالبوصة ولكن نحولها زادها نقاءً وشفافية وكأنها أصبحت خيالا.

ونظرت إلى فى استغراب وهى تمسح عن عينيها وكأنها تتذكرنى وقالت لى بصراحتها المعهودة.. أنها لطول ما عانت فى المستشفى من عذاب وآلام قد نسيتنى.. نعم.. نسيتنى.

وصدقتها.. فهى لم تكذب، فلم تكن بيننا مواثيق ولا عهود ولا اتفاق على أى شىء.

حسنًا.. لقد جاءت النهاية إذن.

وما مضى أصبح من المستحيل بعثه.

كم شعرت بالوحدة بعد هذا اللقاء.

وكم استبدت بى الوحدة بعد ذلك.

رحت أنشد السلوى فى علاقة أخرى.. وأخرى.. وأخرى.. وفى هذه المرة كانت علاقاتى تصل إلى كامل غاياتها.. لم أتعفف عن شىء.. غرقت فى إشباع مستمر.. أمتع حواسى بكل شىء..

وفى تلك البلاد كل شىء ممكن وما أيسر أن يصل الحب إلى الفراش.

وكلهن بيضاوات كالثلج.. شقراوات كأنهن متوجات بالذهب موردات الخدود.. دمويات الشفاه.. فيهن حيوية وصحة وشباب وكأنهن فاكهة طازجة مليئة بالعصير.. وكلهن محدثات لبقات ذوات ثقافة واطلاع وذوق فنى رفيع.

لم تكن فيهن واحدة أقل جمالا ولا أقل رقة من صاحبتى الأولى.

وبعضهن كن أكثر منها جمالا وثقافة.

وقد وجدت فى أحضانهن كل ما يرغب فيه شاب.

ولكن مع ذلك لم أرتو أبدًا.

ولم أشعر بالسعادة أبدًا.

ولم أشعر بالهناء أبدًا.

إنما هى وسائل أبدد بها طاقتى حتى يهدنى التعب فأرتمى على الفراش لأنام.. وأبكى.

نعم كنت أبكى كالطفل اليتيم المسكين.

حاولت أن أنسى.. ولكن طيفها ظل يلاحقنى.. ولحظات النقاء والشعر والحلم التى عشتها معها كانت أقوى من كل الواقع الممتع الذى أغرقت نفسى فيه.

عدت إلى بلدى وحاولت أن أندمج فى جو بلدى الجديد، وحاولت أن أجدد عواطفى الميتة بعلاقات مع بنات بلدى.

ولكن كنت فى كل مرة أشعر أن بنات بلدى تافهات.. فهن بعد المقابلة الثالثة والرابعة يفقدن القدرة على الحديث.. ثم لا يعود لديهن شىء يقلنه ويكتفين بالانصات.. أو الانشغال بشىء.. أو يتفوهن بكلام تافه.

لى فتاة قريبتى عزيزة علىَّ.. فكرت فى أن أخطبها.. ولكنى لم أجد فى نفسى القوة على أن أقدم على هذه الخطوبة، فأنا أقارن

بينها فى كل لحظة وبين حبيبتى الأولى. وأشعر أنى أظلمها وأظلم نفسى لو ادعيت أنى أحبها كما أحب الأولى.

أنا مقتنع تمامًا بأن بنت بلدى ستكون زوجة أحسن لى وستكون أكثر وفاء وإخلاصًا ولياقة من أى أجنبية.. ولكن ماذا أفعل فى قلبى وماذا أفعل لعقلى الذى يريد أن يستمتع ببنت تتذوق الثقافة والمعرفة والفن.

لماذا لا تقرأ بناتنا الكتب؟؟

لماذا لا يتعلمن؟

لماذا لا يتحدثن كما تتحدث بنات الشمال؟

أصارحك الحقيقة أنا ألعن اليوم الذى سافرت فيه إلى الشمال.. فقد أفسدت هذه السفرية على طعم حياتى وغيرت القيم والألوان أمام عينى.

هل أنا أطلب الكثير؟

هل أنا أطلب المستحيل؟

هل أعيش فى وهم جسمه خيالى وأنا فى مستهل ربيعى.

أفكر باستمرار.. هل يتحرك قلبى فيحب من جديد.

وهل سيكتب على أن أتزوج من لا تفهمنى؟

ألا يتخرج فى مصر جيل من البنات المثقفات الواعيات يتحدثن بهذه اللباقة التى تتحدث بها بنات الشمال.

أنا لا أنتقد بنات بلدى، فأنا أيضًا أعلم أنى أولى بالنقد أكثر منهن ولكنى مسكين.. صدقنى.. مسكين بعقلى وعاطفتى.

أحمد

* * *

هذا هو الحب الأول وأوهامه مرة أخرى.

وأنت متفق معى على أن فتاة أحلامك لم تكن أجمل من قابلت.. فأنت تقول إنك قابلت بعدها من بنات وطنها من هن أجمل وأكثر ثقافة منها، وأنك وجدت فى أحضانهن كل ما يرغب فيه الشاب. وأنت معترف أن بنات وطنك أكثر لياقة وأكثر إخلاصا وأكثر وفاء.

إنه إذن وهم الانطلاقة الأولى.. ونشوة القبلة الأولى.. وخيالات الحب الأول ورسوماته الحادة فى الذهن.

وحكاية الأفلاطونية هذه كانت فى رأسك أنت وحدك.. كانت تقاليدك أنت والعفة التى حملتها إلى الشمال من بيئتك.. أما صاحبتك التى كنت تجلس كالزاهد عند قدميها فهى لا شك كانت تفكر بطريقة أخرى وبتقاليد أخرى، وكانت لا شك تعجب لحال هذا الولد الخجول الذى لا يمضى فى حبه معها كما يجب أن يمضى كل حب تعرفه.

ولا شك أن حبك من جهة نظرها.. كان حبًا ناقصًا.. ولهذا ما لبث أن طواه النسيان.

أما حكاية بياضها الذى فى نقاء الثلج وملائكيتها وأشعارها واطلاعها الواسع فى الفن والفلسفة، فأنت بنفسك اكتشفت أن هذا حال كل بنات الشمال.. وأن هذه الثقافة والنقاء والملائكية لم تكن تمنع من انتقال الغرام إلى الفراش وإطفاء النور فى كل حالة.

كانت أفلاطونيتك إذن أفلاطونية من جانب واحد.

وكانت من وجهة نظرها شذوذًا.

والرسم الذى رسمته لها فى خيالك كان وهمًا صورته لك نشأتك وتقاليدك.. وهم لا وجود له فى الواقع.. فهى بنت متحللة مثل أى بنت متحللة أخرى من بنات الشمال.

ولو أن قريبتك التى تفكر فى خطوبتها تصرفت بهذه الحرية وذاقت نصف هذه المتع التى تتمرغ فيها بنت الشمال لما قبلتها زوجة حتى ولو كانت لها عقلية شكسبير ولباقة فولتير.

وصدقنى أن هذا الشىء الذى تتصوره عيبًا فى بناتنا.. هو ميزة عظيمة فيهن كزوجات.. فالحديث قد يحلو فى جلسة غرام ولكنه فى زواج وفى حياة مستمرة بين زوجين يصبح ثرثرة لا تطاق.

والزوجة القليلة الكلام نعمة من عند الله.

أما الزوجة التى تحادثك كل يوم وكأنها ناقدة وتحلل وتعلق وتعقب على كل كلمة تقولها.. فإنها مصيبة.

وهناك اعتبار أهم من كل هذه الاعتبارات، هو وحدة التقاليد وانسجام العادات.. وهى راحة لن تشعر بها إلا إذا تزوجت من بيئتك ومن وطنك.. وهى وحدة مفقودة تمامًا فى أى زواج أو حب بين مصرى شرقى وسويدية شمالية.. وما عدا ذلك أوهام.. مهما خيل إليك أنه حقيقة.

أما أنك ستحب ثانية.. فهو أمر مؤكد.. فأنت ستحب حبًا ثانيًا وسيكون حبًا أعمق.

وستنسى صاحبتك وستتحول ذكراها إلى كارت بوستال جميل غير ضار.. بين الكروت التى جمعتها فى سفرياتك.

صرخة إلى الذى يرحم

لماذا أكتب لك دون سابق معرفة؟

هل ترانى أطمع فى أن أجد لديك حلا.. لا أظن.. فلا حل هناك؟

أترانى ضقت ذرعًا بصمتى الطويل فأردت أن أخفف عن نفسى بالكلام؟.. ربما.

شاب فى الثالثة والثلاثين.. فى تلك السن المفرحة التى يقول فيها الرجل.. لقد أحببت.. لقد تزوجت.. لقد أنجبت طفلا.. لقد حققت نجاحًا فى عملى.. لقد.. لقد..

سن العمل والحب المخاطرة.. سن النضج والإقبال على الحياة بملء القلب.

أما عندى فهى سن الانكسار.. سن اليأس.. السن التى أغلقت فيها كل الأبواب وكل المنافذ التى يدخل منها النور.

ولأبدأ من البداية.

البداية المشرقة.. وأنا فى المدرسة الابتدائية آخذ الجوائز الأولى فى الرياضة وأنجح كل سنة بتفوق.. وينظر إلىّ زملائى فى

حسد.. وأنظر أنا إلى نفسى فى زهو وافتخار.

وفى المدرسة الثانوية وأنا أقفز من سنة إلى سنة وأتصدر الفصول وآخذ التوجيهية بمجموع عظيم يؤهلنى لكى أختار وأخطط لمستقبلى كما أشاء.

ولكن القدر كان قد خطط لى بالفعل واختار لى مصيرى وكتب لى قسمتى دون أن ينتظر إمضائى.

إن الحرية التى تكتب عنها دائمًا فى كتبك خرافة.

ولعلك تكتب عنها لتطمئن نفسك.. فالحياة بدون «وهم حرية» وأقول «وهم حرية».. شىء غير مستطاع.. أقول هذا مع إعجابى الشديد بكل ما تكتب.. ولكن ما رأيك فى هذا الذى حدث لى بعد ذلك وكيف تفسره.. مرض بطىء خبيث راح يزحف على كيانى كله فى بطء ولكن فى إصرار.. يتفاقم يومًا بعد يوم.. ويسير من سيئ إلى أسوأ برغم طب الأطباء من كل لون ومن كل بلد.

ضعف خبيث يلم بالعضلات.. وعضلات الحركة بالذات.. يبدأ خفيفًا بسيطًا ثم يتفاقم.

أصحو فى الصباح فما أكاد أغسل وجهى وألبس ثيابى حتى أشعر أنى قمت بمجهود عنيف وأن عضلاتى بدأت تتخاذل، وكأنى قضيت ساعات أرفع فيها الأثقال.. وأتحامل على نفسى وأنزل السلم فأشعر أنى أجر نفسى جرًا.

وما يكاد النهار ينتهى حتى أرتمى فى فراشى وكأنى كنت

أجرى طوال الوقت مع أنى لم أقم بمجهود ذى بال.

ويومًا بعد يوم تتفاقم الحالة.. فأشعر بأنى فى حاجة إلى من يعاوننى فيصب على رأسى الماء ويناولنى البشكير ويلبسنى الجاكتة.

ثم أشعر أنى فى حاجة إلى تاكسى فى مشوار لا يزيد عن محطة ترام.

ثم لا أعود أستطيع الوقوف انتظارًا للأتوبيس.. عضلاتى لا تقوى على حملى.. ساقاى تخذلانى وتتهاويان تحتى فأشعر بأنى فى حاجة إلى رفيق أستند عليه.

ولكنى لا أكاد أتشبث بهذا الرفيق حتى تكل ذراعاى وينخلع كتفى.. وتتهاوى ذراعاى الاثنتان أيضًا.. ثم أتهاوى مثل غرارة من القش وكأنى فقدت أطرافى تمامًا.

ثم يتفاقم الأمر ويستلمنى العجز من الصباح فلا أعود قادرا على مبارحة الفراش.. أطرافى تتحرك فلا تكاد تقوى على حملى.

ثم يتفاقم الأمر أكثر فلا أعود أستطيع أن أجذب الغطاء على جسدى فى ليلة باردة فأظل أرتجف.. والبيت كله نائم.. لا أملك سوى انتظار الصباح.. أو انتظار معجزة أن يصحو أحدهم ويدخل علىّ بالمصادفة فيجذب على جسدى الغطاء أو يغلق النافذه التى تركت مواربة.. وأنا أخجل أن أوقظهم بصياحى فهم يقضون النهار فى خدمتى وماذا فى وسعهم أكثر من ذلك.

وقد اكتشفت حقيقة هامة.. أن الإنسان ثقيل، وهو يصبح

ثقيلا جدًا حينما يمرض ويفقد القدرة على خدمة نفسه.. والإنسان السليم قد يتحمس مرة للمساعدة.. وقد يشفق مرات.. وقد يعطف يومًا بعد يوم وشهرًا بعد شهر.. ولكن عواطفه سوف تتعب.. وصبره سوف ينفد، وخاصة حينما يشعر أنه لا أمل ولا فائدة ولا نهاية.. وحينئذ الويل للمريض من السليم.. إنه سيتحول بالنسبة له إلى رفيق كئيب.. وضيف ثقيل.. وحمل كريه.. وكابوس، إلى شىء مثل الصرصار فى رواية كافكا يتمنى له الكل أن يقع فى البالوعة ويموت وحينما يتباطأ فى موته ترى الكل يتسابقون إلى كنسه بمكنسة والقائه فى البالوعة.

وأنا أحكى لك عن الناس حولى.. وعذابهم.

أما عذابى أنا فأنت يمكن أن تتصوره..

شاب فى العشرين ينحدر ببطء واستمرار إلى هوة فظيعة من العجز.. ويظل يتدهور شيئًا فشيئًا حتى يرتمى فى فراشه لا يبرحه ولا يستطيع حتى أن يغير الجنب الذى ينام عليه.. والأطباء يدخلون ويخرجون ويضعون السماعات ويطرقون عضلاتى بمطارقهم ويقلبوننى على كل جنب ثم يتجهمون ويقولون فى نبرات مثقلة.. إنه ليس شللا.

ليس شللا؟.. الحمد لله.. أقول أنا فى نفسى.. ولكنهم يتجهمون فالشلل يشفى.. وهناك ألف طريقة وطريقة لعلاج الشلل وما أعانى منه ليس شللا إنه «ميوباثى» حالة غامضة

تضمر فيها العضلات وتفقد القدرة على أداء وظائفها لغير سبب معروف حالة لا علاج لها ولا أمل فيها.. والمستقبل فيها أن تتدهور أكثر وأكثر.. ولا تتوقف إلا بالموت.. بعد عمر طويل.. أو عذاب طويل على الأصح.

إذن لابد أن أعد نفسى لمواجهة المستحيل ولقبول حياة كالموت.

أنا ابن العشرين.

وأحاول أن أخلق لنفسى عالمًا خاصًا أبنيه بخيالى من الكتب والروايات التى أقرؤها.

الكتب.. كل أنواع الكتب.. المترجمة والمؤلفة.. الحديثة والقديمة.. الروايات والبحوث والقصص والدراسات.. أقرأ، وأقرأ لأقتل الوقت قبل أن يقتلنى.. وأقرأ لأنسى نفسى فى خيالات الآخرين.. حيلة العاجز لمحاربة الضجر ومغالبة الآلام.. والمسألة فى النهاية كما يقول الإمام الشافعى حينما قال له أحدهم.. لقد حفظ فلان البخارى فقال الإمام.. لقد زادت نسخة فى البلد.

نعم إن كل ما فى الحكاية.. أنها نسخة تزيد.. من كل كتاب أقرؤه.

ثم لا شىء أكثر.

الوقت يمضى.. شكرًا للمؤلفين يشغلوننى عن نفسى بخيالاتهم. سنها خمس وعشرون سنة.

سنى ثلاثون سنة.

انها بنت عمى التى كنت أبادلها وأنا طالب نظرات الحب.. وكانت هى تبادلنى العشم.. ظلت تنتظر سنة بعد سنة.. ولكن كما قلت العواطف تتعب.. وهى تذبل كما تذبل أوراق الشجر حينما لا يرويها الأمل.. وهى تجف.. وهى تسقط كما تسقط أوراق الخريف.

وبنت عمى تتزوج.

وهذا أمر طبيعى بالنسبة لها.

ولكن بالنسبة لى.. قطعة أخرى من حياتى تؤخذ منى.. كذراعى وساقى التى لم أعد أملكها.

لست أنانيا لأتصور أنها يمكن أن تنتظر.. وكيف تنتظر.. وتنتظر من.. وتنتظر ماذا؟!..

ولست غبيًا لأطالبها بالوفاء لعهد لا وجود له ولرجل لا وجود له.

ولكنى مع ذلك.. أنا بشر.

نعم.. أنا بشر.

وهناك أنواع من الحزن هى اللا معقول بعينه.

وحزنى على حبى الذى راح هو حزن من هذا اللا معقول.. أغالبه بالإغراق فى الخيال.. بالابتسام.. بالتبلد للقدر.. كلما شدد

من ضرباته شددت من عنادى وكأنى أنطحه كما ينطحنى.

وأسمع بأذنى التعليقات من وراء ظهرى.

إنه يبتسم.. إنه فقد الشعور والإحساس كما فقد القدرة على الحركة.

والله وحده يعلم كم أشعر.. وكم أتألم.

الله يعلم أنه التجلد لا التبلد.

سؤال واحد يحيرنى.

أسأله لنفسى ألف مرة كل يوم.. حتى ليكاد عقلى ينفجر.

لماذا اختارنى الله لهذه المحرقة التى قيدنى بها ليل نهار. لماذا اختارنى أنا بالذات دون بقية الناس.. هل ترانى اقترفت ذنبًا دون أن أشعر؟ لا أظن.. فقد كنت متدينًا شديد التمسك بالإيمان أصلى وأصوم وأحب للآخرين ما أحب لنفسى.. وحتى ولو على أبعد الفروض أنى ارتكبت ذنبًا فأقصى عقوبة نعرفها نحن قساة القلوب هى السجن المؤبد خمس وعشرون سنة أو الإعدام وقد استنفدت الأولى وتمنيت ومازلت أتمنى أن أنال الثانية لأريح وأستريح.

والسجن والإعدام دستور القساة الخطاة ذوى العقول القاصرة والعدالة العاجزة أمثالنا نحن البشر.. إنه قانوننا نحن الناقصين.

وحتى فى قانوننا هناك العفو والتنازل عن ربع المدة

والاستئناف وإيقاف التنفيذ وقبول التعويض بدلا من السجن.

فما بال ربنا، العظيم فى رحمته، العظيم فى قانونه.

لقد أجمعت كل الأديان على أنه الرحمن التواب الغفور.

لماذا لا يرحمنى.

أنا أصرخ.

وهو يسمعنى.

ولكنى مازلت أتلوى على المحرقة.. وحالى يتدهور يومًا بعد يوم وساعة بعد ساعة. واليقين الوحيد الذى أعيش فيه هو يقين العذاب والعذاب أكثر وأكثر.

هل تفهمنى.

سوف تعزينى بأن لى الجنة بعد الموت.. ولكن من يدرى بأنى داخل جنة.

أنت تفهمنى ولا شك.

أنا أعلم أنك الوحيد الذى تفهمنى.. أنت الطبيب الأديب.. فماذا تقول؟

ألا تزال تؤمن بأنى حر؟

عادل

* * *

أنت فى بلاء عظيم.. وأى كلمة عزاء هى كلمة مبتذلة بالنسبة

لما تعانيه.. فقد دفعك عذابك وصبرك وجلدك إلى أشرف مكان فلم تعد بالإنسان القليل الخبرة الذى تقال له النصيحة وإنما أنت بما تعانيه نبع حكمة وكنز معرفة.

وما يثيره عذابك من أسئلة.. هى أسئلة لا جواب عليها.

هى أسئلة تحيرنى كما تحيرك.. كما تحير كل من حاول أن يفكر فى نزاهة وصدق.

وطالما سألت نفسى وأنا أرى الأرض غارقة فى المظالم سابحة فى الدم منذ أن بدأ تاريخها.. وأنا أرى بشاعة الآلام على أسرَّة المرضى والمحتضرين.

وأنا أقف مشدوهًا أمام طفل مشلول يبكى: يا إلهى وماذا فعل هذا الطفل أيضًا ليتألم.

وأنا أرى الأوبئة تحصد كل شىء حتى الأجنة فى بطون الأمهات.

وأنا أبحث عن الرحمة فلا أجدها.

وبرغم كل شىء.. فأنا لم أشك أبدًا فى عدل الله ولا فى حكمته.. ولكن حكمته أحيانًا تخفى على العقول.

ويبدو الأمر غير مفهوم بالمرة..

يبدو أنه اللا معقول بعينه.

ولا أحد ممن فكروا فى الشر قد وجد له تفسيرًا واحدًا معقولا..

إنه عقاب.. عقاب لمن ؟.. والأطفال أول من يذهب من ضحاياه أنا لا أعرف.

ولكنى أعرف أنك حر.. فأنت لا تنهار تحت الردم.. وإنما أنت تصرخ.. وكما تقول فى خطاباتك أنت تغالب الغلب بالابتسام، وكلما شدد القدر من ضرباته كلما شددت من عنادك وكأنك تنطحه كما ينطحك.

أنت موجود إذن وإرادتك المتمردة تثبت معدنها الصلب الذى لا يلين فى مواجهة تلك المطرقة الهائلة التى تنزل عليك بلا هوادة.

والحرية ليست فقط حريتنا فى أن نتحرك.. وإنما قدرتنا فى أن نحتفظ بعزائمنا صلبة مشرعة فى مواجهة عوامل الهوان والإذلال هى دليل حرية.. أى حرية.

ولا أحد منا يملك الحرية المطلقة.. وإنما هى دائمًا حرية نسبية فى مواجهة طاحونة القدر الدوار.

وهى حرية ضئيلة ولكننا سنصل بها إلى القمر وسنغزو النجوم وبين يوم وليلة سوف يكتشف طبيب مخلص الدواء الشافى لمرضك.

وكما اكتشف دواء للسل وعقار حاسم للتيفود ولقاح للحصبة وكانت كلها أمراضًا بلا دواء.. فلابد أن يكتشف دواء للميوباثى إنه ليس أملا خاليا.. ولكنه أمل متواضع فى حدود العلم والحكمة.

ابتسم صابرًا، وثق أن هناك ألوفا من العلماء لا تعرفهم يفكرون كل يوم من أجلك.

وتأكد أن هناك حكمة لعذابك ولكنها محجوبة عنك وعنا، وتأكد أن الله يخفى لك أجرًا عظيمًا فهو الرحيم الذى تتجاوز رحمته رحمة كل الرحماء.

حيوان

سيدى..

هل خلت الدنيا من المبادئ.. هل تدهورت الأخلاق.. وفسدت القيم.

أكتب لك الآن وأنا أبكى.

وسوف أبدأ معك من البداية.

نشأت فى أسرة كبيرة العدد متيسرة الحال.. أحببت أمى وأبى وإخوتى وكنت أنظر إليهم على أنهم مثل عليا.. إلى أن كان يوم جاءت فيه خالتى لزيارتنا فطردتها أمى وعلمت فيما بعد أنه كانت هناك علاقة بين أبى وخالتى.. أبى الذى اعتبرته أكمل رجل فى الدنيا.. وخالتى السيدة الفاضلة المحترمة زوجة الرجل الكامل كانت صدمة جعلت كل القيم تهتز أمامى وبدأت أفتح عينى لأرى كل شىء حولى.

ورأيت العجب.

رأيت أخى الأكبر يقبل الخادمة فى المطبخ.

ورأيت زوجته تغازل أخاه الأصغر.

وضبطت خطابًا غراميًا فى حقيبة أختى المتزوجة.

حتى أمى الشريفة العفيفة رأيتها تقبل هدايا من أصدقاء أولادها وتحتفظ بتذكارات لهم.. وحينما فاتحتها فى الأمر قالت لى إنها لا مانع عندها من أن تضحك على أى رجل عبيط وتدعه يجرى وراءها ما دام لا ينال منها شيئًا، وإن ضميرها لا يؤنبها ما دامت لا تسلم نفسها لأحد..وانهارت أعصابى.. وقاطعت العائلة كلها.. وتبدلت نظرتى إلى الدنيا وإلى الرجال والنساء.. فأصبحت نظرة احتقار وازدراء إلى كل رجل وكل امرأة.. ورفضت كل من تقدموا لخطبتى.. وسيطر علىّ الخوف فأصبحت أتجنب الانفراد بأى رجل فى أى مكان حتى ولو كان أخى، وأرتجف اشمئزازًا من النظرات التى تتفرسنى فى الطريق.

كم تعذبت وكم تألمت بسبب هذه المخاوف.. إلى أن كان يوم منذ عام تقريبًا وكنت قد تخرجت لتوى من الجامعة والتحقت بإحدى الشركات. جاء إلى القاهرة رجل أمريكى استضافه أخى فى البيت عدة أيام، لأنه كان قد تعرف به فى أثناء وجوده فى أمريكا.

وفرح الجميع به فهو من مظاهر المدنية التى يتشدقون بها.

ورأيت الرجل.

ولأول مرة فى حياتى نسيت خوفى من الرجال.. ونسيت كل شىء إلا أنى أمام إنسان مهذب.. رجل يختلف تمامًا عن كل

الرجال الذين عرفتهم.. ينظر فى عينى عندما يحدثنى ولا ينظر إلى صدرى وساقى.. مثقف.. عاقل.. مهذب، وتحرك فى قلبى إحساس حلو رائع.

وذات يوم اعترف لى بحبه وعرض علىّ الزواج.. وقال إننا سنتقاسم التضحيات.. هو يضحى بدينه وأنا أضحى ببلدى وأسافر معه، فاتحت أمى بالحكاية وصارحتها بأنى أحبه ولا أستطيع أن أعيش يومًا واحدًا بدونه.. بكت وتوسلت.. ثم أذعنت للأمر الواقع.. وكذلك الجميع.. وباركوا حبنا.

وفى أيام كنا قد استكملنا الإجراءات، وبعد ساعات كنا نحلق فوق السحاب طائرين إلى أمريكا زوجين سعيدين.. وكنت أمسك بيده وآلاف الصور والأخيلة الحبيبة الأليفة تمر بذهنى.. سينما روكسى وإسكندرية وميامى وعم عبده البواب وذكريات الطفولة.. وآلاف الأشياء الصغيرة التى كانت فى الظلام ثم غمرها النور فجأة.

وحينما نزلت الطائرة على أرض أمريكا رأيت نفسى فجأة بين وجوه غريبة.. والتف أصدقاؤه وأقاربه حولى.. وشعرت بوحدة ووحشة.. وتشبثت بيده بشدة ليحمينى من هذا الإحساس الغامر بالغربة.

ثم بدأت المفاجآت..

اكتشفت أنه أعلن إسلامه كذبًا ورياءً ليتزوج بى فقد عاد من

أول يوم إلى التردد على الكنيسة، وأصر على أن يصحبنى معه فرفضت، وكانت المفاجأة الثانية هى السهر والشرب والرقص.. كل ليلة يصر على أن يصحبنى معه فى كل مرقص ويقدمنى لأصدقائه.. وكل واحد يتقدم ومع المراقصة ملاطفة.. ثم ما هو أكثر من الملاطفة.. وكأس أخرى فى صحة سمراء النيل.. رجال كثيرون كلهم سكارى وروائحهم كريهة، وكل واحد معه زوجته وكل واحد يرقص مع زوجة الآخر ويلاطفها ويقبلها.. ويختلى بها فى ركن.. وفى نواد ليلية خاصة يتم تبادل الزوجات والأزواج فى حرية أكثر.. حيث يختلى كل اثنين فى غرفة برضاء الجميع وباتفاقهم على اعتبار أن هذا اللقاء الأسبوعى ينعش الحواس ويعالج الملل. هذا غير الشذوذ الجنسى بين الرجال.. والتفنن فى القذارة وفى الدعارة من كل نوع.

وطبعًا رفضت هذه السهرات.. رفضت مراقصة أى رجل غير زوجى.. ورفضت الأنخاب المتتالية فى صحتى.. وتوسلت إلى زوجى أن يتركنى وحدى فى البيت ويسهر كما يشاء.. وطبعًا تشاجر معى وقال عنى رجعية ومعقدة. ثم أصبح يسهر وحده ثم اكتشفت أنه أصبح يسهر مع شقراء أمريكية متزوجة أخلاقها على شاكلته.. واجهته بالحقيقة فضحك قائلا.. ولم لا.. إنها على الأقل تفهمنى.

وأصبحت لا أراه إلا لماما ولم أعد أطيق حياة الغربة والذل

فى بلد غريبة وطلبت منه أن يطلقنى.. فبادر إلى تطليقى وبدون تردد.. وحجز لى تذكرة على أول طائرة.. ولم يفكر حتى فى توديعى.

وعدت إلى بلدى ذليلة منكسرة واستقبلتنى أمى استقبالا هون علىّ الأمر.

ولكنى لم أستطع الحياة.. وحاولت الانتحار مرتين وفى كل مرة أنقذونى.. وفى كل مرة كنت أستيقظ لأجد أمى تبكى وتتوسل لم فعلت هذا.

ماذا أقول لها؟

هل أقول إنى صدمت فيها وفى أبى وفى إخوتى.. وفى زوجى وفى الدنيا كلها.. وإنه لم تعد لى حياة فى هذا العالم الذى خلا من القيم.

أغلق علىّ باب غرفتى.. وأبكى.. وأشعر أنه لا يوجد حل لأمثالى سوى الموت.

عرض على أخى أن أعود إلى العمل خاصة وقد أصبحت أتقن اللغة الإنجليزية.. ولكنى لا أريد لا أريد أن أرى أحدًا.. فقدت الثقة بكل شىء وبكل الناس.

سمراء النيل

* * *

لابد أن تعودى إلى العمل الآن وفورًا وبلا تردد، وتقلعى عن

هذه الفلسفة المراهقة بأن الدنيا فساد فى فساد، وأن الحياة شر وقذارة ودعارة ولا أمل فيها. فنحن أحيانًا نأكل بيضًا فاسدًا ونمرض ولا يعنى هذا أبدًا أن كل البيض فاسد. ولا شك أن زواجك بالأمريكى وسفرك إلى أمريكا كان غلطة، ولا شك أن المحيط الذى عشت فيه مع أصدقاء زوجك كان وسطًا داعرًا منحلا.. ولكنك غسلت يدك من هذه الغلطة وهذا الوسط.. وعدت إلى بلدك. ومصر غير أمريكا.

ومهما كانت هناك مباذل عند بعض الناس فما زال الخير والفضيلة والعفة هى القاعدة عند الأغلبية من الرجال والنساء.

والدنيا لسه بخير يا سمراء.

ولو خرجت عن دائرة صلاتك المحدودة وازددت احتكاكًا بالدنيا من خلال عملك، فسوف تجدين الشرف والخلق والرجولة الكاملة عند الكثيرين.

لا تدفنى أملك ولا تضيعى حياتك لأنك ضبطت خطابًا غراميًا فى حقيبة أختك، أو لأنك رأيت أمك تقبل هدايا وتذكارات من أصدقاء أولادها، أو لأنك سمعت أن أباك كان على علاقة بخالتك كل هذه مسائل تافهة.. وكل واحد له عالمه الخاص وله سقطاته وله ضعفه.. وحينما تتخلى امرأة عن أخلاقياتها فليس معنى هذا أن الأخلاق انتهت والعالم انتهى.

والحياة بحر أنت مازلت على شطآنه.

وأحيانًا لابد لنا أن نخوض الأوحال والرمال لنصل إلى اللؤلؤ والمحار والمياه الصافية والأعماق الشفافة.

ورسالتك وعذابك وآلامك قالت لى إنك إنسانة عظيمة.. والإنسانة العظيمة لا تنتحر.

وإنما تعمل وتكافح لتصل إلى رجلها العظيم.

الحب الذليل

أنا شاب فى الثامنة والعشرين من عمرى تخرجت منذ عامين فى الجامعة.. أتمتع بوجه دميم وذكاء نادر كما يقول الجميع.

بدأت القصة وأنا فى السنة الثانية بالكلية حينما سكنت فى الشقة المقابلة أسرة جديدة.. وعندما عدت من الكلية وقفت فى البلكونة أتفرج على السكان الجدد وشدت بصرى فتاة فى الخمسة عشر ربيعًا فيها جمال أفروديت، وكانت طالبة فى الإعدادية فى ذلك الوقت.

وفى اليوم التالى تبادلت والدتى ووالدتها تحية الصباح.. وكلمة من هنا وكلمة من هناك أصبحتا صديقتين حميمتين كل واحدة تحكى للأخرى أحوالها.. وطبعا حكت أمى لجارتها عن نبوغى وتفوقى فقالت أم الفتاة على الفور إنها ترجو أن أعطى ابنتها درسًا فى الرياضة والعلوم.. وكانت فرصة ذهبية.. بالنسبة لى أن أتعرف على هذا الجمال.

وبدأ أول درس جاد جدًّا.. وفى الدرس التالى تكلمنا.. وعرفت فيها بعد من الفتاة أن أمها تدفعها دفعًا.. تتيح لنا

الفرص لينفرد بعضنا ببعض طويلا وكنت فى ذلك الوقت أتقاضى من الكلية ١٣ جنيهًا مكافأة شهرية على نجاحى بتقدير ممتاز من السنة الأولى للسنة الثانية.. وكنت أشترى بنصف هذا المبلغ هدية لتلميذتى كل شهر.. وكنت أتعلل بأسباب كاذبة لضياع المبلغ فأقول لأبى إنى اشتريت به كتابًا أودفعته خصومات للمعامل نظير ما كسرت من أجهزة.. وكان الرجل الطيب يصدق إذ تعود منى الصدق دائما.. وكانت هذه أول مرة أكذب فيها.

وكنت أدهش حينما أرى الفتاة تلبس ما أعطيها من هدايا بدون خوف من أمها، ثم علمت بعد ذلك أن أمها على علم بكل شىء وأنها تشجعها.

وسارت الحياة طوال السنة الثانية على هذا المنوال ونجحت كالعادة بتقدير ممتاز.. لم يكن حبى يشغلنى وإنما كان يشجعنى على الطموح والعمل.. كنت أحلم بأن أفوز بجائزة عيد العلم وأكون أول الكلية فى البكالوريوس.. وفعلا نجحت مرة أخرى بتقدير امتياز من السنة الثالثة إلى الرابعة.. ونجحت الفتاة فى الإعدادية ثم قعدت فى البيت انتظارًا لأن أتقدم لخطبتها وكان هذا ما نويته بالفعل حينما أتخرج.

وجاءت السنة الرابعة - أى البكالوريوس - ونجحت بتقدير ممتاز ٩٣٪ فى الترم الأول وانهالت علىّ القبلات من الأسرة.. واندمجت فى المذاكرة والتحصيل ومقابلة الفتاة فى منزلها مرة وفى

منزلنا مرة أخرى وكنت لا أكتفى بالمذاكرة والكشاكيل بل كنت ألتهم المراجع حتى أصبحت مثل عود القصب.

وفى يوم مشئوم ليته لم يأت ولم تطلع شمسه.. كانت أمى تبحث عن قلم لوالدى.. ففتحت أدراج مكتبى فشمت فى أحد الأدراج رائحة عطر جميل فأخذت تعبث بالدرج حتى عثرت على خطابات كثيرة أعطتها لأبى ليقرأها.. وعرف الجميع القصة.

ومن تلك اللحظة بدأت المأساة.

منذ ذلك اليوم وأمى تغلق الأبواب والشبابيك بشدة أمام كل من يقف فى بلكونة أو نافذة عندهم.. وبالطبع قوبلت هذه الإهانات بأبلغ منها.

وحذرتنى أمى من هذا الحب ومن هذه العائلة، ولكن لم أسمع كلامها وتركتها دون أن أنطق بحرف ولم أذاكر كلمة فى ذلك اليوم وكان هذا أول يوم فى حياتى لا أذاكر فيه.

وفى اليوم التالى شغلت عليها فأرسلت لها خطابًا مع الخادمة فرأيتها تخرج من البلكون لتمزق الخطاب أمامى وتدوسه بقدميها. وأصابنى الذهول، ولكنى لم أيأس فأرسلت لها خطابًا آخر وآخر وآخر وكل واحد يلقى نفس المصير.

وظللت أسهر الليالى أسود الخطابات لتمزقها فى الصباح واستمر حالى يتدهور من سيئ إلى أسوأ حتى كنا فى أبريل ١٩٦٣ وباق على الامتحان العملى أيام وعلى الامتحان النظرى

شهر وأنا لا أذاكر وأسهر أعد النجوم وأسود الخطابات.

ودخلت الامتحان ونجحت بتقدير جيد ٧٠٪ وضاعت جميع آمالى فى الأولية وجائزة عيد العلم وفى الاشتغال معيدًا بالكلية.. وبكيت كالطفل.. ويومها أرسلت لى الفتاة ورقة صغيرة مكتوب فيها: أيها الذكى الطموح الجشع.. لقد تحطمت كل أحلامك على يدى أعز إنسان لك.. ألا وهى أمك.

وبالطبع لم يكن هذا أسلوبها فأنا أعرف أن كلامها تافه، وأنها لا تستطيع أن تكتب جملة مفيدة وأن معلوماتها عن السياسة والعلم والأدب لا تزيد عن معلومات طفل رضيع.

وبعد شهور من الحزن والالم والندم، وبعد أن سحبت أوراقى من الكلية أعلنت إحدى الشركات عن حاجتها لخريجى علوم فتقدمنا جميعًا وكنت الأول فى ترتيب الامتحان من خمسمائة شخص متقدم.

وعادت إلىّ ثقتى وقررت أن أخلص فى عملى فى خدمة الشركة لأفوز بتقدير الجميع.

وبعد شهور من التحاقى بالعمل وبالرغم من حداثة عهدى بمسئولياتى الجديدة إلا أنى فزت بثقة الجميع.

وطلبت من مدير القسم أن يوافق على أن أتقدم للماجستير فوافق فورًا وأمدنى بعمل وأجهزة ومواد خام، وأخذت نقطة بحثى فى موضوع يهم الشركة ويهم مستقبلها.

والآن لعلك تسأل.. أين المشكلة؟

والمشكلة هى الفتاة.. حبى المجنون الذى لا أعرف كيف أتخلص منه.

تصور أنى أنتظرها حتى تخرج فأخرج وراءها كالأبله من شارع إلى شارع ومن زقاق إلى زقاق.. أحاول أن أكلمها فلا أجد الجرأة.. وإذا وجدت الجرأة وكلمتها نظرت إلىّ نظرة اشمئزاز من فوق لتحت.. تفعل هذا أمام الناس.. ثم تستدير وتتركنى مبلولا فى مكانى.

وكلما مرت الأيام ازدادت اشمئزازًا منى واحتقارًا لشأنى، وازددت أنا حبًا وملاحقة لها فى كل مكان.

حدث منذ أسبوع أن كنت فى أحد مطارداتى لها فى أتوبيس وفوجئت بأنى أقف وجها لوجه أمام مساعد فنى يعمل معى فى الشركة اسمه إبراهيم ولاحظ إبراهيم نظراتى للفتاة فقال فى خبث:

– أنت معجب بالبنت دى.. دى الجو بتاع سعيد.. وسعيد هذا هو أحد عمال الشركة.

فقلت له وأنا أدارى ارتباكى.

– يا شيخ دى باين عليها بلدى..

ولاحظ إبراهيم نظراتى اللاشعورية المستمرة.. فقال فى إشفاق..

– الظاهر أن سيادتك بتحبها قوى.

– بلاش كلام فارغ.

– سعيد قال لى على كل حاجة.. ما عندوش مانع يجيبها لحد عندك ما دمت بتحبها قوى كده.

– أرجوك بلاش الكلام الفارغ ده.

ويومها كتبت عنه تقريرًا زى الزفت وكتبت مثله فى زميله سعيد وهددتها بالنقل من المشروع إلى المصانع – من يعمل فى المشروع يتمتع فى العادة بميزات خاصة – وأصبحت كلما رأيت سعيد وإبراهيم أتذكر الفتاة.

وأدمنت التدخين – أربع علب كل يوم بعد أن كنت لا أقرب سيجارة – واضطربت أحوالى واسودت الحياة فى وجهى وكرهت الناس.

وأنا أكتب لك هذا الخطاب بعد مطاردة استمرت ساعة بين أتوبيسات القاهرة انتهت بأن بصقت فى وجهى.. وهذا طور جديد من أطوار الحب الذى أصبح ذلا وجعلنى أقل مركزًا وأهون شأنًا من نعل الحذاء.. أشعر أنى سوف أستقيل من عملى فى الشركة أو أكون السبب فى فصل العاملين وهذا ما لا يرضى ضميرى.. أنقذنى من نفسى ومن حبى.

المعذب

م. ق

❊ ❊ ❊

لا أظن أن ما يعذبك هو حبك.. فأنت فى الحقيقة لا تحب الفتاة وهى فى نظرك تافهة لا تستطيع أن تكتب جملة مفيدة.. وإنما يعذبك فشلك.. وأنت مدمن نجاح وانتصار وتفوق.

والتفوق والانتصار يداوى شعورك بوجهك الدميم ويعالج إحساسك بالنقص ويمدك بالتوازن الضرورى للحياة.

وهذه الفتاة التى وقفت أمامك لتبصق فى وجهك مزقت رداء الأمان الذى ترتديه.. مزقت التفوق الذى تحتمى به من شعورك بالنقص.. وكانت هى ذاتها الصرخة التى تذكرك بأنك دميم ناقص تثير الاشمئزاز.

وما تهدف إليه الآن من مطاردتها ليس شفاء حبك.. وإنما شفاء غليلك وانتقامك.. تريد أن تستردها لتكسر عينها وتذلها كما أذلتك وتنتصر عليها.. وبذلك ترتق الثوب الذى تمزق.. ثوب النصر الدائم الذى تغطى به إحساسك بالنقص الدائم.

وحل مشكلتك لن يكون بمطاردة الفتاة. ولا باستعادة حبها. ولكن الحل الحقيقى هو أن تواجه نفسك وتكف عن هذا الشعور المستمر بالنقص.. وتقبل وجهك الدميم وترضى بنصيبك الضئيل من الوسامة، وتعقد مصالحة مع هذا التمرد الدائم داخل نفسك، وتدرك إدراكًا واضحًا أن الشكل والوسامة والبشرة الخمرية مسائل يفتك بها دمل ويعبث بها الزمن من يوم إلى يوم وأنها

ليست بذات قيمة حقيقية.. وإنما القيمة الحقيقية هى إنسانيتك وليس شكلك.

وإذا أدركت هذا، فسوف تنتهى مشكلتك وسوف تكتشف أن حبك المزعوم لم يكن له فى أحد الأيام وجود.. وأنك فى الحقيقة كنت غازيًا تبحث عن معارك تنتصر فيها وهذا كل ما فى الأمر.

المرأة الرجل

أنا فتاة عمرى ٢٣ سنة.. فى السنة النهائية بإحدى الكليات.

نشأت فى بيئة ريفية يسودها التحكم والتسلط والقسوة.. بين أب مظهره الشدة والتعسف والاستبداد وباطنه الطيبة.. وأم ظاهرها الضعف وحقيقتها الحقد.

قضيت سنوات دراستى الأولى فى مدرسة داخلية إلى أن نلت شهادة التوجيهية.. وفى سن ١٢ وربما أقل عرفت المشى مع الصبيان وفى سن ١٣ تورطت فى علاقة مع أحد الأولاد، وكان يقبلنى كلما سنحت الفرصة.. وعرفت آخر وآخر.. وآخر.. وكانت كلها علاقات طيارى.. وكانت تنتهى دون أن تترك أثرًا.. وكنت أنا أبادر بإنهائها.

ثم جئت إلى القاهرة والتحقت بالجامعة.. وعشت سنة عند أختى وعانيت الأمرين من تحكم زوجها فى شئونى.

وكانت اللحظة التى خرجت فيها من بيت أختى لأدخل بيت الطالبات هى ساعة الخلاص بالنسبة لى.

وفى بيت الطالبات كنت مثالا للفتاة الهادئة المؤدبة المهذبة..

وفى المدرج بالكلية كان وجهى يحمر خجلا إذا تطلع أى طالب فى عينى.. كان هذا هو ما يظهر أمام الناس من سلوكي.. أما ما كان يحدث فى الخفاء فكان شيئًا آخر تمامًا.

كان عمرى ١٦.. وكان يحدث أن ألتقى بالصدفة فى الشارع بصديق من القرية فأذهب معه إلى بيته وهو يعيش بمفرده.. ولا أبالى أى شيء.. ويتكرر ما يحدث معه ليحدث مع أى رجل.

كنت دائمًا تجدنى فى الكلية لابسة كُمًا طويلا وآخر حشمة. وفى مكان آخر ما مانع من أن أخلع ملابسى كلها بالساعات.

كنت أصلى وأصوم.. متدينة جدًا.. وأخاف الله.. ومع هذا كنت أكذب لأسباب تافهة جدًّا.. ولمجرد الكذب.

لو سألتنى لماذا كنت أفعل هذا.. لما عرفت كيف أجيبك؟.. وصدقنى لم أكن سعيدة بما أفعله.

كنت فى أعماقى أشعر بأنى إنسانة غير محبوبة.

كنت أشعر أن أمى لا تحبنى.. وأخواتى لا يحببننى أيضًا.

وكنت أشعر أن الرجال كلهم خونة.. والأزواج كلهم يخونون زوجاتهم.. وليس هذا مجرد خيال.. فقد كانت هذه الخيالات تحدث معى.

كان أول حب لى هو حبى لإحدى البنات صاحباتى فى الثانوية وكان حبًّا عنيفًا جدًّا.

فى طفولتى كانت أمى تعتبرنى أجمل أخواتى.. لا أدرى لماذا

فأنا أشعر أن شكلى عادى.. وليس فىّ شىء يلفت النظر.

كنت ذكية جدًّا فى دراستى وأنجح باستمرار.. ولكنه نجاح لمجرد النجاح.

كنت أذاكر لأتخرج.. لا أكثر.. وعقيدتى فى هذا أن الدنيا مجرد فلوس ومراكز.. وكانت هذه أيضًا عقيدة أبى مع أنه رجل غنى ومتدين يصلى الفرض بفرضه.

كنت دائمًا طماعة.. أريد الكثير من الدنيا، لم أعرف الأمراض فى حياتى.. أللهم إلا حاجات بسيطة مثل الزكام والانفلونزا.

سمعتى فى الكلية كانت على الدوام.. مفيش أحسن من كده لدرجة أنهم يعتبروننى طالبة مثالية.. تصور!

الأساتذة يحترموننى جدًّا، ويعتبروننى قدوة ومثالا فى الأخلاق وفى الحشمة. وفى الإخلاص للعمل.

المشكلة أنه فى هذه السنة عقدوا خطوبتى على ابن عمى فى أثناء الإجازة فى القرية.. حدث هذا رغمًا عنى.

والحقيقة أنى لم أكن أحلم بهذه الخطوبة.. فخطيبى شاب مركزه محترم.. وأخلاقه حسنة.. وحالته جيدة.. ومع هذا فأنا أرفضه.. وأعود فأشعر بغاية السعادة لزواجى به.. ثم أعود فأشعر بالجزع والخوف من نفسى، والخوف من رغبتى الشريرة فى خيانته.

وهى ليست مجرد رغبة.. فأنا لا أكف عن علاقاتى المتعددة، وآخر هذه العلاقات كانت مع شاب من بلد عربى.

وقد أحببت هذا الشاب جدًّا.. ولكنى حافظت على علاقاتى به طاهرة بريئة لا تتجاوز اللقاء فى كازينو.. أو على الكورنيش، ولا تزيد عن القبلات.. ولم تكن هذه الطهارة نتيجة يقظة ضمير أو خلافه.. فقد كنت لا أتورع فى نفس الوقت عن إتيان المنكرات مع غيره، وإنما كانت عفة، ربما لشدة الحب والإعزاز، لست أدرى.

والحق أنى لا أستطيع أن أسميها عفة.. فقد كان يحدث أن ألتقى فى الصباح بخطيبى.. وفى العصر بحبيبى حيث يقبلنى فى نفس المكان الذى قبلنى فيه خطيبى.. وفى المساء أقضى الليلة مع رجل ثالث.

سوف تقول إنها قذارة.

أنا أيضًا أقول إنها قذارة.

والغريب أنى كلما اختليت بواحد فقدت اهتمامى به واشتقت إلى آخر.. فإذا التقيت بهذا الآخر شعرت بالشوق لثالث.

لم يحدث أن شعرت بشىء فى يدى أبدًا.. كل ما يقع فى يدى يفقد طعمه.

ومع هذا أشعر أحيانًا أننى أحب خطيبى جدًّا.

وخطيبى على فكرة حمش قوى.. ومحافظ.. وشديد.. وهو يثق

بى ثقة عمياء.. شىء يضحك.. ومع هذا فأنا لاأشعر بتأنيب ضمير وأنا أخونه.. لأنى أشعر أنه ربما يكون مثلى.. ليه لأ.. أنا أيضًا أبدو فى الظاهر آخر أدب وحشمة وفى الحقيقة آخر قذارة فلماذا لايكون هو أيضا من نفس الصنف وليس هذا مجرد شك.. فقد اعترف لى مرة بأنه كان على علاقة بامرأة متزوجة وعرفنى بها.

إنها ليست مبالغة منى.. ولكنى صدقنى.. أنا أعتقد أن كل الناس الذين يبدون فى الظاهر أتقياء أصفياء.. هم فى الحقيقة شياطين، وبرغم هذه الشقاوة فأنى فى الإجازة الصيفية الزم بيتنا الكبير فى القرية فلا أخرج منه ولا أرى أحداً ولا ألتقى برجل.

أشعر أحيانًا بأن جسدى قذر وأحتقره.. ولا يخفف من شعورى هذا سوى يقينى بأن كل الدنيا نفاق وقذارة.

ما يخيفنى أننى أفعل كل هذا وخطيبى معى فى مصر.

ماذا أفعل حينما يسافر عائدًا إلى القرية.. ويخلو لى الجو.

أشعر أن ربنا ظلمنى بهذه الأخلاق الزفت.. وظلم الناس بظهرى البرىء المهذب المحتشم.

العاطفة الوحيدة فى حياتى هى حبى لأبى الذى أشعر أنى أحبه أكثر من أى شىء فى الدنيا.

الرجل المثالى فى نظرى.. رجل صارم قوى.

والآن.. وهذه أخلاقى بصراحة.. ما رأيك؟

ماجدة

* * *

وصلتنى هذه الرسالة الغريبة.

وقد وقفت أمامها طويلا.. فهى ليست مجرد اعتراف.. وليست مجرد مشكلة خلقية.. بل هى ليست مشكلة خلقية إطلاقًا.. إنما هى حالة مرضية.. ومعضلة نفسية.

هل يمكن أن تضىء لنا بعض سطور هذه الرسالة الطريق إلى فهم نفسية صاحبتها.

بعض العبارات.. لها دلالة.

قولها إن العاطفة الوحيدة الجميلة فى حياتها هى حبها لأبيها، وأن رجلها المثالى هو رجل صارم قوى، أى صورة من أبيها الذى قالت عنه فى بداية الرسالة إنه أب شديد.

نظرتها إلى أمها امرأة تبطن الحقد.. وأنها لا تحبها.. واحتقارها لجسدها.

هل يمكن أن يكون احتقارها لجسدها رمزًا لاحتقارها لأنوثتها واحتقارها لأمها.

وهل يمكن أن تكون إباحيتها وتحررها الجسمى رمزًا لتشبهها بالرجل.. بالأب الذى أحبته.. إنها فى تصرفاتها أشبه برجل أكثر منها بفتاة مراهقة.

إنها لفرط حبها لأبيها تتمنى لو أضحت مثلا رجلًا.. تتمنى لو أنها تخلصت من وصمة أنوثتها.. تحتقر الأنوثة التى تمثل لها الأم الحقود التى تكرهها.

وهى تلبس ثيابًا بكم طويل.. ومظهرها مؤدب مهذب حمش يعنى راجل فى لبسها.

وهى تلتقط الرجال من الطريق لتذهب إلى شققهم الخاصة. وهى شقاوة من النوع الرجالى.. وليست من النوع الذى تقدم عليه امرأة.

والرجل فى نظرها خائن.. ولهذا فهى تخون.. وهو يعشق ويهجر.. ولهذا فهى تعشق وتهجر.

وأول علاقة لها هى حب عنيف لبنت من صاحباتها.. إنه دور رجل من أول الحكاية لآخرها.

وفى بيئة ريفية تعطى كل الحقوق للرجل وتسلبها من الأنثى، كان من الطبيعى أن تدفع الظروف التربوية هذا الانحراف إلى مداه.. وخصوصًا بالنسبة لفتاة ذكية طموح تريد من الدنيا الكثير.

أعتقد أن هذه المشكلة يمكن أن تفسر بأنها ارتباط عاطفى شديد بالأب انقلب إلى حنين لأن تصبح البطلة رجلا.. وتتصرف كرجل مما أدى إلى هذه النهاية من ازدواج الشخصية.. التى أخذت هيئة تدهور خلقى فاضح.

وهذا نوع نادر من سوء الخلق.. لا يمكن علاجه بالعظة الحسنة، وإنما بالفهم.

ومثل هذه الأخلاق يصلحها الطبيب النفسانى، أكثر مما يصلحها الواعظ.

اعترافات طالب خايب

كانت كلمات أبى التى يكررها كلما رآنى.

– نفسى أشوفك ناجح ومتقدم ومعاك أعلى الشهادات ومركزك أعلى المراكز.

وكانت هذه أمنية أبى بل منتهى أمله ومناه..

وكنت بكل أسف.. لعبيًّا كثير الزوغان كثير الهروب.. أذهب إلى المدرسة يومًا وأتغيب أيامًا.. ولم أكن وحدى.. كانت هناك شلة من الطلبة الصياع كلهم على شاكلتى.. إذا حدث فى المدرسة إضراب أو قامت مظاهرة.. فرحنا ورقصنا واعتبرناها فرصة.. ولم نكن نندمج فى المظاهرة.. أو نشترك فيها.. ولماذا نهتف ونبح أصواتنا بالكلام بالفارغ.. ويعيش ويسقط.

كنا نسرع إلى السينما حفلة عشرة.. أو تجدنا فى القهوة موزعين بين الطاولة والكوتشينة والدومينو.. فإذا لم يكن هذا ولا ذلك كان الشارع مأوانا.. وكان سيرنا وتسكعنا معاكسين البنات والستات حتى نلتقى بالفريسة ويكون هذا نهاية المطاف.. إذ لا يبقى بعد ذلك الا البحث عن مكان مناسب بعيد عن

العيون، حيث نتسلل داخلين واحدًا بعد الآخر كل فى دوره.

ودفع بنا هذا السلوك إلى دروب بعيدة ملتوية ومظلمة.. الكذب.. قفز الأسوار.. السرقة.. لعب القمار.. وممارسة الحب المراهق وغير المراهق.. والسهر إلى أوقات متأخرة بعيدًا عن رقابة الكبار بدعوى أننا نذاكر معًا ونجتهد معًا.. ونكافح فى تحصيل العلم وطلب العلا.

ولم يكن غريبًا بعد ذلك أن يجىء الامتحان فنهرب أو نغامر بالدخول ومع كل منا البرشام.. ثم النتيجة التى لا تخرج عن أحد احتمالين.. أن ينكشف أمرنا ويكون مصيرنا الطرد ثم الحرمان لمدة عام.. أو أن نرسب بجدارة بالرغم من البرشام ومن الغش الهمام ومن المراقب الذى يغمض عينيه رحمة وإشفاقًا.

ومرة بعد مرة وسنة بعد سنة فوجئنا وفوجئ الكبار بأننا نقف حيث بدأنا بالسنة الثانية صنايع والبخت ضايع.. ولا خطوة بعد ذلك إلى الأمام.. بل طرد وفصل وحرمان من كافة فرص التعليم وبعد أن كنت طالبا فى الصنايع أصبحت أحمل لقب صايع.. وخايب.. ونايب.. وجلاب المصايب.. إلخ.. إلخ..

ألقاب كثيرة فاخرة دفعت بى إلى البحث عن عمل أى عمل وبالابتدائية وبالواسطة وبالرشاوى وبالمساعى الحميدة وغير الحميدة استطاع أبى أن يوظفنى فى التليفونات.

وصدر قرار التعيين.. معاون تليفون درجة تاسعة بمرتب خمسة

جنيهات وبشرط أن أقبل العمل فى المكان الذى يتطلبه صالح العمل أينما كان.. قبلى أو بحرى.. فى الصحراء أو فى الواحات.

وسافرت إلى الصعيد الجوانى.. إلى سوهاج.. إلى نجع حمادى، إلى إسنا.. ثم عدت شمالا إلى أسيوط.. المنيا.. الفيوم.. أبو كساه.. بنى سويف.. القاهرة.

وفى كل يوم كنت أكفر عن أخطائى وسيئاتى وذنوبى.

وفى كل يوم كنت أدرك أن الله حق.. وأن المذاكرة حق.. وأن البلطجة لها ثمن.. وأى ثمن.

ولكل هل اتعظت واستفدت من العبرة.. ومن حالى الذى تدهور فأصبح أهون من حال المرطون؟.. أبدًا.

الذى حدث وحياتك هو العكس.

كبرت وكبرت معى أخطائى.

فى كل مكان ذهبت إليه كانت نزواتى تسبقنى.

أقمت فى الأحياء الوضيعة والمناطق المشبوهة.

أوقعت بكثيرات وكانت لى فى كل بلد ضحية.. وفضيحة.. كدت أذهب ضحية نزواتى وشهواتى البهيمية.

كادت تصيبنى رصاصة.. وكاد يقتلنى شقى مأجور.. لولا كثرة تنقلاتى وأسفارى المتصلة لمدة عشر سنوات.

ومازلت إلى ساعتى هذه وأنا أكتب هذا الخطاب.. أسيرًا..

لكل حواء.. ضعيفًا أمام الإغراء.. مقاومتى أضعف من مقاومة جناح ذبابة.. أغرق فى العسل ولو فيه موتى.

قالوا لى تزوج.

وكيف أتزوج يا صاحبى؟.

وكيف تكفينى وتكفى امرأتى الملاليم التى أقبضها؟.

وكيف أثق فى زوجة.. وقد استبحت كل ما صادفنى من أعراض وفيمن عرفت زوجات وحرائر؟.

وماذا يوجد من أمل فى حياتى التى تتدهور يومًا بعد يوم؟.

شاكر

* * *

أغرب ما فى خطابك أن ضعفك أصيل.. وأنه يتفاقم معك سنة بسنة.. فأنت تزداد انحلالا مع العمر.. وتزداد استسلامًا لنزواتك.. لا يردعك فقر ولا فشل.. ولا انتقام يتربص بك ولا رصاصة قاتلة تنطلق خلفك.

إصرار غريب على الإثم وكأنه رسالة مقدسة.

لا محاولة واحدة لانتشال نفسك.

ليس فى خطابك لمحة واحدة للتوبة.. ولو فى المستقبل البعيد.. وأنت تتكلم عن الزواج وتكاليفه.. مع أنك تدفع فى حياة الهلس التى تعيشها نفقات أفدح.. تكاد تدفع عمرك راضيًا.

ولا أظن أن مشكلتك هى فقرك الذى يستحيل معه الزواج. لأن فقرك نتيجة لشخصيتك.. وليس سببًا لها.

مشكلتك هى شخصيتك.

عجزك عن ضبط نفسك أمام أى لذة عاجلة وهو العجز الذى ضيعك كطالب.. وضيعك كموظف.. وأنا لست من الذين يعتقدون بأن شخصية الإنسان قدر لا مفر منه.

أنا أعتقد بأن الإنسان قادر فى كل سن وفى كل وقت أن يطور شخصيته ويسمو بها ويحارب ما فيها من ضعف.

أعتقد أن الإنسان يستطيع أن يكون سيد نفسه.

وأومن بأن الإرادة يمكن تربيتها واكتسابها بالكفاح والمجاهدة مع النفس.. وأن الإنسان ليس عاجزًا أمام أهوائه.

وكل ما تحتاج إليه.. لحظة ثورة..

ثورة تنبع من داخلك نتيجة لوعيك وإدراكك لأى نصيحة.. ثورة تنتقل بك من رضوخك واستسلامك إلى حالة من التطهر واليقظة واستجماع العزم.

هذه الثورة الداخلية أهم من أى عمل مادى.

فمشكلتك المادية يمكنك حلها بالبحث عن عمل إضافى فى أوقات فراغك أو بزواجك من شغالة مثلك.. ولاشك أن مرتبك الآن وبعد عشر سنوات من العمل قد تضاعف.. والخمسة جنيهات فى أول تعيين لم تعد خمسة جنيهات.

المهم أن تتغير وجهة نظرك إلى الدنيا وتتحول من إنسان خائر العزم تركبه أهواؤه وملذاته.. إلى إنسان صلب الارادة يسوس نفسه ويحكم غرائزه.. وهو تحول شاق.. ولكن الآلام التى عانيتها يمكن أن تحفزك وتساعدك على هذا التغيير. ولا شك أنك ستكون درسًا طيبًا لكل طالب كسلان يظن أنه يستعجل لذاته بتأجيل المذاكرة والعمل.. والحقيقة أنه لا يؤجل مذاكرته فقط.. وإنما يؤجل لذاته أيضًا وسعادته لأجل غير مسمى.

البومة

أنا فى نهاية مرحلتى الجامعية وبرغم ذلك فأنا معقدة ليس عندى ذرة من الثقة بالنفس برغم مجاهدتى المستمرة فى بناء شخصيتى.

ولدت من أبوين غاية فى الجمال وكنت واحدة من إخوة آية فى الحسن.. أبى تركى وأمى عربية والاثنان فى لون المرمر الأبيض الملون بالورد.. وشعر أمى ذهبى.. وشعر أبى حرير فضى.. وأنا لا أعرف لأى جد ملعون جئت.. ومن أى عرق خسيس من عروق العائلة أخذت دمائى.. أنا يا سيدى سوداء جعداء الشعر جاحظة العينين رجلاى خشنتان ولهما عرقوبان وكأنهما رجلا ماعز.

وكان يمكن أن أعوض عن هذا القبح بجمال فى الشخصية وجاذبية فى الطبع وخفة فى الدم ولكن تربيتى السيئة فى فترة طفولتى حطمت البقية الباقية من إرادتى.. فمنذ طفولتى والجميع الإخوة.. والأقارب.. حتى الوالدين يسموننى «الغوريلا».

وبدلا من كلمة الدلع الحلوة.. وشوشو.. وإش إش.. وقطتى..

وفلتى.. وكتكوتتى.. كنت أسمع الكرته.. السودة أم رجل معزة.. العبدة.. الزربونة.

وكانت الدنيا تظلم فى عينى ولا أستطيع أن أنبس بكلمة أو حرف وأتسلل إلى فراشى ورأسى فى الأرض لأغلق باب الغرفة وأبكى وأبكى.. وأبكى حتى أتقطع.

وأصبحت أكره الجميع ولا أحب رؤية أحد وأشعر بالحقد والرغبة فى التخريب والهدم وأحلم بزلزال.. يبتلع الأرض ومن عليها وقيامة تقوم فلا تبقى على مخلوق.

كنت أشعر كأنى حيوان مجروح كل الناس تلغ فى دمه.

الناس ظلمونى..

الطبيعة ظلمتنى.

مظلومة حتى فى جسمى.

وأدى بى الحقد إلى حالة رفض كل شىء.. الدنيا والناس والأهل.. وانطويت على نفسى.. أبكى فى صمت وأمضغ مهانة ومذلة لا حد لها وأصبحت طباعى شرسة.. حتى فى المدرسة أطلقوا على لقب «البومة».. وفى البيت حينما يأتى أصدقاء العيلة ويبحثون عنى أسمعهم يقولون: فين البنت الوحشة اللى لقيتوها على الكوم الأسود.

يقولون هذا ويتضاحكون.. بينما أنا أتمزق.. تمزقنى كلماتهم كالسكاكين.

وكنت أجد مخرجًا واحدًا لكل هذا الإذلال.. هو أن أتفوق فى المدرسة على كل البنات الجميلات.. وكأنى أعاقبهن بذكائى.

وكنت أشعر بعقدتى ومركب النقص الذى أعيش فيه.. وكنت أجاهد للخروج منه.. وفى الجامعة حاولت أن أخفى وجهى القبيح تحت ابتسامة مصطنعة، وأخفى عقدتى تحت ستار من المرح والمزاح وشهد الجميع بأن دمى خفيف ولكنهم لم يرحمونى.. كنت أسمع التعليقات والهمسات وأنا أسير فى حوش الجامعة.

- شايف يابنى البراهين على نظرية داروين!
- اسكت ياجدع لا تعضك.
- مش هى دى اللى راسمينها على قزايز بوليس النجدة.
- دى مش من هنا يابنى دى هربانة م الجنينة.

باين عليك واخد القفص إلى جنبها ها ها ها ها.

- ونعاكسها ازاى دى.. دى تأكلنا.
- قول لها عجين الفلاحة ازاى.
- احدف لها سودانى.

كنت أسمع هذه الهمسات.. وأحس بدوار.. وارتبك وتتخاذل رجلاى عن حملى وأكاد أهوى على الأرض مغمى علىّ.

لم تكن هناك فائدة.. كنت أسير مفضوحة بالرغم من كل الابتسامات التى أرسمها على وجهى. تمثال منفر للقبح والدمامة.

وماذا ينفع العلم وما جدواه لأنثى فقدت كرامة أنوثتها..

درهم جمال ولا قنطار مال.

كنت أسمع هذه الأمثال من أفواه الأقارب.. وافتقد آخر أمل.. التفوق الذى عقدت عليه آمالى.. ماذا سوف يجدى التفوق.. ولماذا أتفوق.. ولأى هدف.. ولمن.. ولا أحد يغتفر لى قبحى..

وفى ثورات عصبية جنونية كنت أمزق الكتب وأشد شعرى وأبكى وتدهورت إلى حالة من الانطواء الشديد والسوداوية، وعدت إلى حالى القديم وأصبح الجميع يلقبوننى «بالفيونكة» يعنى «عقد».

وانهارت شخصيتى تماماً.

إذا فتحت كتاباً الحروف تتراقص أمامى تسخر منى.

كلما رأيت شيئاً ثميناً فكرت فى كسره.

أخشى أن يذهب عقلى.. وهو كل ما تبقى لى من هذه الدنيا القذرة.

لاتقل لى ابنى شخصيتك من جديد.

لا تقل لى إن الجمال هو جمال الروح وليس جمال الوجه.. فقد حاولت أن أغطى قبحى بشخصية حلوة، وأستر وجهى بابتسامة مرحة.. حاولت أن أنسى الحقيقة المريرة ولكن الناس كانوا يوقظوننى فى كل لحظة على حقيقتى.

الناس رفضونى وطردونى فى قسوة من مجتمعهم الضاحك السعيد.. أبوا علىّ حتى الوهم والحلم والأمل.. وأرجعونى فى وحشية إلى عالمى القبيح.. إلى البومة والغوريلا.

أنا لا أطلب منك أن تجعلنى جميلة وحلوة.. فأنا أعلم أن هذا مستحيل، ولكن أطلب حلا نافعًا مفيدًا صريحًا وممكنًا. طريقة أتعامل بها مع هذا العالم المتوحش.

لو طلبت منى أن أنتحر فسوف أنتحر بلا تردد.

أنا أطلب نجدة تبقى على ما تبقى من إيمانى.

حلا ممكنًا أغير به مصيرى المظلم.. مد لى يدك.

المعذبة

البومة

* * *

أكيد مشكلتك ليست فى وجهك وحده ولكن فى نفسيتك وفى رفضك الشديد لكل تعامل حتى التعامل معى.. فى الوقت الذى تطلبين فيه المعونة ترفضينها محذرة: لا تقل لى ابنى شخصيتك من جديد.. لا تقل لى أن الجمال جمال روح وليس جمال الوجه.. يعنى مد لى يدك.. ثم تقطعينها.

وماذا بقى لى.

ترفضين أى حل نفسى وتقولين إن الحل الجسدى مستحيل.

«حاعمل إيه».. إن المشكلة لها وجهان.

إجراء جراحة تجميل إذا كانت عيوبك من اختصاص طبيب التجميل.

وإجراء جراحة نفسية وهذا ما يمكن أن تجاهدى فى سبيله

ولا يوجد حل ثالث.. وأنت تقولين إنك حاولت مرة برسم ابتسامة مزيفة وافتعال مرح كاذب.. ولكن بناء الشخصية لا يكون بالافتعال والكذب.. ولا يمكن كسب قلوب الناس بالتعامل المصطنع والمحبة المفتعلة.

لابد أن تنتزعى حقدك أولا بجهد مخلص وحقيقى.. فالناس لا ذنب لهم فى أنك ولدت بهذه الصورة.

والتريقة عادة الناس فى المدن وفى إمكانك أن تدخلى تريقة لتريقة أنت أيضا وبكلمة ذكية رقيقة لاسعة يمكنك أن تجعلى أجدع راجل يسبح فى عرقه ويبلع ريقه.

ونحن نتبارز كل يوم وباللسان كما كنا نتبارز بالقرون والمخالب أيام زمان.. أننا نحمل وحشيتنا وطباعنا الحيوانية فينا.

وأنت أيضًا فيك الحيوان ولكنه مجروح كما قلت.. ولو كان حيوانًا سليمًا لبادرت بالطعان والنزال والعدوان، ولكان لك ضحايا بين زميلاتك الوحشات.

هذه هى الحيلة.

إن ما فى الناس فيك.. وحقدك لا مبرر له.

وكلنا مظاليم.. بعضنا ولد مشلولا وبعضنا ولد أعمى.

وبعضنا يحمل السل فى رئتيه.

والذى ينجو يوم مولده.. يفترسه المرض فيما بعد.. أو تذهب به حادثة أو يشوه فى حرب.

والجدرى والجذام والأورام الخبيثة لها مستشفيات ويسقط بها ألوف الضحايا كل يوم.

وفى قصر العينى عنبر للمحروقين ممتلئ عن آخره بالمشوهين.

والوحاشة هى الحال الغالب بين النساء والجمال هو النادر.

ومن تولد قبيحة حالها أرحم ممن تولد بعاهة.

وبالرغم من كل هذه المصائب فأنت لا تحسين إلا بمصيبتك وحدها وكأن العالم ليس فيه سواك.. وليست فيه مأساة سوى مأساتك.

ولكن الطيبة لا تتدفق من القلب إلا حينما نشعر بمصائب الآخرين ونحس بآلامهم كما نحس بآلامنا.

والطيبة حينما تنعكس على الوجه تغير شكله صدقينى.

والوجه الطيب أجمل من الوجه الحقود.

حينما تبدئين فى الشعور بالمأساة المشتركة لكل الناس فى هذه الدنيا، وحينما تتدفق الطيبة من قلبك القاسى المتحجر فسوف يتغير شكلك.

وآخر الليل حينما يطفئ الأزواج النور لا يعود هناك فرق

بين جمال وقبح.. وكل ما يتبقى هو الصورة النفسية وانطباع العشرة.

والنفس الذكية الحساسة الطيبة تستطيع أن تمنح السعادة واللذة.

والنفس الحقود لا تستطيع أن تمنح إلا ليلة نكدة.

والرجل يتعود على شكل زوجته مهما كان، ولكنه لا يستطيع أن يتعود على حقدها أبدًا. والحقد والشراسة والعداوة تغير شكل صاحبها لأنها تقلب سحنته وتؤدى إلى توتر ملامحه.. فى حين أن السماحة والطيبة.. تضفى على الوجه الوضاءة والبشر.. أمامك إذن معركة لابد أن تكسبيها مع نفسك ومع الدنيا.. فأنت لست مظلومة فقط ولكنك ظالمة أيضًا. وإذا كسبت نصف الطريق فسوف يتغير مصيرك وسوف تصبحين قردة معشوقة.. وما أكثر القردات المعشوقات فى هذه الدنيا.

وتذكرى أن الجمال مسألة نسبية، وإذا كنت ترين نفسك قبيحة هنا فسوف تكتشفين أنك ملكة جمال فى قبيلة مثل نيام نيام وسوف يتقاتل عليك سلاطين القبيلة هناك.. وإذا هاجرت إلى أستراليا فستكونين فرخة بكشك لأن سكان أستراليا رجال بلا نساء وهم يشمشمون هناك على رائحة امرأة.. أى امرأة.

وإذا كنت أجمل جميلة فى القاهرة فأنت فى بلد مثل السويد صفر على عشرة.

وأرض الله واسعة والبضاعة التى تبور فى مكان يتقاتل عليها ألف شاب فى مكان آخر.. وكل فوله ولها كيال.

وفى النهاية شكلك قدرك.. وقدرك لا خلاص لك منه.. إنه الضرورة التى لا مفر منها.. فإذا احتضنت قدرك فى رضا ومحبة، فسوف تكسبين نفسك على الأقل بدلا من أن تخسرى الاثنين.. نفسك وجسدك.

والسعادة هى أن ندير ظروفنا وإمكانياتنا بحكمة.. وهى لا علاقة لها بقبح ولا جمال.. فمن الممكن أن تدير امرأة جمالها للدعارة وأن تصعد امرأة على قبحها لتكون ذروة إنسانية.

وعقولنا وإرادتنا هى التى تصنع مصائرنا فى النهاية.

قودى نفسك بحكمة وفطنة، وعاملى الناس بمحبة وسماحة يضىء وجهك بالجمال المستحيل.

الباب المغلق

منذ سنوات ثلاث كتبت لك عن حبى.. حبًّا ليس كأى حب، وحدثتك يومئذ عن نفسى.. كزوج.. وأب.. وشرحت لك حياة الفراغ العاطفى التى أحياها.. وكتبت لك عن زواج لم يوفق منذ بدايته، حتى إنى كنت على موعد مع فتاة من فتيات الليل غداة ليلة زفافى.. وكنت أهيم وراء كل عاطفة حتى وأنا أعلم أنى أشتريها إلى أن التقيت بها.

كانت تصغرنى بخمسة عشر عامًا لكنها أخذت بيدى بعيدًا عن كل فساد.. وأعطتنى حنانًا.. وحبًّا.. ودفعت الثقة إلى نفسى وحققت لى معجزة الأمل.. فأحببت حياتى من أجلها، نجحت فى عملى نجاحًا تناقلته الصحف والمجلات بفضلها.. سعيت لزيادة دخلى.. استقامت حياتى الزوجية وعرفنى أبنائى بعد أن كنت لا أعرف طريقًا لبيتى إلا بعد أن هدتنى إليه.

لقد كتبت لك الكثير يومئذ من سنوات ثلاث فكتبت لى ردًّا صغيرًا فى صباح الخير تقول فيه «إلى صاحب الأمل فى السراب.. هذا هو المستحيل».

ولم اقتنع بإجابتك فأرسلت لك برقية علمت بعد ذلك أنها لم تصلك ولعلها تاهت فى فترة من فترات عزلتك.

ومرت سنوات ثلاث وأنا أعيش فى هذا الذى وصفته فى ردك بأنه المستحيل.. أعيش حياتها لا حياتى أنا.. ست سنوات وأنا أستمد بقائى من لقائها. كانت عمرى قبل أن يكتب ذلك أحمد شفيق كامل.

ست سنوات كانت عدد مرات لقائنا فيها أكثر من خمسة آلاف وثلثمائة لقاء.. كل لقاء كان أحر شوقًا وأكثر حبًّا من سابقه، كنا لا نفكر فى نهاية المشوار، كان حبًّا ليس كمثله حب، كانت رسالتى إسعادها، وسعادتى أستمدها من بسمتها ولمسة يدها.

منذ شهور أحسست – وإحساس المحب الصادق لا يخيب – أنها ليست معى فى قمة حبنا.. وبسؤالها لم تنكر أنها بدأت تحب وأن حبًّا آخر أصابها فجأة.. هكذا بالسكتة.

كانت صدمة لى وخصوصًا أنها جمعت فترة بين علاقتنا نحن الاثنين. لم تخف الصدمة حينما تأكد لى أن حبيبها ينوى الزواج بها.. فلم يستطع عقلى أن ينكر عليها حقها فى الحب والزواج.. وبينى وبينها زوجة وأبناء واختلاف دين.

ولعلك تسأل الآن.. وماذا كنت ترجو منها أن تفعل.

أجيبك بأنى لا أنكر عليها حقها فى حياتها.. فأين المشكلة؟! المشكلة الآن فى دموعى.. دموعى لا تنقطع برغم إرادتى.

كل منظر.. كل كلمة.. كل لحظة تردنى إليها تندفع من عينى الدموع.

لقد كنت عزيز الدمع.. إلا معها فى خلوتنا.. وفى سنوات حبنا، كنت أحب أن أجفف دموعى بأناملها.. وكنت لا أطيق رؤيتها تبكى، فإذا انهمرت دموعها كنت ألتقطها بفمى من مآقيها.

ولكنى الآن فقدت السيطرة على نفسى، وأصبحت أبكى أمام الناس حتى خيل لبعضهم أن خللا عضويًا أصاب عينى.. وفى العام الماضى هبط دخلى إلى الثلث.. وفى أوائل هذا العام نفد رصيدى كله وكان مكونًا من أربعة أرقام، وما كان ذلك إلا بسبب نفسيتى..

كنت أوصف بين الناس بالحزم والحكمة إلى أن فقدت هذا الصدر الحنون فأحسست أنى فقدت حتى الأمل فى الأمل.

فكرت فى الانتحار ولكنى جبنت.. ولو أنها أمرتنى لما ترددت رحلت بدموعى إلى مكان بعيد ملىء بالأخطار أعرض نفسى فيه على الموت عسى ألا يجبن على لقائى، رحلت وأنا مقتنع كل الاقتناع بوجوب الاختفاء من حياتها حتى لا أوذى الناس بدموعى.

ولكن فشلت كل وسائل العلاج.

لم يشدنى بيتى.. وكانت تهدينى إليه.

أنهكت نفسى فى عملى فارتبكت وأخفقت.

صديقة كبيرة أحست مأساتى من خلال دموعى فحاولت مشكورة أن تعيش معى فى قصة حب جديدة فأبى قلبى ونأيت.

تناولت نفسى بالعذاب والحرمان من كل متعة أو لذة.

لا تسخر منى حينما أصارحك أنى أسجن نفسى وأضرب نفسى ضربًا مبرحًا.. هل هى مبادئ جنون.

لو أن سوق الرقيق قائم لبعت نفسى لها مرة أخرى حتى تعتقنى متى تشاء فأبيع لها نفسى راضيًا حتى ينقضى الأجل.

إنى أعيش فى مهجرى لا يريد دمعى أن ينقطع.. إنى أتنفس على البعد أنفاسها.. وأرى دنياى هنا كلها فى أغوار عينيها.. ثم أتلمس دفء لمسة أناملها فلا أجدها وأكلم خيالها بصوت مرتفع. ثم أنهار وقد عجزت حيلتى.

إنى أخجل من نفسى فأنا على مشارف نهاية الحلقة الرابعة من العمر وفى عداد الرجال وليس البكاء من شيمة الرجال ولكنى عاجز عن حبس دموعى ليل نهار.

هل تجد لى علاجًا.

أخشى ما أخشاه أن تستمر دموعى هكذا حتى أفقد عينى. سأبذل جهدى للحصول على صباح الخير حتى أجد إجابتك.

دليل السراب

* * *

واضح جدًّا أنك كنت لمدى ست سنوات تجمع بين علاقتين فى وقت واحد.. علاقتك بزوجتك وعلاقتك بحبيبتك.. وربما كنت تجمع بينهما فى فراش واحد أيضًا.. أو فى فراشين منفصلين.. أو شقتين على أحسن الفروض.

وواضح أنك كنت سعيدًا جدًّا بهذا الوضع لدرجة أن ارتفع رصيدك إلى أربعة أرقام.. ورددت الصحف أصداء نجاحك وأصبحت تعيش مع زوجتك وأولادك فى وفاق.

ونسيت فى سعادتك أن هناك امرأة تعيش فى وضع مهين ذليل هى حبيبتك أو المرأة التى زعمت أنك تحبها.

هذه المرأة التى سلبتها ست سنوات من زهرة عمرها فى حب بلا أمل لرجل متزوج وله أولاد ومختلف عنها فى الدين.

هذه الفتاة المسكينة التى جرجرتها خلفك وأنت سعيد ورصيدك يرتفع لأربعة أرقام واسمك يعلو.

هذه الفتاة مر عليها رجال فى هذه السنوات أحبوها وعشقوها وعرضوا عليها قلوبهم فلم ترهم ولم تشعر بهم لأنها كانت تحبك أنت أيها اليأس.. أنت أيها الباب المغلق.

والآن وبعد سنوات من الظلم ومن السجن بدون ذنب تحاول المسكينة أن تفلت من قيدك الغاشم.. فتكون النتيجة أن تشكو لأنك فى مشكلة.

وما هى المشكلة؟!

إنك تبكى.

كان المفروض أن تبكى من زمان وتجن وتضرب نفسك وتفشل فى عملك ويضطرب رصيدك إذا كان حقًّا عندك قلب.. ولكن الذى حدث أن رصيدك كان يرتفع.. واسمك يعلو.. وقلبك يرقص فرحًا.. ولم تكن دموعك فى ذلك الوقت دموع عذاب، ولكنها كانت دموع الترف العاطفى فى الخلوة اللذيذة الشهية التى يتقنها محترفو الغرام.

وأنت الآن لا تريد أن تدفع حتى ضريبة الدموع.. عن ست سنوات سجن لفتاة بريئة أغلقت فى وجهها المنافذ والأبواب. ولكنها مع ذلك حينما كانت مهينة ذليلة تجرجرها وراءك كانت تتعذب أضعاف عذابك.. ولم تشك لأحد.. ولم تبك لأحد. وإنما حملت خطأها على كاهلها بشجاعة وتألمت فى صمت.

وكان يجب أن تتعلم منها الرجولة والشرف.. والشرف هو أن نحمل وزر أخطائنا، وندفع ثمنه دموعًا على الأقل.. وهذا أضعف الإيمان.. ولكنك.. حقًّا.. لا تتصف بهذا الشرف.

أنت رخو جدًّا.. لا تريد أن تدفع أى ضريبة عن السعادات التى استمتعت بها فى غفلة عن صاحبتها.

ولا أريد أن أقول لك حكاية أن سوق الرقيق.. ولو كان فيه سوق رقيق لبعت نفسى فيه عشانك.. إلخ.. إلخ ده كلام جرايد.. وكلام سيما.

نصيحتى لك أن تبكى بشدة كل يوم حتى تحمر عيناك، ثم تعود فتبكى من جديد لأنك لم تبك بما فيه الكفاية.

ألم أقل لك إن الدرب الذى تسير فيه هو درب المستحيل؟.

انقذنى من جمالى

من قال إن الجمال نعمة.. إن الجمال خراب ودمار.. إنه مصيبة لكل فتاة جميلة.. إنه لعنة يبتلى الله بها عباده.

إنى ألعن الجمال فى كل مكان وزمان.

أنت تقول الآن إنى مجنونة.. ولكنى عاقلة ومؤمنة بكل حرف أكتبه.. دعنى أشرح لك الحكاية.

نشأت فى عائلة فقيرة بين أب طيب وأم صالحة وأخ يكبرنى بست سنوات.. وكنت جميلة.. جميلة جداً.. بيضاء ذات شعر كستنائى مسترسل وعينين خضراوين.. وكنا نسكن فى حى فقير يتلاءم مع مرتب أبى الموظف فى وزارة الصحة، وكنت أجمل بنات الحى، بل كانت أمى تبخرنى كل يوم خوفاً من الحسد.. ومع بداية نضوجى بدأت المشاكل.

فى سن ١٤ كنت أسير فى الطريق تزفنى التعليقات والمعاكسات والمداعبات الكبيرة والصغيرة، والشباب والكهول. الكل سواء فى الغمزات واللمزات والكلمات «الأبيحة». وكنت أصبر وأصبر نفسى. وأقول هذه هى ضريبة الجمال.. والحقيقة أنى

كنت أشعر بجمالى وأختال به وأتباهى به على سائر بنات الحى.

وبلغت السادسة عشرة وحدثت أولى المصائب التى أوقعنى فيها جمالى.

كان أمامنا اثنان من الشبان.. واحد فى الثانوية العامة.. والآخر فى إحدى الكليات النظرية.

والاثنان كانا يطاردانني فى ذهابى وإيابى.

كان أحدهما يمشى خلفى حتى يوصلنى إلى مدرستى فى الصباح والآخر يعود خلفى فى أثناء عودتى.. وكأنها دورية قسماها بينهما.

وذات يوم بينما كنت عائدة للمنزل والمذكور من خلفى يتبعنى كظلى.. حتى وصلنا إلى بداية الحى الذى أعيش فيه وإذا به يسرع فى خطواته حتى يصبح فى محاذاتى ثم يبدأ يكلمنى عن غرامه وهيامه وانشغاله بالليل وبالنهار.

لم أتكلم.. ولم أرد.. واصلت مسيرى.. وزدت من سرعة خطواتى، ولكن ذلك لم يوقفه.. وفجأة إذا بى أرى صاحبنا الآخر قادمًا من بعيد منطلقًا كالسهم وقد آنا، حتى بلغنا، وإذا بمشاجرة تقوم بينهما، بل وأكثر من ذلك فقد اشتركت العائلتان واتسعت المشاجرة وتحولت إلى معركة وإصابات. كان من نتائجها إصابة أحد الطالبين بعاهة مستديمة فى وجهه.

وانتقل الكل إلى القسم.. وأصبحت فضيحة بجلاجل.

وانتهى المحضر بأن أجمع أهل الحى على مقاطعتنا بسبب إلى «ما تتسمى» يقصدوننى.

ولم نجد حلا سوى أن ننتقل إلى حى آخر.

وليقطع أبى دابر المشاكل منعنى من المدرسة وأقعدنى فى البيت وأسوأ ما فى الأمر أنى بدأت أفقد أعز ما كنت أعتز به.. ثقة أبى وأمى وأخى فى سلوكى وأخلاقى.. فقد بدأ الجميع ينظرون إلى نظرات مريبة من جانب عيونهم.

مرت على هذه الحادثة عدة أشهر.. وذات يوم عاد أخى مكفهر الوجه، يتطاير الشرر من عينيه وقد سمع عنى أخبارًا سيئة من زملائه ولا أعلم من أين أتت له هذه الأخبار.. وانتظر حتى عاد أبى من الوزارة.. وإذا به يقص عليه قصة لا أول لها ولا آخر ولا أساس لها من الصحة عنى وعن صلاتى بشبان.. ولما كان والدى يحبنى جدًّا فقد ثار فى وجهه.. وإذا بالاثنين يتبادلان الصياح وفجأة بدأ أخى يبوح بما كتمه فى صدره سنين طوالا حتى فاض به الكيل.

حكى لنا كيف أن العيون كانت تلاحقه أينما سار والألسن تتهامس.. هو ده الشاب أخو البنت إياها.. البت الكتكوته.. يا حلاوة الكتاكيت.

وأينما كان يجلس كان الكل يتلفتون وفى عيونهم سخرية.

هل تصدق.. لقد كنت وصمة له.. بل إن جمالى كان وصمته التى لا يعرف كيف يتخلص منها.

وكان اعترافًا هبط علىّ هبوط الصاعقة فكتمت أنفاسى.. ولم

أعرف كيف أرد ولا كيف أدافع عن نفسى.

وتركنا أخى وسافر إلى الاسكندرية بحجة نقله.. وأنا أعلم تمام العلم أنه تركنا برغبته ليهرب، ليهرب منى، من أخته.

ومضت الأيام.

جاء اليوم الذى تتمناه كل فتاة.. خطبنى طبيب لا يزال فى أول الطريق والمستقبل مفتوح أمامه.

وبعد ثلاثة أشهر كنت له زوجة.. وعشنا فى بيت صغير فى إحدى ضواحى القاهرة.

كنا نبنى لأنفسنا قصورًا فى الهواء.. وآمالا وأحلامًا.. كم ابنًا وكم بنتًا سوف ننجب. وأين سنقضى الصيف. وأين سنسافر فى الشتاء؟ إلى آخر تلك الآمال الساذجة.

وكان يظن أنه سوف يصبح أسعد زوج مع أجمل زوجة.

وكنا فى بداية زواجنا نرتاد الأماكن العامة فتتجه الأنظار كلها نحوى مبهورة بجمالى. ويسلط الرجال عيونهم علىّ من رأسى إلى قدمى.. وكان زوجى يبدو سعيدًا فخورًا.. يتباهى بذلك أمام أصدقائه.. فله زوجة أجمل من زوجاتهم جميعًا.. وكانوا هم يقولون ذلك أيضًا..

ولكن بمضى الوقت.. بدأ يتغير.. بدأ يقلل من خروجنا إلى الأماكن العامة.. ولم أعترض.. بدأ يحدد مرات خروجى من المنزل. ولم أعترض.

وبدأ فى كل مرة أخرج فيها يطلب منى أن أقدم له خط سيرى بالضبط.. ثم تقريرًا مفصلا عمن قابلت ومن كلمت إلى آخر هذه التصرفات الصبيانية التى تمليها الغيرة.

وكنت أعذره فى موقفه وأعطف عليه.. وأقارنه بأخى الذى لم يحتمل أن يعاشرنى كأخت.. فما بال زوجة.

احتملت هذه المعاملة سنين إلا أنه زاد فيها وبدأ يستعمل القسوة والضرب أحيانًا.

ولكنى كنت أراه فى قرارة نفسه يتألم طول الوقت.

إلى أن جاء ذات يوم مبكرًا على غير عادته.. وبدأنا نتجاذب أطراف الحديث وكان يبدو غير طبيعى.. وكنت أعلم أن فى الأمر شيئًا وكنت على حق فما لبث أن انفجر.. وإذا بى أرى صورة من أخى.

نعم.. هو الآخر فاض به الكيل.. زملاؤه فى العمل يتهامسون حينما يرونه وينظرون إليه تلك النظرات الغامضة الساخرة.

وهو يعيش فى غيرة وشك قاتل يشغله عن عمله وعن عيادته ويبلبل ذهنه طول الوقت.. النظرات الشهوانية التى يصوبها الرجال نحوى تفقده عقله.. حياته تحولت إلى جحيم لا يطاق.. إنه يتصورنى على الدوام فى مواقف خيانات زوجية.

ولم يستطع أن يستمر.. طلقنى بعد مشاجرات متصلة.. وانهيارات عصبية.. ونجا بنفسه قبل أن يدخل مستشفى المجاذيب

وعدت إلى منزل أمى.. وكانت قد تزوجت برجل آخر بعد وفاة والدى.

وبالرغم من تظاهرها بالفرحة لرؤيتى.. وكلماتها الطيبة فى مواساتى.. فقد كنت أرى كل مظاهر الحزن والحسرة بادية فى عينيها، فهى لم تكن تتصور أن ابنتها الجميلة التى كان يحسدها الناس قد انتهت إلى هذه الحالة من التعاسة.

على أى حال.. عشت مع والدتى.. وكان زوجها رجلا يتظاهر بالطيبة.. وما لبث أن بدأ يظهر لى على حقيقته.. بدأ يغازلنى.. ويطاردنى.. واحتملت وصبرت صبر أيوب.. حتى ضبطته أمى مرة وهو يحاول تقبيلى عنوة.. وكانت النهاية بالنسبة لزواجها.. فقد تركت المنزل وذهبت إلى شقيقتها فى إحدى بلاد الوجه القبلى.

واتجهت أنا إلى عمى.. ومكثت عنده إلى يومنا هذا.

والدور الآن على عمى المسكين الذى أعيش معه ليبتلى بمصائب جمالى.

تقدم لى حتى الآن ثلاثة عرسان يطلبون يدى ورفضتهم جميعًا دون إبداء أسباب.

ولعلك تعرف الآن سبب الرفض.

فكرت فى مشاكلى التى لا حل لها.

فكرت فى الانتحار لأستريح.. وأريح الناس.

فكرت فى تشويه جمالى لأتخلص من اللعنة التى تطاردنى.

ماذا أفعل.. صدقنى.. أنا معذبة.

المعذبة بجمالها

* * *

أنا أصدقك. فالجمال فى أغلب حالاته يعذب صاحبته ويعذب الناس.. فهو يطلق الغيرة والشك والوساوس من عقالها.. ومتى بدأت الغيرة تطل برأسها بدأت السعادة تتوارى.. وتحولت الجنة إلى جحيم.

ولكن الحل لا يكون بالانتحار.. ولا بتشويه الجمال.

الحل هو البحث عن رجل عاقل.. رجل شخصية.

إن الرجل لا يغار على زوجته الجميلة إلا إذا فقد الثقة فى نفسه وفى لياقته.. وشعر أنه ناقص وغير كفء لجمالها.

ولكن إذا شعر أنه ند لها وأنه شخصية جذابة مثلما هى امرأة جذابة.. وأنه ليس بحاجة إليها وإنما هى التى بحاجة إليه، حينئذ ربما انقلبت الآية فأصبحت هى التى تغار عليه وتخشى أن تسرقه منها امرأة أخرى.

أنت فى حاجة إلى رجل شخصية.. تشعرين بجواره أنك تافهة وأن جمالك تافه.. ويشعر هو بهذا الشعور فيستريح ويطمئن فلا شىء فيك يخشى عليه.. فهو يمتلكك حاضرًا وغائبًا.. وإذا كان لابد أن يقلق أحدكما.. فهو يشعر أنك الأولى بهذا القلق.

تحملى عذابك بجمالك حتى تعثرى على هذا الرجل.

وعزاؤك أن عذابك بجمالك مهما يكن فهو عذاب لذيذ وأرحم ألف مرة من عذاب القبيحة بقبحها.

أرض الأحلام

أكتب لك هذا الخطاب بعد تردد طويل وبعد ليلة مؤرقة سهرتها أعانى من عذابى حتى الصباح.

ولأعرفك بنفسى.. أنا سيدة فى السابعة والعشرين، من عائلة ذات أصل عربى وذات تقاليد وعادات ورثتها أجيالاً بعد أجيال، وما زالت متعصبة لها.

بدأت مشكلتى منذ ١٣ سنة، وكانت سنى فى ذلك الوقت ١٤ سنة، وكنت فى فورة الصبا والأنوثة والعاطفة الجامحة، وبحكم تقاليد العائلة كنت سجينة البيت لا أبرحه.. وأكبر مشوار كان مسموحًا لى أن أقطعه هو بضعة أقدام من الفراش إلى البلكونة حيث أقف وأتفرج على الشارع من بعيد وهكذا كان تعارفنا الأول من البلكونة.

كنت أراه كل يوم فى ذهابه وإيابه إلى مقر عمله.. وكنت أنتظره كل ليلة حتى يعود من سهرته وأحيانًا أقف الساعات الطوال حتى بعد منتصف الليل لكى أتزود منه بنظرة قبل أن أنام.

ولم يكن فى البداية يدرى من أمرى شيئًا.

ثم بدأ يلاحظ أنى أنظر إليه.. وأنى أقف له كل يوم فى البلكونة ساعة خروجه وساعة عودته.

رجل أنيق ممتلئ بالرجولة.. فى سن الثلاثين.. فارق كبير فى السن بينى وبينه طبعًا.. ولكنى لم أشعر بهذا الفارق.

وصورت عواطفى له صورة مثلى فى عينى.. فكنت أنظر إليه وكأنى أنظر إلى إله يمشى على الأرض.

وفى ذات ليلة فى طريق عودته.. أشار إلىّ بيده بحركات لم أفهمها.. ثم تكررت هذه الحركات والإشارات فابتسمت له ورددت له الإشارات بإشارات مثلها، ثم دفعنى طيشى فكتبت له رسالة شرحت له فيها حبى ومشاعرى وألقيتها له وأنا لا تسعنى الدنيا من الفرحة أجاب على رسالتى برسالة أحر منها.

ومرت الأيام ونحن نتبادل تلك الوريقات الصغيرة.. ونختلس النظرات.

ومع مرور الأيام أخذ حبه ينمو ويكبر فى قلبى وأنا سابحة فى دنيا الخيال والأوهام، مغمضة عينى عن الواقع المرير الذى تحتم علينا فيه تقاليدنا عدم الزواج من غير أبناء العائلة ومن غير أبناء القبيلة، إلى هذا الحد كنت أعيش فى حلم.

ولكنى صحوت من حلمى أخيرًا.. وكانت صحوة فجائية كالصدمة تلاشت فيها الخيالات الجميلة التى كنت أسبح فيها.. أيقظتنى منها زغاريد مجلجلة ردد صداها صحن الدار.. ثم علمت

أنى أصبحت عروسًا وأن ابن عمى خطبنى.. ابن عمى الذى لا أحمل له أى شعور سوى شعور الأخوة.

وتم زفافى وأنا فى السابعة عشرة.. وأغلقت قلبى فى محاولة شاقة لأنسى ولكن محاولاتى فشلت.. ولم أستطع أن أتوافق مع زوجى.. كنت أشعر كلما اقترب منى أنى فى جحيم.

وكانت لمسته تقززنى.

وبعد شهرين من العذاب والصراع هربت منه وعدت إلى بيت أهلى.. وثارت ضجة حولى.. وانتشرت إشاعات عن نشوزى وتمردى.. ولكنى صمدت أمام العاصفة.. وصممت على ألا أعود، وكان أكثر ما يخيفنى من العودة هو أن أنجب منه فيتحتم علىّ البقاء معه طوال العمر.

ولما كثر الكلام والقيل والقال غادرت البلد وسافرت إلى أقارب لى فى بلد بعيد.. ومكثت هناك سنتين. وهناك سمعت أن حبيبى تزوج وأنجب فتحطمت آمالى وصدمت صدمة كادت تقضى على حياتى.

وعدت إلى بيت أهلى.. إلى موطن الذكرى.. وعلمت أنه يتنسم أخبارى من الأخريات.. ثم أصبحت أراه كسابق عهدى.. وكتبت له رسالة أهنئه بزواجه وبإنجابه مولودة.. فرد علىّ برسالة رقيقة شرح فيها شعوره نحوى والظروف التى أدت به إلى الزواج وقال إنه غير سعيد فى حياته الزوجية.

ومرت الأيام.. ونحن نتبادل النظرات فحسب فى أثناء مروره من الشارع بين الحين والآخر وأنا قانعة بهذا القليل الذى أفوز به.

ولكن القدر سلبنى حتى هذا القليل.

ولا أدرى لماذا انتقل من الحى.

ومرت سنتان لم أره خلالها فتمزق قلبى وأحرقت الدموع وجنتى.. وبعد عشر سنوات أخرى من الزمن الطويل البليد الفارغ أزمع أهلى على الرحيل من تلك المنطقة إلى منطقة أخرى فى المدينة.

وبكيت آخر ذكرى لى قبل رحيلى ودفنت بتلك الأرض الطيبة أجمل أحلامى وآمالى.

وهناك فى ذلك البيت الجديد الذى سكنا فيه على رأس الميدان فوجئت برؤيته كل يوم فى ذهابه إلى مقر عمله وإيابه منه.

واستيقظت مشاعرى النائمة تحت سنوات اليأس والحرمان.. وعدت طفلة أنتظره كل يوم فى ذهابه وإيابه.

وشاء القدر أن ألتقى به لأول مرة وكانت مصادفة من تلك المصادفات التى تدبرها الملابسات عرضًا واتفاقًا.

وعاتبته على هجره. وأجابنى بأنه لم يكن يظن أنى سأتمادى فى حبه لأنه كما قال لى فى عباراته: «لست من وسطكم ولا من بيئتكم وأعرف أن لكم تقاليد تمنع الزواج من خارج العائلة.

وأعرف أنكم محافظون ومتزمتون.. ولهذا آثرت أن أبتعد عن طريقك لاتيح لك فرصة نسيانى مع أنى ما زلت أحبك واحترمك وأحترم عائلتك، ولكن ماذا يفيد مثل ذلك الحب.. وما نهايته»؟.

وأجبته بالبرهان الوحيد الحى الصادق.. وهى تلك السنوات الطويلة التى مرت دون أن تغير التقاليد من حبى، ودون أن توهن من شعورى.. ومن لقائى الأول معه ألممت بكثير من طباعه.. ورأيته على عكس ما تصورته.. خشن المعاملة.. قاسى التصرفات.. وبرغم ذلك فقد ازداد تعلقى به.. وزاد اتضاح صورته فى خيالى حبى اشتعالاً.

وأصبحت ألتقى به كلما سنحت الفرصة لقاءً لايستغرق أكثر من ساعة.. وأراه فى أثناء ذلك الوقت القصير يكتم رغبات قوية ويجاهد كى لا يمسنى بسوء.

ومر عام على هذا المنوال ثم أخذ يماطلنى كلما طلبت منه موعدًا ويعلل ذلك بأنه يخاف وضميره لا يسمح له أن يعرضنى للإشاعات، ويقسم لى أن شعوره لم يتغير ولكنه يخشى على سمعتى أكثر مما يخشى على عينيه، وأنه يتمنى أن يلقانى كل يوم.. ويقول لى.. يجب أن تفهمينى.

وأنا لا أستطيع أن أفهمه ولا أن أفهم أطواره.

واليوم انفتح الطريق الذى ظل مسدودًا منذ أجيال.. وتمرد كثير من أبناء وبنات العائلات المحافظة على التقاليد البالية..

وتزوجت الكثيرات من عائلتنا عن حب.. وسنحت الفرصة ليتقدم ويطلب يدى.. ولكنه لم يتقدم.

وقد سمعت عنه أنه يكره المسئوليات.

وفى كل مناسبة يردد على سمعى قائلاً إنه: لولا أولئك الأبرياء «أولاده الثلاثة» لما مكثت مع زوجتى سنة واحدة.

وأنا كرامتى تأبى علىّ أن أقول له.. جرب الزواج منى، فشتان ما بيننا، أنا والزوجة التى تعيش معها.. أنا التى أحببتك بلا أمل وظل قلبى وفيًّا لك طيلة ١٣ سنة أقدم لك الحب والحنان والرعاية بلا غرض.

هذا مع العلم أنه تزوج قبل زواجه الحالى بزوجة أولى طلقها بعد أن صدم فيها.. فهو يخشى أن يدخل فى تجربة زواج ثالثة.

لا تقل لى ياسيدى «أنت بلا ضمير» فضميرى لم يمت ولكنه فى غيبوبة منذ أن استمعت إلى شكواه ويأسه من حياته مع تلك الزوجة.. وهو الآن يسكن فى منزل مستقل عنها ولكنه قريب منها.

ماذا سيخسر بزواجه منى؟

إنى أذوب حرقة على حرمانى من لذة رعايته والسهر على راحته، وليس لى أمل إلا أن يضمنا بيت واحد.

وسؤالى الأخير ياسيدى.. هل هذا الرجل يحبنى!

ح. أ

* * *

إذا كان سؤالك هل يحبك ذلك الرجل كما تحبينه.. فالإجابة قطعا أنه لا يحبك كما تحبينه.. فحبك هذا حب غريب أسطورى رومانتيكى خرافى لا مثيل له إلا فى قصص ستيفان زفايج.

أنت ترفضين زوجًا من عشيرتك هو ابن عمك من لحمك ومن دمك لمجرد خيال فى بلكونة.. خيال لم تبادليه كلمة واحدة، ولم تعرفى طباعه ولا شخصيته.

وكما تقولين فى كلامك بالحرف.. حينما التقيت به أول لقاء بعد ١٣ سنة من لقاءات الخيال.. صدمك فيه أنه رجل آخر.. خشن الطباع.. قاسى التصرفات.

لقد عشت ١٣ سنة تحبين رجلاً آخر غيره.. رجلًا صوره لك خيالك.

ولو أنك عاشرته فى بيت واحد لاكتشفت كل لحظة صورة جديدة.. لرجل جديد لا علاقة لك به.

وأنت حينما تقولين أنك أحببت تلك الصورة الجديدة القاسية الخشنة منه.. فإنما أنت فى الحقيقة تعزين نفسك وتهونين الـ ١٣ سنة من الخيالات الكاذبة.

ولكن الحقيقة أن هذا الزواج الذى تصورين منه جنة الجنات من الممكن أن يفشل.. بل إن فشله هو الاحتمال الغالب.. لأن هذه العلاقة الملتهبة كانت طول الوقت تقوم فى فراغ.. إنها علاقة بينك وبين نفسك.. وبينك وبين خيالات.. أكثر منها علاقة بينك

وبين رجل آخر حقيقى من لحم ودم.

والحقيقة أن رجلك يتصرف بعقل وحكمة.. هو يعلم الآن أنه لم يعد رجلاً واحدًا، وإنما أصبح رجلاً وزوجة وثلاثة أولاد.. حينما يتزوج بهذا الجيش.. ثم يعود فينجب من جديد جيشًا آخر من العيال فالتعاسة والفقر والنكد وتعب البال وكثرة العيال.. هى النتيجة المنتظرة.. وليست السعادة ولا جنات الحب الوارفة.

ورجلك الآن يعلم أنه فى الثالثة والأربعين، أى أنه مقبل على خريف عمره.. بينما أنت فى الـ٢٧ ريعان أنوثتك وربيع عواطفك ورغباتك الحادة كامرأة عاشقة، قلبها جائع وجسدها جائع بحرمان ١٣ سنة.. وهى تحلم بإشباع ذلك القلب وذلك الجسد.

ومثل ذلك الإشباع بالنسبة لرجل فى الثالثة والأربعين مسألة شاقة.. ولكل سن طاقات وحدود.

وأعتقد أن ذلك الزواج الذى تحلمين به سيكون زواجًا شقيًا تعسًا... مليئًا بالمنغصات.

إن رجلك على صواب فى ابتعاده عنك.. فهو يريد أن يغلق الباب الذى تأتى منه الريح ويستريح.

وهو قطعًا لا يحبك كما تحبينه.

وهو يعلم حدوده ولا يريد أن يفتح على نفسه بابًا لا يقدر عليه، وهو يعلم أنك أحببته فى الأحلام.. فلتستمر القصة إلى نهايتها فى الأحلام.. فهذا أفضل من أن تنكسر رقبته ورقبتك على أرض الواقع.

الكلام العيب

أنا فتاة.. لا أدرى بماذا أصف نفسى.

سنى ١٨ سنة، شكلى عادى، أو هو كذلك فى نظرى.. أما كل من يرانى فإنه يقول إنى أمتاز بسمرة لذيذة وجسم شهى، حتى البنات يتغزلن فى جسمى أحيانًا فى شعرى الطويل مثل فحمة الليل، ومثل هذا الغزل كان دائمًا يحرجنى وكنت أقابله دائمًا بوجه متجهم وبوز شبرين فاشتهرت بأنى بنت أخلاقها دوغرى واسمها نضيف وعفيف مما جعل العرسان والخطاب يتزاحمون على الباب.. وهذا هو ما يبدو من حياتى فى الظاهر.

أما الباطن.

أما الجانب المظلم الآخر الذى لا يراه الناس.. فهو المشكلة وهو المسألة التى أقف عندها حائرة ضائعة.

وسوف أدع الخجل جانبًا.. وأكشف لك مأساتى التى لا يعرفها إلا أنا وهو والله.

وهو موظف فى الشركة التى أعمل بها. كانت علاقتنا سطحية حتى حدث أن قامت الشركة برحلة ترفيهية إلى الفيوم.

وعلى شاطئ بحيرة قارون.. وبين الضحك والتهريج.. واليوستفندى سقط حجاب الكلفة عن وجهى كما سقط عن وجهه ورأينا بعضنا نتكلم كأصدقاء قدماء نعرف بعضنا من مليون سنة. ونلعب ونضحك ونتماسك بالأيدى.

وعدنا من الرحلة.. ولكن بعد أن تغير شىء فى نفسى.. كما تغير شىء فى نفسه.

وأصارحك بحق.. أن هذه أول مرة يهفو فيها قلبى إلى رجل.. فهو إذن الحب الذى يقولون عنه.

والتقينا بعد ذلك فى أماكن عامة.. ثم فى السينما.

ومرة بعد مرة بدأت أيدينا تتماسك فى الظلام.. ثم بدأت تسرح.. وأصارحك بأنى كنت أشمئز من نفسى بعد كل مرة.. وأنظر إلى نفسى فى المرآة وكأنى امرأة أخرى لا أعرفها.. ولكن الفضول إلى ذلك العالم المجهول الذى تحكى عنه روايات السينما كان يجرنى جرًّا كأنى منومة مغناطيسيًّا.

أصبح الحديث يتدرج إلى مواضيع بذيئة.

كنت أحيانًا وأنا أسمعه يتكلم أغوص فى مقعدى من شدة الخجل، ولكنى لم أكن أمنعه من الاسترسال فى بذاءته.. كان فى أعماق قلبى جانب خبيث وضيع فضولى يريد أن يعرف كل شىء.

وهكذا وجدته يكلمنى عن الجنس والحب بكلمات مكشوفة،

ربما لو كنت سمعت كلمة منها من رجل آخر لبصقت فى وجهه.

كيف أصف لك نفسى؟.. كنت أسير وراءه كالعمياء.. وقد تخدرت إرادتى.. ونام عقلى تمامًا.

ثم حدث بعد ذلك فجأة.. وبينما أنا فى أعماق التخدير الذى يشبه الحلم.. فجأة.. انقطع عنى.

لم يعد يكلمنى.

لم يعد يطلب منى ميعادًا.

لم يعد يقابلنى.. ولم يعد حتى يبتسم فى وجهى.

وجننت.. وطاش عقلى.

وأصبحت أنا التى أتهالك عليه وأطلب منه المواعيد، واللقاءات فى السينما.. وهو ينظر إلىّ فى شرود ولا يرد.

وفى اللقاءات المختلسة فى الطريق العام.. وفى نزهات الظلام على الكورنيش قال لى إنه يخاف علىّ.. ففى كل لحظة يمكن أن تحدث مصيبة.. وفضيحة.. وهو يخشى علىّ.. ويخاف على سمعتى.. ثم هو يحبنى، يحبنى جدًّا يعبدنى، هكذا يقول.. ويريد أن يستأثر بى ويختلى بى.. يريد أن يرى كل قطعة من جسدى ليتملى بجماله المذهل.. تصور!

أنا أعرف أنك بدأت تلوى شفتيك اشمئزازًا.. حسنًا.. أنا أيضًا مشمئزة من نفسى.. ولكنها الحقيقة.. وإذا كان هناك أمل فى

نجاتى فلن يكون إلا بأن أقول الحقيقة.. وكفانى كذبا على كل الناس.

ولن ينجينى أن أخفى رأسى فى الرمال كالنعامة وأخدع نفسى وأدعى أن لا شىء قد حدث.

وسوف اختصر لك الحكاية.. فهو كان دائمًا يحدثنى عن قريب له موظف فى الريف يسكن فى ڤيلا وحده.. وأنه يحب أن يستضيفنا.

وهكذا ذهبنا تحت شعار قضاء يوم فى الريف، شعار برىء جدًا. وقام قريبه بواجب الضيافة كاملا.. ثم خرج وأصبحت الڤيلا خالية إلا منا نحن الاثنين.

وما بقى من الحكاية تستطيع أن تراه فى أى سينما فى السبتية يتكرر كل ليلة بين شكرى سرحان وفاتن حمامة. أو أحمد مظهر ونادية لطفى. أو كمال الشناوى وسعاد حسنى.. إلى آخر هذه التباديل والتوافيق فى قصة واحدة لها ألف اسم.. قصة واحدة لها ألف صورة فى أحلامنا نحن بنات الـ١٧ والـ١٨، قصة ترددها الإذاعة فى كل أغنية. من أول: كفاية أصحى على شفايفك. تعال يالله فى غمضة عين لشادية، إلى شوقى الشاعر الكبير الوقور العظيم وهو يقول: ودخلت فى ليلين فرعك والدجى.. ولثمت كالصبح المنور فاك.. والمعنى يكسف طبعًا. يعنى إيه دخل فى فرعها اللى زى الليل. والغنا على أيام جدتى وستى كان ألعن.

غنوة مثل: أحبكها وأشبكها بميتين دبوس وأعض وأبوس. إلخ حاجة تموت من الكسوف.

بقولك كده عشان تعرف أن إحنا يا بنات ضحايا.. بنغلط. لكن مش احنا وحدنا الغلطانين.. إحنا لنا ودان ولنا عينين. ومش عايشين لوحدنا.. إحنا فى مجتمع وبنتأثر بكل شىء فيه.

مش بقولك كده عشان أعذر نفسى. أبدًا أنا عارفة إنى غلطت لكن عاوزة الصورة كلها تبقى واضحة قدامك.

نعود إلى حديث الصراحة. فأقول لك إن أثر هذا اليوم المشهود فى نفسى كان عكسيًا. نعم لم أشعر بالسعادة التى كنت أرسمها فى خيالى.

بالعكس. انهارت أحلامى واصطدمت بواقع الجنس، لذاته ثوان معدودة، ثم بعد ذلك لا شىء سوى ملامح مقززة. وقرف حقيقى يتمنى الواحد أن يهرب منه بأسرع ما يمكن. واختصر لك ما حدث أكثر. فأقول أن هذا كان آخر لقاء بيننا، حاول هو بعد ذلك ألف محاولة ومحاولة العودة إلى نغمة: نفسى أركع لجمالك وأتملى بكل ذرة من مفاتنك.. إلى آخر هذا المسرح. ولكنى كنت قد تحصنت نهائيًا ضد هذا الهراء.

وأنا أشعر الآن أنى لن أعود فأضعف وأتورط فيما لا أقتنع به، ولكنى أعود أحيانًا فأشعر بالحيرة. لماذا تحدثنا الأغانى عن هذا القرف فى علاقة الرجل والمرأة. لماذا تكذب علينا الروايات.

فلا تأخذ من القصة كلها إلا الثلاث ثوانى المعدودات إياها. ثم تقطع على منظر شاعرى أكثر كذبًا.. على شراع فضى سابح فى النيل، أو زهرة يانعة أو عصفور يغرد أو شاعر يخرف.

إذا كان الحب شيئًا رائعًا كما تقولون أيها المؤلفون. فلابد أنه شىء آخر غير ما فعلته أنا.

نعم، أنا لا أستطيع أن أخدع نفسى. فما فعلته لم يكن حبًا، وإن كان قد خيل إلىّ فى كل لحظة أنه الحب الذى لا حب بعده.. إنى أشعر بالحيرة ولاشك أنك تعرف أكثر منى فى هذه المسألة.

المخلصة أ.

* * *

فى الكلمات التى قلتها صدق كثير. وإن كان صدقًا محزنًا. فحكاية الحب الأول هى أكبر كذبه روجتها الأغانى والروايات. فالحب الأول لا يمكن أن يكون حبًا حقيقيًا.. فحب الـ١٦ والـ١٧ هو حب الفضول والرعشة أمام كل شىء.

مجهول تدفع نحوه الغريزة الفجة العمياء بكل ثقلها.

إنه حب يخلو من عنصر الاختيار لأن الغريزة هى التى تختار.

والخلوة هى التى تحدد.. الذى يظهر فى شباب الجيران يتحول تلقائيًا إلى موضوع الحب لمجرد كونه من الجنس الآخر.. لا لأنه فلان الذى يتصف بالشخصية الخاصة التى تحب.

والأغانى والروايات كما تقولين تشحذ الفضول وتصور

للاثنين جنة ساحرة خرافية وأكذوبة من المتع لا وجود لها.

ولسان الحال يقول: «نفسى أشوف كل حتة فى جسمك».. إنه الفضول الشديد.. الذى يتصور أن الجنة فى كل حتة محجوبة.

مجرد فضول تشريحى جسدى ودموع بدون مناسبة.. هذا هو الحب الأول.. الكذبة التى اكتشفتها بنفسك.

ولأنك عدت إلى طبيعتك السوية بسرعة اكتشفت أنه لا يمكنك أن تعيشى مستعبدة لعلاقة كل غرضها هذه الثوانى المعدودة.. والحب الحقيقى لابد إذن أن يكون علاقة يستمتع فيها العقل والقلب والروح.. وتكون العشرة البسيطة العادية.. وأحيانًا حتى التواجد معًا فى صمت له متعته العميقة الباقية.. انه التقاء كامل على جميع المستويات الإنسانية.. وليس مجرد ثوان فى شقة.. الحب ليس فضولاً ولا اضطرابًا، ولكنه وضوح وصراحة واختيار لا يجد الرجل فيه داعيًا للتآمر ونصب الفخاخ لسحب رفيقته إلى شقة.. ولكنه ببساطة يتزوجها لأنه يجد أنه يحتاج إليها فى عديد من الأغراض الإنسانية ليس لمجرد غرض واحد مدته ثلاث ثوان.

وطبعًا هناك بين الرجال والنساء من يعتقد أن الثوانى القليلة من المتعة يمكن أن تكون هدفًا كافيًا للحياة.. ومثال هؤلاء يمكن أن يعيشوا على مستويات خنزيرية يأكلون ويتضاجعون فقط، ولا هدف غير ذلك.. ولكن ما يمارسونه لا يمكن أن يسمى حبًا،

ولا يمكن أن يكون الواحد منهم إنسانًا سويًا.

وإنسان الكهف كان يعيش كالحيوان.. وكان ينام من المغرب فلم تكن الكهرباء قد دخلت كهفه بعد.. ولم يكن يجد لعبة يلعبها طوال الليل سوى لعبة النسل. ومع ذلك فإنسان الكهف الأول كان يقضى وقتًا طويلًا يرسم على جدران كهفه.. حتى هذا الحيوان الأول كانت عنده لذات أخرى يبحث عنها.. وكان له وجدان وخيال.

والآن.. بعد مليون سنة هناك كهرباء وصناعة، ومسرح وسينما وتليفزيون، ومتاحف ومعارض وكتب وفن وفكر وعلم.. وعالم اللذة الإنسانية ازداد عرضًا وطولًا وعمقًا.. ولم يعد مجرد ثوان فى ظلام الجرسونيرات.

الإنسان وصل إلى القمر.

والكون كله قد انفتح أمام الإنسان بكامل كنوزه.. وجماله وألغازه.. وهناك لذات عظيمة متاحة.

لذة المعرفة.. ولذة الخلق.. ولذة الاختراع، ولذة السيطرة على الطبيعة بما فيها.. ولذة الجمال الفنى.. ولذة الاكتشاف، ولذة المساهمة فى قضايا عظيمة عادلة.. ولذة بذل الحياة فى سبيل التقدم، وفى مثل هذا العصر الخصب باللذات يكون الإنسان الذى يعيش محصورًا فى لذته الجنسية مستعبدًا للثوانى المعدودة.. إنسانًا مريضًا.

وكلامك عن الروايات والأغانى التى تركز على الحب الجنسى باعتباره اللذة الوحيدة كلام فى محله.. فهى تنقل للحياة صورة ناقصة جدًا.. صورة خادعة.

واعترافك خطاب مفيد لكل من يمسك قلمًا فى بلدنا ولكل من يؤلف أغنية أو يكتب رواية.

زوج يلعب الورق

أنا شاب مهندس فى وظيفة كبيرة بإحدى الشركات الصناعية الكبرى بالإسكندرية من أسرة متوسطة.. أساعد أهلى ببعض المال شهريًا.. ولكن حالتى تتدهور باستمرار نتيجة إدمان طويل للخمر.. بدأ بكأس لفتح الشهية.. وبعد الكأس أخرى لإنعاش المزاج.. ثم شلة من الإخوان حول الجمدانة.. وسمر وسهر.. وليلة نحييها بالويسكى.. وليلة بالكونياك.. وآخر الشهر نتقشف بشراب الكوكانيللى ومع الكأس سيجارة أصبحت الآن مائة سيجارة يوميًا.

ومع الكأس والسيجارة أصبحت تفرش لنا مائدة عند أحد أفراد الشلة.. وتدور الكروت للتسلية وقطع الوقت.. كونكان.. ثم بوكر بفلوس على خفيف.. ثم قمار وسهر صباحى على أصوله..

ومع الخمر والخسارة آخر الليلة زحفت سيارة المخدرات إلى الشفاه التعسة لتحمل العزاء والنسيان.

وهكذا أصبحت تجمعنا مائدة واحدة كل ليلة.. مجموعة من الشبان وبعض الساقطات..

وتعودت أن أصرف كل مرتبى فى الأيام الأولى من كل شهر ثم ألجأ إلى الاقتراض.. ثم ابتزاز المال. ثم إلى التوسل للمال بطرق ملتوية غير مشروعة.. وكل يوم تتحطم نفسيتى أكثر.. وأضل طريقى أكثر.. وتتعقد سبل حياتى أكثر وتسد أبواب الأمل بابًا بعد باب.

وفى ظلمة الليل الذى انعقد سواده على رأسى فكرت فى مهرب أخير.. فكرت أن أغير حياتى.

أن أتزوج.. وأبدأ حياة جديدة نظيفة.

وتزوجت بفتاة فى العشرين من عمرها.. فتنة وجمال ورشاقة وثقافة وإخلاص.

وقلت فى نفسى إن مثل هذا الجمال لابد أن يملأ الفراغ الذى يدفعنى إلى تدمير نفسى.

ومر شهر العسل ومرت فى أعقابه الأيام يومًا بعد يوم يجر بعضها بعضًا فى ثقل ورتابة.. الجمال تعودت عليه لم أعد أحس به.. والمتع الحلال تحولت إلى واجبات فاترة.. وحياة النظافة والنظام أصبحت فى عينى مثل حياة المصحات.. مثل الطعام المسلوق مغذ ومفيد لكن لا تهفو إليه الشهية.. والبيت السعيد أصبح سجنًا غليظ القضبان يسكنه الملل والضجر.

وبدأ الحنين الخبيث إلى شلة الأنس يسرق منى عقلى. لحظات اللهفة والشوق وأنا أكشف ورقى فى انتظار كونكان

زوج يلعب الورق

أنا شاب مهندس فى وظيفة كبيرة بإحدى الشركات الصناعية الكبرى بالإسكندرية من أسرة متوسطة.. أساعد أهلى ببعض المال شهريًا.. ولكن حالتى تتدهور باستمرار نتيجة إدمان طويل للخمر.. بدأ بكأس لفتح الشهية.. وبعد الكأس أخرى لإنعاش المزاج.. ثم شلة من الإخوان حول الجمدانة.. وسمر وسهر.. وليلة نحييها بالويسكى.. وليلة بالكونياك.. وآخر الشهر نتقشف بشراب الكوكانيللى ومع الكأس سيجارة أصبحت الآن مائة سيجارة يوميًا.

ومع الكأس والسيجارة أصبحت تفرش لنا مائدة عند أحد أفراد الشلة.. وتدور الكروت للتسلية وقطع الوقت.. كونكان.. ثم بوكر بفلوس على خفيف.. ثم قمار وسهر صباحى على أصوله..

ومع الخمر والخسارة آخر الليلة زحفت سيارة المخدرات إلى الشفاه التعسة لتحمل العزاء والنسيان.

وهكذا أصبحت تجمعنا مائدة واحدة كل ليلة.. مجموعة من الشبان وبعض الساقطات..

وتعودت أن أصرف كل مرتبى فى الأيام الأولى من كل شهر ثم ألجأ إلى الاقتراض.. ثم ابتزاز المال. ثم إلى التوسل للمال بطرق ملتوية غير مشروعة.. وكل يوم تتحطم نفسيتى أكثر.. وأضل طريقى أكثر.. وتتعقد سبل حياتى أكثر وتسد أبواب الأمل بابًا بعد باب.

وفى ظلمة الليل الذى انعقد سواده على رأسى فكرت فى مهرب أخير.. فكرت أن أغير حياتى.

أن أتزوج.. وأبدأ حياة جديدة نظيفة.

وتزوجت بفتاة فى العشرين من عمرها.. فتنة وجمال ورشاقة وثقافة وإخلاص.

وقلت فى نفسى إن مثل هذا الجمال لابد أن يملأ الفراغ الذى يدفعنى إلى تدمير نفسى.

ومر شهر العسل ومرت فى أعقابه الأيام يومًا بعد يوم يجر بعضها بعضًا فى ثقل ورتابة.. الجمال تعودت عليه لم أعد أحس به.. والمتع الحلال تحولت إلى واجبات فاترة.. وحياة النظافة والنظام أصبحت فى عينى مثل حياة المصحات.. مثل الطعام المسلوق مغذ ومفيد لكن لا تهفو إليه الشهية.. والبيت السعيد أصبح سجنًا غليظ القضبان يسكنه الملل والضجر.

وبدأ الحنين الخبيث إلى شلة الأنس يسرق منى عقلى. لحظات اللهفة والشوق وأنا أكشف ورقى فى انتظار كونكان

آو كاريه آس.. قلبى وهو يدق دقات الانتصار وأنا أكسب الترابيزة وأجمع الفلوس.. رأسى وهى تدوخ بطعم الكأس ودوار المخدر.. والدردشة البذيئة المنطلقة من كل قيد.. والقهقهات المخمورة التى تخرج من أعماق الأحشاء.. والسباب الذى يريح الأعصاب ويفش الغل.. والفوضى، ولذة الفوضى.. والحرية ولذة الحرية وانعدام المسئولية.. والإقدام على أى شىء.. حتى على الخراب بدون حسيب ولا رقيب.

ولم أستطع المقاومة.

كأن عاشق الفوضى فى داخلى أقوى منى.

وعدت إلى الماضى الأسود.

وأصبحت أرجع كل ليلة إلى بيتى فى الثالثة صباحًا سكران أترنح وأصبحت المشكلة مشكلتين والضجة ضجتين.. أنا وزوجتى التى أصبحت تعيش محرومة من كل شىء.

ومرت الشهور.

نكد بالنهار.. وسهر بالليل وفشل يعقبه فشل أغرقه فى طوفان من الخمر.. حتى جاء نهار لا أنساه.. حينما ضبطت خطابًا غراميًا من شاب يقطن بجوارنا إلى زوجتى.. رسالة مليئة بالعبارات الساذجة والأشعار.. لكن يستدل منها على وجود علاقة فعلية بين الشاب وبين زوجتى.. قرأت الرسالة ودارت الدنيا حولى واشتعلت النار فى رأسى.. وأفقت.. أفقت لأول مرة.. وبكيت..

لاشك أننى كنت السبب فى كل هذا.

وتركت الرسالة فى مكانها.. وبدأت أراقب زوجتى لأتأكد من صحة ظنونى.

وعشت فى شك وعذاب.. وقد تأكد لى أخيرًا أن ظنونى فى محلها.. لم أكاشفها مطلقًا بحكاية الرسالة.. ولم أصارحها بتصرفاتها، بل كتمت كل شىء فى نفسى وحاولت أن أملأ حياتها.. وقاومت لأصلح من حالى.

وقررت أن أبدأ شهر عسل جديد فأخذتها فى إجازة شهر بأسوان وفى هذه المرة نجحت.. وجدت السعادة التى افتقدتها وجدت المتعة والاحترام والانسجام وراحة البال.. وطلبت منها الصفح والمغفرة وبينى وبين الله سامحتها فيما ارتكبت.. لقد كنت على يقين أن خطأها كان بسببى.

وتغير كل شىء فى حياتى وصفت لى الدنيا.

ورزقنى الله بمولودة كانت كل أملى فى الحياة.

وعشت شهورًا خمسة كأسعد ما يكون الزوج الأب، ثم حدثت الكارثة.. أصيبت بنتى بشلل ثم ماتت بعد أيام من مرضها، وقال الطبيب إنها ولدت غير مكتملة النمو بسبب ما كنت أتعاطاه من خمر ومخدرات.. ونصحنى بعدم الإنجاب لأن نطفتى ستكون دائمًا ملوثة.

وعلى أثر ذلك أصيبت زوجتى بصدمة عصبية ثم رقدت طريحة

الفراش مريضة بقلبها، وقال الطبيب إنها أصيبت بروماتزم القلب، وإنها فى دور متأخر من المرض ولن تبرأ.

وتحولت الحياة فى البيت إلى مقبرة.

زوجتى لا تتحرك فى فراشها.. وأقل مجهود يؤدى إلى حالة أليمة من اللهاث والسعال.

أحضرت لها خادمة لتخدمها.. ثم نشأت بينى وبين الخادمة علاقة ثم تعقدت الأمور فطردتها.. كانت حالتى النفسية قد وصلت إلى درجة من اليأس ومن السوء لدرجة فقدت فيها عقلى.

وتفاقم مرض زوجتى وأصبحت معقدة، وعرضت علىّ أن أتزوج فتزوجت من أرملة لها طفل عاشت معنا فى البيت.

وكانت النتيجة أن أصبحت المشكلتان ثلاث مشاكل زوجتى تنحدر إلى حالة من الحزن والهم والألم النفسى يومًا بعد يوم.. وتتعذب بسبب زوجتى الثانية وما تلقيه على أسماعها من عبارات بذيئة ودعوات بالموت العاجل.

وزوجتى الثانية تخرج من التلميح إلى التصريح، فتطلب منى أن أطلق زوجتى المريضة أو أطلقها هى.

وأقول لها إنها على فراش الموت وإنها قاربت على نهايتها، فتقول إنها بسبعة أرواح، وإنها سوف تحصد أعمارنا كلنا قبل أن تموت.

وأنا حائر، تعبان من كثرة ما عانيت من المشاكل، كلما حاولت الخروج من مشكلة أقع فى مشكلة.. حياتى أصبحت كابوسًا فظيعًا.. وحالى مثل حال غريق فى الرمال المتحركة كلما حاول أن ينقذ نفسه غرق أكثر.. ولاشك أنك سوف تعذرنى فى كثرة أخطائى فقد فقدت عقلى لكثرة ما عانيت فى سنوات حياتى القصيرة.

هل تظن أن هناك مخرجًا؟

مهندس

ع.م

* * *

أنا لا أعذرك فقد فعلت كل ما فعلت بإرادتك واختيارك...

وأنا إذا عذرتك لأنك فقدت عقلك.. فكيف أعذرك وقد فقدت ضميرك.. وكيف أعذرك وقد فقدت إنسانيتك

وأنت حائر فى مشكلة لا تدعو إلى حيرة أو تردد.

وجه الحق واضح.. أن تطلق الزوجة الثانية.. وتقف إلى جوار زوجتك الأولى.. الشهيدة التى تحملت جحيمك وأنانيتك ونزواتك ومرارك وظلمك.

إن السؤال هو: كيف تزوجت عليها!

كيف واتتك الشجاعة أن تعذبها وهى تموت بزوجة أخرى.

وما وجه المتعة بزوجة أخرى فى مثل هذا الجو المفعم بالتعاسة.

كيف تواتيك الشهية.. أم أنها شهية حيوان.

حتى الحيوانات لا تأكل الميتة.. وأنت تأكل الميتة.. ومهندس! وموظف كبير!.. كمان!

الشك

سوف تدهش إذا قلت لك إنى أعيش بفكرة واحدة متسلطة على عقلى صباح مساء.. فكرة تلح على رأسى كالكابوس.

قد بدأ هذا الكابوس من خبر فى ثلاثة سطور قرأته ذات يوم مشئوم فى جريدة.. عن أحد أقسام البوليس الذى استدعى زوجًا ذا مركز كبير ليتسلم زوجته المحترمة المصونة المكنونة صاحبة العفاف بعد أن ضبطها فى منزل يدار للدعارة.

من هذا اليوم الأسود وأنا أتصور نفسى فى مكان هذا الزوج.

ولعلك تدهش أكثر إذا قلت لك إنى لم أتزوج لهذا السبب.

كلما فكرت فى الزواج تصورت هذا المصير الشنيع وأنا واقف فى قسم البوليس أتصبب عرقًا أمام الضابط المختص، وهو يقرأ علىّ محضر اكتشاف وكر الدعارة وينادى زوجتى من التخشيبة حيث تجلس على الأسفلت مع المومسات.

صورة بشعة تطاردنى كلما فكرت فى الزواج من أى امرأة. حتى ولو كانت ملاكًا.

أقول لنفسى إنى أخرج من البيت فى الصباح الباكر ولا أعود إلا فى المساء، وعملى يقتضينى أحيانًا التغيب عن البيت فى سفريات طويلة.. والفراغ والوحدة والملل ومعاكسات شباب الجيران ومطاردات الطلبة المتسكعين والكلمات المعسولة فى التليفون بعد منتصف الليل كفيلة بالقضاء على أى زوجة.

وقد تفتح الزوجة رواية لتتسلى وتبعد عن نفسها الضجر، ويتصادف أن تكون الرواية من الروايات الجنسية الرخيصة وما أكثرها فتجر رجلها إلى الهاوية.

وقد تدخل السينما فتقع فى إغراء أكثر وأكثر.

واعذرنى فى مخاوفى فعالم اليوم عالم بلا جدران.. فالصحيفة تتسلل إلى بيتك من تحت عقب الباب، والمعاكسات تقفز إليك من سلك التليفون، والإغراء يدخل إليك من التليفزيون.

وملابس النساء العارية أشنع.. إنها دعوة صريحة للعناق بالحلال والحرام.. وأنت وشطارتك.

وزحام المواصلات يختلط فيه الحابل بالنابل ويساعد أى صعلوك على بلوغ أغراضه وأكثر.. وإذا كان معك كارت ونمرة تليفون يمكنك أن تضعها فى أى يد من تعجبك فتبلغ المراد من رب العباد فى ثوان.

وهناك ألف حجة وحجة للخروج من البيت.. الخياطة.. والكوافير.. ودكتور الأسنان.. والسوبر ماركت.. إلخ.

ولا يمكن أن يكون الواحد منا زوجًا وجاسوسًا وضابط شرطة، وسوف تكون النتيجة أن نعيش بالتكال ونخليها على الله والنهاية معروفة.. إشارة من البوليس لتسلم الست التى ضبطت فى وكر للدعارة.. يا نهار أسود كيف تريدنى أن أتزوج.. مستحيل !..

إن سنى الآن ٣٥ سنة.. وإيرادى كبير.. ومنصبى كبير، وأنا عز الطلب.. ونفسى أتجوز.. لكن مشنقة الشك فى رقبتى، وكابوس الفضيحة والخزى والعار يلاحقنى.

أنا فى عذاب ولكنى لا أجد حلا.. كيف أضمن أخلاق المرأة التى سأتركها فى البيت وحدها وأسافر شهرًا.. لا ضمان.. إذن فلا زواج.. أعطنى ضمانًا واحدًا وأنا أتزوج الشيطان.

ك

* * *

أنت رجل عجيب.. لقد أضحكتنى والله العظيم.

أنت تقول إنك قرأت خبرًا فى ثلاثة سطور عن الزوجة التى أبلغ البوليس زوجها عن ضبطها فى منزل للدعارة فامتنعت عن الزواج.. ومع ذلك يا سيد أنت تقرأ كل يوم عن أتوبيسات تحترق.. وأتوبيسات تتصادم فتتهشم.. وحوادث شنيعة بالعربات يموت ركابها وتتكسر عظامهم.. تقرأ عن قطارات تخرج عن القضبان.. وعن عمارات تنهار على سكانها.. ومع ذلك تركب القطار.. وتتزاحم لتقفز على كرسى بالأتوبيس وتنام ملء جفونك

فى عمارتك ولا تفكر فى أنها قد تنهار.

أنت تقرأ عن السرطان المؤكد الذى يهدد كل مدخن.. ولكنك تشرب سجائر.. وأنا أحلف من شخصيتك العصبية أنك مدمن سجائر درجة أولى.

أنت تنقصك جميع الضمانات إذن ومع ذلك تغامر.. لا تعطيك شركة النقل العام ضمانًا بسلامتك من حوادث الأتوبيس، ومع ذلك تركب فى أى أتوبيس مع الشكر.. وتقف فى طابور لتحجز تذكرتك فى قطار الإسكندرية وأنت تدعو الله أن تجد تذكرة. وطبعًا لن تحصل مع التذكرة على شهادة ضمان.

ضمان إيه إللى إنت جاى تقول عليه.. مفيش ضمان يا عم فى أى حاجة.. ومع ذلك بنعيش وأنت كمان بتعيش.

حاول أن تكون عاقلًا فى اختيارك لزوجتك.. ثم اتكل على الله واتجوز.. واللى يحصل يحصل.. إنت كمان مغسل وضامن جنة يا أخى؟!

أما تبقى تحصل المصيبة إللى إنت خايف منها وتروح تشت... الست من قسم البوليس، إبقى قول لحضرة الضابط.. إ... بتحصل فى أحسن العائلات.. وطلع له الجريدة القديمة عشان يصدق.. وبعدين امسح عرقك.. وطلقها بالتلاتة، أنت قبلت الموت وعشت مع أنك عارف أنك حاتموت.. عشت تفكر فى مشاريع للمستقبل مع أن مستقبلنا جميعًا فى القرا...

ومفيش أشنع من الموت. ومن لم يرض بالخوخ بيرضى بشرابه.

والحياة مغامرة تحتاج إلى الرجل الشجاع. وهى فى العادة تعطى نفسها وتعطى ثمارها للرجل الجسور الذى لا يهاب.

وتأكد أنك لو تصرفت بشجاعة ورجولة فلا يمكن أن تخونك زوجتك، فالخيانة الزوجية مهانة للزوجة ومرمطة أكبر مرمطة لكرامتها، ولا يمكن أن تندفع الزوجة إلى خيانة زوجها إلا إذا فقدت كل أمل فى بيتها ورجلها، وإلا إذا فقدت عقلها ولحسن الحظ ما زالت الزوجات الخائنات قلة وندرة وما زالت الفضيلة والإخلاص والوفاء الزوجى هو القاعدة.

الشيخ قفة

أنا طالب فى الثانوية العامة سنى ١٨.. أقيم مع أبى وأمى.

وأعطيك وصفا سريعًا للأسرة، فأبى رجل فى العقد الخامس من عمره، متدين جدًا، يصلى الفجر حاضر ويصوم فى غير أيام رمضان ويسهر الليل يتلو القرآن. ويصادق الوعاظ فى الجوامع ويحفظ كلماتهم ومواعظهم ويطبقها فى حياته على نفسه وعلينا، وينذر النذور للأولياء ويقيم الختائم لأهل الله. وأمى أكثر منه تدينا، كل أول شهر تذهب بالفول النابت للست.. وعلى رأسها الطرحة لا تفارقها.. والاثنان طيبان جدًا لدرجة السذاجة ومحبوبان من أهل الحى.. ويقصدهما الجميع للبركة والفوز بالدعوة الصالحة والتوسط عند الله.

ولى أخت أكبر منى.. صالحة مثلها، تزوجت الآن وسافرت مع زوجها لتقيم فى أحد المراكز بالصعيد.

وأبى وأمى ليس لهما الآن غيرى.. وهما قد كرسا كل حياتهما من أجلى وربيانى على الأخلاق الحميدة والدين الحنيف، والصلاة والصوم والكلم الطيب.

ونشأت على هذه التربية الدينية والأخلاق الطيبة المسالمة لدرجة أنى أصبحت سخرية العابثين فى المدرسة، يلقبوننى فى كل مكان بالشيخ قفة.. الشيخ قفة جه.. الشيخ قفه راح.

ولكنى لم ألتفت إلى السخرية ونذرت نفسى للدرس والتحصيل والاستذكار إلى جانب واجبى الدينى من صلاة وصوم وقراءة قرآن، وكنت دائمًا أنجح بتفوق وأتقدم زملائى فى الترتيب.. فى أواخر هذه السنة وأنا منهمك فى الدرس والمذاكرة.. مرضت والدتى بالحمى.. ولازمها المرض مدة حتى أقعدها فى النهاية بروماتزم مفصلى.. ومن يومها وهى لا تستطيع أن تعمل أى شىء فى البيت. وأخذ والدى يبحث لها عن خادمة تقوم بشئون البيت.. وبعد الجهد والبحث المضنى جاء لها بخادمة.. فتاة فى مثل عمرى تقريبًا.. جميلة جدًا.

وبدأت الفتاة تباشر عملها فى همة.. ودخلت فى قلب أبى وأمى وأصبح لها فى البيت مكانة الابنة... وخصتها أمى بأحسن المعاملة.

ولم أحفل بها فى بداية الأمر.. فقد كنت كعهدى كل سنة.. أعطى التفاتى كله لدروسى.. ولكن الأمر بدأ يتطور.

كانت تدخل لترتيب غرفتى وأنا أستذكر فى ساعة متأخرة فى الليل.. وتركع إلى جوار الكراسى متظاهرة بترتيبها، كاشفة فى خبث عن ساقيها.. ثم تنظر إلىّ بجانب عينها نظرة ضاحكة فى إغراء، ثم تتلوى على ظهرها لتمسح رجل الكرسى وتكشف لى

جانباً آخر من ساقيها.. وأنا أستغفر الله وأدفن نظرى فى الكتاب الذى أطالعه.. فأنا بفطرتى الدينية أنفر من كل ما يغضب الله وأبتعد عن كل ما يحرمه.. وكانت لى طريقة فى المشى أنظر فيها إلى الأرض وأغمض بصرى عن كل إغراء يصادفنى فى الطريق.

ويبدو أن هذه الطريقة سببت للفتاة الغيظ.. ودفعتها إلى نوع من التحدى فبدأت تتجرأ أكثر فى معاكستها.. وأخذت تعبث بيديها فى قدمى وهى ترتب ما تحت المكتب وتقرصنى فى ساقى.. وكنت أنهرها بشدة.. وأشتمها.. فكانت تتكوم فى ركن وتبكى، وترفع جلبابها فى خبث لتمسح دموعها فتتكشف عن جسمها واستغفر الله وأستعيذ الشيطان.

وكنت أخشى أن أشكوها إلى أبى فأثير الظنون والريب.. وكنت أعرف فى النهاية أننا فى أشد الحاجة إليها.. وأن أمى طريحة الفراش لا تتحرك. وأنى سوف أثير بذلك مشكلة بلا حل وأظلم أمى فى النهاية.

وسلمت أمرى لله.. وحاولت أن أحتمى من الغواية بالصلاة والقرآن. واستثار الفتاة أنى أنصرف عنها بعد كل هذا فبدأت تتفنن فى أساليبها.

وفى إحدى الليالى جاءتنى لأصلح لها سوستة الفستان التى انقطعت.. وطبعًا نهرتها بشدة وشتمتها.. ولكنى أعترف أنى اختلست نظرة إليها.. وفى تلك الليلة بكيت بشدة.. واشتعل

فى جسدى لهيب عذبنى عذابًا رهيبًا.. وظلت تلك النظرة المختلسة شاخصة أمامى طوال الليل.. وتشتت مخى فلم أستطع أن أذاكر حرفًا، وفكرت أن أقول لوالدى.

ولكن والدى لم يكن بالرجل الذى يقال له هذا الكلام.. ولا حتى نصف هذا الكلام.. إن التفكير - مجرد التفكير - يمكن أن يكون عنده ذنبا أكبر.. والخيال يمكن أن يكون خطيئة عظمى، وأكثر الرغبات براءة هى عنده منكرات فظيعة بشعة.

وفكرت فى حل أنقذ به نفسى وأنقذ به مستقبلى. هو أن أذاكر عند أحد أصدقائى وأعود فى وقت متأخر كل ليلة بعد أن يكون الكل قد نام.

وبدأت فى الحال.

وشعرت براحة نسبية. وإن كنت - وهذه هى الصراحة - لم أكف عن التفكير فيها لحظة واحدة.

كان هناك شىء قد بدأ ينهش مخى من الداخل أصارعه ويصارعنى.. ولكنى لم أفكر فى عمل أى شىء.

كنت قد أصبحت مدنس الخيال.. ولكنى ظللت طاهر اليدين إلى أن جاءت ليلة مشئومة.. أبى فيها يبيت فى الحسين فى ليلة مولده الكبيرة.. وأمى نائمة فى فراشها.. وعدت أنا فى وقت متأخر من الليل من عند صديقى.. لأفاجأ بالفتاة نائمة فى فراشى.. وليرحم الله كل الخطاة.. وليتب على جميع المذنبين.

لقد سقطت من نظر نفسى منذ تلك الليلة إلى الأبد.

وليت الأمر وقف عند هذا الحد.. ولكن الفتاة اللئيمة بدأت تستغلنى.. وتستغل طيبتى.. فبدأت أساعدها فى غسل الأطباق وفى مسح الأرض.. تحت التهديد.. وانعكس الوضع فأصبحت هى التى تأمرنى.. وتهددنى بالفضيحة خوفًا وضعفًا.. ثم بدأت تقول لى.. لا أحد ينفع لك سواى.. لماذا لا تتزوجنى، سأكون خادمتك إلى الأبد.

ويعلم الله أننى أنا الذى أصبحت خادمها منذ تلك الليلة.. وانقطعت عن المذاكرة وانقطعت عن الصلاة وأصبحت أكره نفسى وأكره الدنيا، وتكرر اتصالى بها.. حتى كان – منذ أيام – أن ضبطنا والدى معًا.

وأغمى على الرجل وأصيب بانهيار عصبى. وانقطع عن الطعام، وانقطع عن الكلام.. وراح فى نوبة من الاستغفار، ثم تكلم أخيرًا.. لا ليطرد البنت.. وإنما ليطردنى أنا.. ابنه الوحيد.

وخرجت إلى الشارع أبكى.. ولم أجد بيتًا أنام فيه.

ولم أكن أعرف من العائلة إلا زوج أختى وزوج أختى لا يكره أحدًا فى الدنيا كما يكرهنى.. وهو رجل بخيل لا يفكر فى إطعام كلب.. وأنا حاليًا أبيت فى السينمات وفى الجوامع وعلى كراسى الحدائق، وأحيانًا على دكة فى محطة السكة الحديد واقترض القروش من أصدقائى لأشترى الخبز.

وأنا نادم مستغفر.. ولولا بقايا إيمان لانتحرت.. ولكن ماذا كان يمكننى أن أفعل.. قل لأبى.. ماذا يمكن أن أفعل..

م. هاشم

* * *

أبوك ظلمك..

وهو معذور...

وهو لم يتخيل عذابك.

وهو لم يمر على المرحلة التى مررت بها، فهو غالبًا كعادة آبائنا تزوج فى سن مبكرة، ولم يعرف أحكام المراهقة.. وخصوصًا حينما يطاردها الإغراء.. وأى إغراء.

وكان التصرف السليم أن يطرد البنت ويستبدل بها خادمًا لا خادمة. فبقاء النار مع الكبريت بدون احتراق مستحيل، وفى سن المراهقة وفى لحظة الإغراء تتغلب الطبيعة على العقل والغريزة على الحياء.

هذه أخطار طبيعية فى الحياة ولا نستطيع أن نغير الحياة ولكننا نستطيع فقط أن نتجنب أخطارها وننظم رغباتها وحوافزها.

ونحن بشر ولسنا أنبياء.. ولا يجب أن نطالب بما يطالب به الأنبياء.

والحكم التقليدى بأن الرجل دائمًا هو الذئب المفترس والمرأة

هى الحمل الوديع والضحية.. ليس سلبيًا فى كل الأحوال.

ولا شك أنك – ياشيخ قفة – كنت الحمل الوديع وكبش الضحية وأنك كنت فريسة لا ذئبًا.

وعلى أبيك أن يعود بك إلى البيت قبل أن تتم الغلطة غلطتين، وغلطة الأب ستكون أبشع، إذ أنها ستلقى بك إلى مهاوى التشرد وستكون جريمة ضد المجتمع.. لا سقطة واحدة مع فتاة.

الفرق بين الغرام والزواج

أنا فتاة وحيدة أبوى مع ثلاثة إخوة ذكور، وأنا الكبرى.. جميلة كما يقول كل من يرانى.

كنت منقولة إلى السنة النهائية من المرحلة الثانوية التجارية وكان هو قد انتهى من امتحان الثانوية العامة، وفى انتظار ظهور النتيجة ويقطن فى الشارع الذى خلف شارعنا، وكنت أراه وأعتبره طفلا صغيرًا، أو بمعنى أصح «عيل».. لكن الظروف جعلتنا نتقابل ونتحادث.. ولم أعده بشىء سوى الصداقة.. ووعدنى هو بالزواج من أول لقاء، لأنه يحبنى من زمان قوى كما قال.. ولم أحاول أن أجاريه.. لكن بعد ذلك وجدته قد تعلق بى إلى حد الجنون وأصبحت أنا كل شىء فى حياته.

وبدأت أحس أنى مسئولة عن ذلك ووجدتنى أحبه وأجاريه فى حبه وأتعلق به.

وظهرت نتيجته. وكان راسبًا، ووجدته يائسا محطمًا.. لا يغنيه فى الدنيا سوى أمل واحد.. هو أن أقف بجانبه.

المهم.. مرت الأيام وجاء العام الدراسى الجديد، وأصبحنا

نتقابل كل يوم خميس بعد الانتهاء من الحصص وبدأت المشاكل من شباب الحى.. اشمعنى يعنى العيل ده.. وكل يوم مشكلة فى البيت، اشمعنى ده وبترفضى الدكتور والمدرس والغريب والقريب، ومع كل مشكلة أجده يائسًا فأشجعه على المذاكرة فيقول لى: لن أستطيع المذاكرة إلا إذا عرفت أن أحدًا لن يستطيع أن يأخذك منى.. وأكثر من هذا.. يطلب منى أن نتزوج سرًا، على أن يبقى كل منا فى بيته ولا يعلم أحد بشىء.. ووافقته.

وافقته لأنى كنت أعلم أنه لو ظل طول عمره يتقدم إلىّ لما أجابه أحد إلى طلبه.. ولطردوه من على الباب.

وافقته وكلى إحساس بأنى سبب كل العذاب الذى يعيش فيه.. وافقته دون أن أفكر فى نفسى ومايمكن أن يحدث لى.. أردت فقط أن أسعده وأعاونه على النجاح.

وهكذا تم له ما أراد.

وظللنا على حالنا لا يجمعنا سوى اللقاء فى أثناء الذهاب إلى المدرسة أو العودة منها.

وحدثت مشاكل فى مدرستى بسبب رؤيته فى الذهاب والعودة، وكثرت الإشاعات.. ولم أستطع أن أصرح بحقيقة علاقتنا.

وفى يوم طلبت منى الناظرة أن أحضر ولىّ أمرى.

ولم أستطع بالطبع أن أقول لأبى حتى لا تنكشف الحكاية.. وحضر هو باعتباره زوجى وأحق بولاية أمرى.. وانتهت المقابلة

بسحب أوراقى من المدرسة لأنه لم يعد من حقى البقاء بها بعد عقد قرانى. وتحولت استمارة امتحانى إلى امتحان من منازلهم.

وظللت مخفية كل هذا عن أبى وأمى إلى أن كان اليوم المشئوم الذى تطوع فيه أحد شباب الحى بإبلاغ أخى أنى لا أذهب إلى المدرسة.

وذهب أخى إلى المدرسة وعرف كل شىء، وكانت خناقة للسما ولكنى صممت على موقفى ولم أسمع كلام أهلى بطلب الطلاق.. ووقف الجميع ضدى.. وانهال علىّ أبى وأخى وعمى باهانتهم وضربهم ولاحقتنى أمى بدموعها، ووصل الأمر إلى درجة التهديد بقتلى ولكنى لم أتزحزح.

وأمام إصرارى لم تجد العائلة حلا سوى الإذعان.

وهكذا تم إعلان القران وحضر المأذون فى ليلة صورية على سبيل المظهر فقط.

وعند هذا تصورت أن المشاكل قد انتهت، والحقيقة أنها انتهت لتبدأ بسيل من الأوامر.. لا خروج مع زوجى.. لا أراه ولا يرانى، وطبعًا لم يسكت زوجى ومعه حقه وسلاحه.. وأيدته فى موقفه.. ووقفت فى وجههم مرة أخرى.

وأصبحنا نخرج معًا برغم أنف الجميع.

وفى هذه الأثناء ظهرت نتيجتنا نحن الاثنين.. وطبعًا كانت السقوط بجدارة فى جميع العلوم.. ومن أين لنا بالعقل الذى نركز

به فى المذاكرة ونحن وسط هذه المشاكل.

وركب زوجى الخوف.. وطالب والدى بالتعجيل بالزفاف.. ورفض والدى.. كيف يوافق على زفاف من زوج لم يدفع مهرًا ولم يقدم شبكة.. زوج مازال طالبًا فى الثانوى.

وكيف ندخل بدون جهاز.

وأصر زوجى على أن يدخل بى.. ووقفت إلى جانبه ضد أهلى جميعهم.. وكنت أقول لنفسى إن الظفر لن يطلع من اللحم وأنهم بعد الزواج سوف يرق قلبهم لى حينما يروننى سعيدة.. حينئذ سوف ينصلح كل شىء.

وقد حدث ماتوقعته.. فما لبثت أمى أن زارتنى (كنت قد انتقلت إلى شقة والده)، وأحضرت لى ملابس وهدايا عديدة من أحذية ونقود ومصاغ.

وهكذا بدأنا حياتنا.. أو مأساتنا.

نعم.. فلم تكن تنتظرنا الأحلام الوردية التى كنا ننسجها نحن الاثنين ونحن نتمشى على الكورنيش بعد الحصص.. وإنما كان ينتظرنا الواقع المرير بما فيه من حساب البقال والجزار والأجزجى، والأب يدفع ونحن ننفق.. وأنا حامل فى الشهر الأول وفى حالة قىء مستمر.. والأب والابن فى حالة خناق مستمر.. الأب لا يريد أن يدفع.. والابن يشتم.. يشتم أباه.. ثم يستدير ليشتمنى تصور.. يشتمنى أنا التى ضحيت فى سبيله بمستقبلى

وسمعتى وعائلتى.. ثم لا يكتفى بأن يشتمنى بل يعتدى علىّ بالضرب.

وانتهت الخناقات المتصلة بأن انتقلنا لنعيش فى شقة مستقلة والتحقت بالعمل فى إحدى الوزارات لكى نجد ما نقتات به.

لكن زوجى الحيلة.. طالب الثانوى بدأ يدمن الكيوف والمخدرات وكأنه لم تكفه المرمطة التى مرمطنى فيها.. وبتحريض من أمه بدأ يلاحقنى بالإهانات.. إنتى إللى خيبتينى.. وإنتى إللى ضيعتى مستقبلى.. أنا اللى ضيعت مستقبله؟!

تصور..؟!

وفى آخر خناقة بيننا أوسعنى ضربًا ولطمًا لدرجة تركت آثارها فى وجهى إلى الآن برغم مرور شهور.. ثم طردنى من البيت..

والآن.. وقد بلغت قصتى نهايتها لم يبق لى شىء أفعله.

إنه لا يريد أن يطلقنى.. ولا يريد أن يصالحنى ومصيبتى أنى أحبه برغم نذالته.

أقول هذا وأنا خجلى من نفسى.. ولكن ماذا أفعل فى قلبى، أفكر أن أشكوه لآخذ ولدى ولكنى لا أجد الجراة على هذه الخطوة.

ولا أتصور أنى أتقدم لمقاضاته فى محكمة.. كيف أفعل هذا وأنا أحبه.

أرجوك لا تلمنى فقد أخذت من اللوم والتأنيب والتهزيء والضرب ما فيه الكفاية وما فوق الكفاية.

لم يرحم أحد عذابى ولم يشعر أحد أنى مجروحة وإنما لطمنى كل واحد بكلمة زادت جروحى.

أنا أعرف أنه لا يحبنى.. وأنه لم يكن يحبنى، وإنما كان يحب نفسه.

وقد ساعدته فى أن يتمادى فى أنانيته.. ثم أصبحت ضحية أنانيته فى النهاية.. ولكن ماذا أفعل وقد حدث كل ما حدث وانتهى الأمر.. ولم يعد بإمكاننا أن نغير الماضى.

«....»

* * *

نحن لا نستطيع أن نغير الماضى.. ولكننا نستطيع أن نغير المستقبل.

إن الاستمرار فى هذا الزواج سوف يؤدى إلى مزيد من الأولاد المشردين المعذبين فى بيئة كلها خناق.. ومزيد من التضحيات بدون ثمرة وبدون نتيجة وبدون أمل فى هناء أو استقرار.. والطلاق فى النهاية مؤكد.. فلماذا لا يكون الآن.

أنت تحبينه.. أنا عارف.. ولكن الزواج ليس فراش غرام.. الزواج مسئولية ولياقة وواجبات.

والزواج حق لمن يقدر عليه.. وليس حقًا لكل طالب ساقط صايع.

حبى وموتى فى الحب على كيفك.. ولكن الزواج له مؤهلات ليس أولها الحب.. وإنما أولها القدرة على فتح بيت ورعاية أسرة وتحمل واجب والاضطلاع بمسئولية.

وإذا كان كل التهزيء واللوم والتقريع والعذاب إللى شفتيه لم يفتح عينيك على هذه الحقيقة.. فإن هذا له معنى واحد.. أنك فى حاجة إلى مزيد من التهزيء.

إن الواقع لن يرحمك، فلماذا تريديننى أن أكذب عليك. لماذا تريديننى أن أتحالف عليك مع الزمان ومع زوجك حتى نقضى عليك باسم الحب.. وأى حب.. إننا لسنا أحرارًا فى أن نسمى أمراضنا حبًا.

وما بك مرض، وليس حبًا..

حينما نعشق الفشل والتفاهة (وزوجك حسب كلامك طفل وعيل) فنحن مرضى ولسنا مغرمين.. حينما نحب الفقر والفشل فنحن ناقصو عقل وناقصو عاطفة.

ولا معنى لأن ترتكبى هذه السلسلة من الأخطاء ثم تقولى لى أرجوك ارحم عذابى ولا تلمنى.. ارحمى نفسك أنت أولا واحفظى نفسك من الانزلاق إلى مزيد من الأخطاء.

أما إذا كانت نيتك أن تشتغلى وتعولى البيه.. وتاكلى على

دماغك.. وتستمتعى باللطمات والشتائم والطرد كل يوم.. فهذا وضع آخر.. وأعتقد فى هذه الحالة أنه لم يكن هناك داع لكل هذا الخطاب الطويل الذى سطرته.. ما دمت قد أحببت قسمتك ومصيرك إلى هذا المدى.

أنت سوفاج

٢٥ سنة موظف جامعى بالإسكندرية، عرفت بين زملائى بحسن الخلق والشخصية التى يحبها الجميع.

تقدمت لخطبة فتاة رشحها لى بعض أقاربى.. قالوا لى إنها من عائلة محافظة وإنها عاشت عمرها فى الصعيد بين قنا وأسيوط، وأنها فوق ذلك مثقفة تعلمت فى الليسيه فرنسيه وتخرجت من كلية الآداب قسم اللغة الفرنسية.. وأهلها كمان ناس مبسوطين ومستورين.

ورأيتها وأعجبتنى شكلا.

لم يعد هناك ما يدعو للتردد.

تقدمت لخطبتها.

وكان يوم الخطبة يومًا من أيام حياتى السعيدة..

ثم شيئًا فشيئًا بدأت تنكشف لى مشكلة عويصة لا حل لها.

فالعروسة الدلوعة ولو أنها تعيش فى مصر.. ولو أنها أكلت مش الصعيد، إلا أنها تعيش بجسمها فقط بيننا.. أما روحها فهى

فى حالة تحليق دائم ترفرف بين باريس ونيويورك وفيينا ولوكسمبورج وإكس ليبان.. ذوقها فرنساوى وأخلاقها أمريكانى، لا تسمع أم كلثوم وإنما تسمع الفيس بريسلى، ويغمى عليها من داليدا، لا تستطعم «الملوخية» ولكن «المايونيز».. لا تشرب الشاى فى الصباح وإنما «الكافيه أوليه»، لا تتحدث إلا عن الزيارات القليلة التى ذهبت فيها مع أهلها لقضاء الصيف فى الخارج.. فى فرنسا أو النمسا أو سويسرا.. ترقص الدوجو دوجو.. البوجى بوجى.. والهولا هولا.. إلى آخر هذا الشيكا بم الذى لا أفهم فيه حرفًا.. تنطق الراء «غين».. وأنت مش «سبوغ»، قاعد فاتح «الغاديو» على أم كلثوم، ياى بتشرب ملوخية إيه «القغف ده»، دى حاجة زى الغيالة.. (الريالة) سوفاج، يا تانت تعالى شوفى.. (تانت اسمها سكينة ولابسة طرحة).

إنت إيه ده بتمسك السكر (بتنطقه السوكغ) بإيدك.. إيه ده، إنت اتعلمت فين. إنت بلدى أوى.. فيه ملقاط مخصوص علشان «السوكغ».. إيه ده، إنت «فاتيجان» أوى.. (فاتيجان فى القاموس يعنى متعب).

والقاموس هو الشريك الثالث الذى لم يعد لى غنى عنه.. فحديثها كله فرانكو أراب.. بين كل كلمة وكلمة عربى (عغبى). عشرات الكلمات أمثال، مانيفيك.. شارمونت. أمور..

جا غدان.. حاغون.. فرير.. مشوار (دى معناها منديل) مش المشوار بتاعنا.

دمها شربات، بتاكل عقلى من جوه.

وعندما تقول مون اموغ (يعنى ياحبى).. ركبى بتسيب، باموت فيها لكن مفيش أمل، مفيش تفاهم، مفيش مستقبل.. مفيش حاجة واحدة بحبها هى بتحبها.

وأنا باستمرار فلاح انيورون (يعنى جاهل).

وأنا رجل محافظ مش ممكن أفكر أرقص معاها فى مكان عام ولا خاص.. هى ماعندهاش مانع ترقص مع أصحابى.

وأنا بأكل الفول والعدس والعيش الملدن وأحبس بالشاى.. وهى عاوزه توست.. وأومليت.. والاكوك.. وروستو (من أنواع اللحم المشوى ربنا يوعدك).

البنطلون (البتالون) الهيلانكا المحزق لبسها العادى فى البيت طول النهار.. وتسريحة شعر فرنسواز ساجان، هى تسريحتها المختارة (يعنى تسيب شعرها فوضى على قورتها).

تقرأ الموند وبارى ماتش والسوار، ولا تفتح مجلة عربية ولا كتابًا عربيًا.. تتكلم عن مصر كأنها سائحة وليست مصرية مولودة فى أسيوط فى حضن الجبل.. حاتجننى.

كل يوم أقتنع وأزداد اقتناعًا أن حياتنا معًا مستحيلة. وكل يوم أحبها أكثر وأعبدها أكثر.

هل أقامر بسعادتى وأقتل عقلى ومبادئى وأطاوع عواطفى وأتزوجها (أنا مسيحى والجواز عندنا رباط أبدى).

حالتى بقت قطران (قطغان على رأى الست).

س.
إسكندرية

* * *

أهغب بجلدك يا آموغ.

الحب ده حايوديك طوكغ.

اختطاف..

أنا من بلد الحضارات والحرية لدرجة الفوضى، أنا من لبنان، ولكن قصتى بعيدة عن الحضارة والحرية كل البعد، وآمل فى اعترافى هذا إن لم أصل إلى نتيجة أن أكون قد نفست عن قليل مما بنفسى الطافحة بالعلقم.

ولتدرك ما أعنى أعود لثلاث سنوات مضت حين أعلنت خطوبتى لشاب من نفس بلدتى يقولون إنه عندما رآنى لم يبق حب فى الدنيا، لأنه منحنى كل ما فى الدنيا من حب.. وكلف أخواته أن يراقبننى، فجاء التقرير عن سيرتى مما جعله يستميت ليحقق أمنيته بخطوبتى.. وكنت لغاية ذلك الوقت لم أفكر بالزواج، ولكن أهلى وأهله أقنعونى بأن أجرب، وبأن فترة الخطبة للتعارف والتفاهم كفيلة بإقناعى.

وأعلنت الخطبة.. ولكن بعد الشهر الأول اكتشفت أنه ليس بالضرورة أن يتفاهم وينسجم شخصان يقول الناس عن كل منها الصفات الحميدة. وبما أن الزواج شركة يجب أن يكون طرفاها راضيين منسجمين وهذا ما لم يحدث من طرفى فقد قررت أن

أفصم الخطبة ولا أفكر بالزواج مدة طويلة.. فرجوت أبى أن ينهى الأمور بسلام، ولكن الشاب المثقف المتعلم فى أمريكا رفض أن يستمع وقال: «سأعتبر أننى لم أسمع شيئًا، وسأعرف كيف أجعلها تحبنى».

ومضت السنوات الثلاث وأنا فى محاولات يائسة، وكلما تقدمت خطوة وتباعدنا أرسل وجهاء عائلته لأبى ليسألوه عما يكرهنى فيه، فلا يستطيع أبى ذكر صفات محددة وتعود (شعرة معاوية لمكانها). وأنا لا أستطيع أن أرفع صوتى أمام الرجال لأنهم سيعتبرون رفض شاب مثله لن يكون الا بسبب رجل آخر، وهذا غير وارد.

ولكننى صرحت للخطيب نفسه بأننى لن أتزوجه.

فأجاب بأنه أهون عليه أن يقتلنى أو يقتل أحد أفراد العائلة (إخوتى) الذين أحبهم من أن يتخلى عنى، ويكفينى أنه يحبنى وسيجعل كل إمكانياته لإسعادى.

لحد هنا والمسألة عادية ممكن أن تحدث فى كل زمان ومكان. أما ما حدث بعدها فهو ما يكاد يفقدنى صوابى.

كنت ذاهبة للسوق مع صديقة لى، وإذا بسيارة خطيبى الذى رددت له خاتمه وهداياه تقف قريبًا، وإذا به يتوجه بالكلام لصديقتى: «هل تسمحين لى بمحادثة خطيبتى بمسألة هامة».. ولأنه لم يسبق لى أن خرجت معه وحدى خلال الخطبة الرسمية لمدة

ثلاث سنوات فقد تشبثت بصديقتى، ولكن موقفها أمام نظراته أصبح حرجًا فانسحبت على أن تنتظرنى بعيدًا.

(أشعر الآن بالحقد والكراهية والكرامة الإنسانية المهانة تتزاحم لتصور نفسها بكلمات من قلمى، ولكننى سأحاول كتابة الحوادث المجردة لأننى أعتقد أن قلمى أعجز من أن يعبر عن شعورى).

وهنا سحبنى من يدى إلى السيارة بمنتهى القرصنة وانطلق بى هاربًا خارج المدينة إلى ضاحية قريبة حيث أعد من أهله وبعض أقربائه الذين اعتبروا رفضى إهانة للعائلة الكريمة شهود زواج.. وهددنى بأننى إذا فتحت فمى بكلمة أو قلت ما يخالف أقواله أمام الكاهن فسيشير لأحد المأجورين فيذهب لقتل شقيقى الأكبر (اقتلنى أنا ولا تمس شعرة من رأسه بسوء)، وكنت فى دوامة بل دوامات وتعطل عقلى عن التفكير وتبلد.

وهناك قال للكاهن إننى أحبه وهو يحبنى وأن أبى يعارض الزواج وأنا فوق العشرين.

وتم الزواج.. لا، لم يكن زواجًا بل تم الاغتصاب بتحريض من أهله آل.. لا لن أظلم الحيوانات المسكينة بتشبيههم بها.. وكذلك وعدت أن أكتب بلا عواطف.. هل يمكنك تصور أو تصوير شعورى آنذاك.

لا أظن بالرغم مما أعرفه من بلاغتك.

أما أهلى فلا يمكن تقدير صدمتهم عندما ذهب أحد الرجال الأشاوش (الذين رفعوا رأسهم لأن الولية المفعوصة لم تستطع أن تنال من كرامتهم ورجولتهم برفض قريبهم)، وأخبر أهلى أن زواجنا تم وأننا سافرنا لأحد الأقطار العربية الشقيقة لقضاء شهر العسل. فى حين كنت قعيدة البيت مع أهله الحرس جريحة الكرامة لا أدرى ماذا أفعل.

والآن ليس المهم كيف تصرف أهلى أو أهله. بل المهم كيف تصرف الشخص الذى يريدنى أن أشاركه الحياة السعيدة وليس الشقاء.

هل يمكن لرجل بكل ما تحمل هذه الكلمة من معان أن يهين رجولته بالترامى على امرأة لا تريده، وأن يهين كرامتها وشرفها ويدعى بأنه يحبها.

إننى أحس بنار تحرقنى وغثيان يمزقنى كلما أراه، فرؤيته تقترن بالرعب والاغتصاب والأنوثة الجريحة فتطمس على عينى فلا أرى أى صفة حميدة فيه.. ولكنه يقول إن الزمن سيمحو هذه المشاعر الحاقدة وسأحبه كما يحبنى.

أحيانًا أحاول أن ألغى شعورى وكيانى وتفكيرى وإنسانيتى كلها وأعيش كالآلة لأن دينى يمنع الطلاق، ولاعتبارات عديدة أظنك تدركها بالرغم من عدم كتابة التفاصيل.

لا أدرى ماذا أفعل فأنا برغم مرور شهور كثيرة مازلت فى

دوامة، فهو مسكين بأهله الذين كانوا يذكرونى بنار محبته وأشعاره وبأننى سوف أفقده رجولته وكرامته إذا رفضته.. هذا مع العلم أننى لم أذكر شيئًا عنه حتى لأعز الصديقات ولم أكن أذكر أننى سأتركه، وإذا عرف أحد من الناس أننى أنا التى كانت ستتخلى عنه. فقد عرف عن طريق الوسطاء الذين كان يرسلهم.. وأهله الذين دفعوه للتصرف بهذه الطريقة، وحتى هم الذين حثوه على الاغتصاب قبل أن يعلم أهلى بحادث الاختطاف حتى لا يستطيعوا التصرف.

كم أرغب لو أعبر عن شعورى كما أحسه، ولكن ليس هذا وقته فقد بقيت دقائق ويعود «السيد» إلى الفندق الذى ننزل فيه فى بلد عربى شقيق قدمنا له منذ مدة وأخشى أن يمنعنى من إرسال هذه الرسالة إذا رآها.

وفى النهاية أظن أننى ضحية وسأظل ضحية شعورى المرهف الذى جرحه الحادث، وإلا فما رأيك؟.

* * *

لو أن رسالتك كانت مؤرخة فى القرون الوسطى لكان أمرها طبيعيا، ففى العصور المظلمة القديمة كان الرجل يعبر عن حبه للمرأة باختطافها والهرب بها على ظهر حصان. هكذا كان حال شمشون زمان.. وكانت دليلة لا تشعر أنها مست قلب الرجل إلا إذا سارع باختطافها.

أما أهلى فلا يمكن تقدير صدمتهم عندما ذهب أحد الرجال الأشاوش (الذين رفعوا رأسهم لأن الولية المفعوصة لم تستطع أن تنال من كرامتهم ورجولتهم برفض قريبهم)، وأخبر أهلى أن زواجنا تم وأننا سافرنا لأحد الأقطار العربية الشقيقة لقضاء شهر العسل. فى حين كنت قعيدة البيت مع أهله الحرس جريحة الكرامة لا أدرى ماذا أفعل.

والآن ليس المهم كيف تصرف أهلى أو أهله. بل المهم كيف تصرف الشخص الذى يريدنى أن أشاركه الحياة السعيدة وليس الشقاء.

هل يمكن لرجل بكل ما تحمل هذه الكلمة من معان أن يهين رجولته بالترامى على امرأة لا تريده، وأن يهين كرامتها وشرفها ويدعى بأنه يحبها.

إننى أحس بنار تحرقنى وغثيان يمزقنى كلما أراه، فرؤيته تقترن بالرعب والاغتصاب والأنوثة الجريحة فتطمس على عينى فلا أرى أى صفة حميدة فيه.. ولكنه يقول إن الزمن سيمحو هذه المشاعر الحاقدة وسأحبه كما يحبنى.

أحيانًا أحاول أن ألغى شعورى وكيانى وتفكيرى وإنسانيتى كلها وأعيش كالآلة لأن دينى يمنع الطلاق، ولاعتبارات عديدة أظنك تدركها بالرغم من عدم كتابة التفاصيل.

لا أدرى ماذا أفعل فأنا برغم مرور شهور كثيرة مازلت فى

دوامة، فهوسكين بأهله الذين كانوا يذكرونى بنار محبته وأشعاره وبأننى سوف أفقده رجولته وكرامته إذا رفضته.. هذا مع العلم أننى لم أذكر شيئًا عنه حتى لأعز الصديقات ولم أكن أذكر أننى سأتركه، وإذا عرف أحد من الناس أننى أنا التى كانت ستتخلى عنه. فقد عرف عن طريق الوسطاء الذين كان يرسلهم.. وأهله الذين دفعوه للتصرف بهذه الطريقة، وحتى هم الذين حثوه على الاغتصاب قبل أن يعلم أهلى بحادث الاختطاف حتى لا يستطيعوا التصرف.

كم أرغب لو أعبر عن شعورى كما أحسه، ولكن ليس هذا وقته فقد بقيت دقائق ويعود «السيد» إلى الفندق الذى ننزل فيه فى بلد عربى شقيق قدمنا له منذ مدة وأخشى أن يمنعنى من إرسال هذه الرسالة إذا رآها.

وفى النهاية أظن أننى ضحية وسأظل ضحية شعورى المرهف الذى جرحه الحادث، وإلا فما رأيك؟

* * *

لو أن رسالتك كانت مؤرخة فى القرون الوسطى لكان أمرها طبيعيا، ففى العصور المظلمة القديمة كان الرجل يعبر عن حبه للمرأة باختطافها والهرب بها على ظهر حصان. هكذا كان حال شمشون زمان.. وكانت دليلة لا تشعر أنها مست قلب الرجل إلا إذا سارع باختطافها.

كان الاختطاف لغة رومانتيكية يتخاطب بها العشاق.

والغريب أنى فى زيارتى للقبائل فى جنوب السودان وجدت بعض القبائل مازالت تمارس اختطافًا صوريًا فى كل زواج، كجزء من الشعائر التقليدية لعقد القران، فيقوم العريس على رأس شلة من أصحابه باختطاف العروس فى يوم متفق عليه بين الطرفين.

ويحمل العريس عروسه بين الزفة والتهليل وهى تصرخ وتولول الحقونى.. الحقونى.. انقذونى من هذا الرجل.. أنا لا أريد أن أتزوجه.. أعيدونى إلى بيت أبى.. الرحمة.. النجدة.. أنا أكره هذا الرجل، يا ناس يا خلق هوه.. (طبعًا كلام كده وكده من وراء القلب)، وتنتهى التمثيلية بقضاء العروس للأسبوع الأول من شهر العسل معتكفة فى كوخها تسوق كل صنوف الدلال والتقل على عريسها.. وفى آخر الأسبوع يصالحها عريسها بأن يهدى اليها بقرة.. وبذلك تبدأ الحياة الزوجية الطبيعية.

وهذه التمثيلية تكشف عن اللذة الغريزية التى يشعر بها الطرفان من عملية الاختطاف.

وأعتقد أن ما حدث لك لم يحدث بقصد جرح كرامتك وإهانة أنوثتك.. وإنما هو بقية من هذه الغرائز البدائية واللذة الشمشونية فى الاختطاف.. وهى لذة كانت تشارك فيها دليلة وتستمتع بها كما يستمتع بها الرجل وكانت تعتبرها تشريفًا لها ولأنوثتها لا جرحًا لها.

أذكر منذ سنوات فى لقاء مع سائحة أمريكية وكانت مليونيرة، أنى سألتها عن الحلم الذى تتمناه.. وتصورت أنها ستقول لى إنها تحلم بامتلاك جزيرة فى هاواى.. ولكنها قالت ببساطة، أتمنى أن يخطفنى عربى جميل ويهرب بى على ظهر حصانه.

إن هذا الحلم القديم لم يمت إذن.

إنه مازال يعيش فى عقول بعض النساء.. كما إنه مازال يعيش فى عقول بعض الرجال.

ورجلك لم يكن معتديًا.. وإنما كان عاشقًا.. صورت له أحلامه وأحلام عائلته من القبضايات.. أنه بخطفك سوف يبدو فى نظرك ونظر أصحابه أكثر رجولة وأكثر حبًا.

وأنا طبعًا أوافقك على أن هذه الطريقة الهمجية انتهى زمانها ولم تعد تليق بامرأة عصرية ورجل عصرى.

ولكن ما دام الفأس قد وقع فى الرأس على رأى العوام.. وما دمنا أصبحنا أمام واقع، الطلاق فيه يضر أكثر مما ينفع.. فلماذا لا تنظرين إلى المسألة بطريقة أكثر تفاؤلا.. وتطرحين عنك هذا الإحساس بالكرامة المهينة.. (وهو على أى حال إحساس خاطئ كما ذكرت لك).. وتبدئين علاقتك مع زوجك بتسامح وبقلب مفتوح.

ومن يدرى.. فقد تثبت لك الأيام أن زوجك فارس فى حبه وعشرته كما كان فارسًا فى زواجه.. وقد تكشف لك الأيام عن

الزيجة التى بدأت بمنظر سينمائى إنها زيجة هانئة ناجحة..

إنك لن تخسرى بهذه التجربة أكثر مما خسرت.

أعتقد أنه لا مانع من تجربة.

زوجى لا يغازلنى

أنا سيدة فى الثالثة والعشرين من عمرى، زوجى رجل فى الأربعين، تزوجنا منذ ست سنوات وأنجبنا طفلين.. بنت فى الخامسة وولد فى الثالثة والنصف، زوجى لا يحمل أى مؤهل دراسى، كل المؤهلات التى جعلته زوجًا لى هى ورشة ميكانيكية وسيارة أجرة من موديل حديث يدران عليه دخلا حوالى ١٩٠ جنيهًا فى الشهر.

غير أنه يمتلك غير هذه المؤهلات مؤهلا أكبر، فهو يملك أمًّا مسيطرة مفترسة لها لسان عقرب وهو يعبدها ويقدسها، ويمتلك أبًا ضعيف الشخصية سلبته الأم كل مقومات الحياة من شخصية وصحة وشباب، فهو ليس أكثر من حيوان أبكم تأمره فيأتمر وتنهيه فينتهى، فقد كان فى شبابه عاملا يدويًّا فى أحد المصانع وتقاعد الآن بحكم السن طبعًا وليس له أى معاش.. ويملك زوجى أيضًا اثنين من الاخوة، واحدًا فى كلية الطب له فيها ثمانى سنوات وهذه سنة البكالوريوس التى لا أتوقع له الفوز فيها إلا بالأقدمية.. والأخ الثانى فى كلية الهندسة وهذه أول سنة ومازال

المشوار طويلاً أمامه ويملك أيضا المصيبة الكبرى.. أختاً مطلقة لها خمسة أولاد، اثنان منهم فى الثانوية العامة وطبعًا سيلتحقون بالجامعة فى العام القادم، ولها ولد فى السنة الأولى الثانوية، ولها ولد آخر لا يزال فى المرحلة الابتدائية.. وهذا الجيش المكون من عشرة أفراد يأكلون الزلط ليس لهم أى عائل غير زوجى المحترم فالست أخته خائبة وماضية أنها ما تاخدش من مطلقها نفقة لكى لا يطالبها بالبلاوى بتوعها.

سيدى.. لعلك تسأل الآن وما هى مشكلتى. أن هذا الجيش الهائل هو مشكلتى.. إن مصاريفهم تبتلع أكثر من ثلاثة أرباع دخل زوجى.

وكان يمكن أن أحتمل لو أن زوجى بنى آدم، ولكن للأسف أنا بمنتهى الصراحة متزوجة من حيوان لا هم له إلا العمل لكى يستطيع أن يفى بطلبات هذا الجيش.

تصور يا سيدى أنه يخرج فى التاسعة صباحًا فلا يعود إلا فى الحادية عشرة مساءً.. أربع عشرة ساعة فى اليوم أقضيها فى الفراغ والضياع والثرثرة مع الجيران فى كلام فارغ.. وأخيرًا يعود فى منتصف الليل محطمًا مرهقًا ليلقى فى فمه ببضع لقيمات لا يعرف لها طعمًا، ثم يذهب لينام كالقتيل.

تصور يا سيدى أنه لم يبد إعجابه يومًا بما أصنعه له كل يوم من أكل وحلوى وخلافه! تصور ولا تحسب أنى أبالغ، إنى لم

أسمع فى حياتى إلى الآن كلمة حب واحدة حتى ولا فى أيام الخطبة.. كل ما أعرفه عن الحب أقرؤه فى القصص والمجلات، فأنا لم أجربه فى حياتى قط فقد تزوجت وأنا فى السابعة عشرة، وبالرغم من أنى كنت فى المدرسة الثانوية قبل الزواج إلا أنه لم تتح لى فرصة الاختلاط فى يوم من الأيام، فعائلتى محافظة جدًا، والحب فى عرفها عار يا سيدى أن زوجى لا يعرف أن يتكلم فى شىء فى الفترات القصيرة التى يقضيها فى المنزل غير السباب بألفاظ بذيئة فهو لا يكف عن سب أبى وأمى بدون أى سبب سوى أنه رجل معقد عنده شعور عنيف بالنقص. فعائلتى على النقيض من عائلته.. أبى رجل لم يبلغ بعد الثالثة والأربعين ذو شخصية فذة ووالده رجل عديم الشخصية وهو رجل موسر يملك مصنعًا ومحلا لبيع أدوات الرياضة.. أنا أعرف أنه يقارن دائمًا فى خياله بين والدى ووالده، ولكن ما ذنبى إذا كان الله قد خلق أبى وأباه على طرفى نقيض.

أما معاملته لى فلا أستطيع أن أصفها يا سيدى فقد عشت طوال الست سنوات الماضية فى معركة عنيفة وحرب أعصاب لا تنتهى، فأنا أحارب لكى أستطيع أن أحتفظ به. وعائلته فى الناحية الأخرى تحارب حربًا أعنف لكى تسترده، فهو فى نظرهم دجاجة تبيض ذهبًا فعندما زوجوه كانوا فاهمين أن الحكاية مش حنطول ولما طولت فهم لا يكفون عن تسليطه على ضربى وإهانتى. أما هو فهو يطيعهم طاعة عمياء وهو أيضًا يخاف إن

عاملنى معاملة طيبة انقلب وأصبح مثل أمه المتوحشة، ويصير هو كأبيه لا حول له ولا قوة ولذلك فهو حريص على أن يثبت وجوده بمناسبة وبدون مناسبة. أضف إلى هذا يا سيدى أنه بخيل. إنه يعتقد أنى ليس لى مطالب أكثر من الأكل والشرب فبيتى دائمًا ملىء بأنواع عديدة منها، ولكنه يعذبنى ولايتوانى عن ضربى عندما أطلب بضعة جنيهات لأشترى بعض لوازمى الخاصة مثل الملابس وغيرها وتكون النتيجة أن مصاريفى هذه يتحملها أبى راضيًا وبروح طيبة ولكنى أكون فى غاية الخجل.

وقد تقول يا سيدى ولماذا قبلت الزواج منه، والحقيقة أنى وأسرتى كنا نعلم كل شىء عن ظروفه، ولكن أبى لم يكن له هم إلا أن يرانى سعيدة، وأنا كنت أيامها جاهلة مثل معظم البنات فى سن السابعة عشرة كانت أحلامى تنحصر فى أن ألبس الحلقة الذهبية الجميلة والتى أفضل عليها الآن حلقة حديدية فى سجن النساء.. وأحلم بالطرحة البيضاء وياليتنى ما لبستها قط إلى اليوم.

والآن ياسيدى وقد حكيت لك عن مساوئه ولو أنى لن أوفيها حقها مهما كتبت فسأتكلم عن الحسنة الوحيدة فيه، إنه يعبد أولادنا وهم يعبدونه بشكل جنونى، إنه لا يتوانى فى تلبية طلباتهم مهما كانت وقد ألحقهم بحضانة أرقى المدارس وهو فى منتهى الحنان بالنسبة لهم.

والآن ياسيدى لى سؤالان سوف أعلق مصير حياتى كلها على ضوء الإجابة عليهما.

١ - هل أمومتى وحبى لأولادى وحرصى على مستقبلهم يجب أن تكون السبب الوحيد فى بقائى مع هذا الرجل الغبى الذى أكرهه من أعمق أعماقى وتمضية بقية عمرى معه؟

٢ - أيهما أفضل: أن يتربى أولادى فى بيت واحد مع أبيهم الذى يحبونه فى هذا الجو المشحون دائمًا بالسباب والضرب منه وبالبكاء المستمر منى، أم يتربون بعيدًا عنه فى جو أفضل؟

سيدى لو أعطيتنى إجابة واضحة على هذين السؤالين فأنا أكون مدينة لك بحياتى كيفما ستكون فأنا لن أخالف لك رأيًا مهما كان.

م.

القاهرة

* * *

تقولين بلسانك إنك تصنعين كل يوم من الحلوى والطعام أصنافًا وأن بيتك ملىء بألوان عديدة من الأكل لاينقصك منها شىء وتقولين إن زوجك يعبد أولاده، وأولاده يعبدونه.. وتقولين إنه ألحق أولاده جميعًا بحضانة أرقى المدارس، وإنه فى منتهى الحنان بالنسبة لهم لا يتوانى عن أن يحقق لهم مطلبًا.

ومعنى هذا واضح جدًّا.. إنه لم يعط أهله مليمًا إلا بعد كفاية

بيته، وإنه لم يقصر فى حق بيته وإن ما ينفقه على أهله المحتاجين هو من فائض خيره.. هو على العكس يبدو سخيًا كريمًا.

أما عن الحب.. فأيهما أدل على الحب فى نظرك.. أن يعطى الرجل زوجته قبلة وضمة وكلمتين «فبركة جرايد» فى أذنها.. أو أن يعطيها من ذات نفسه ومن عرقه وشقاه وتعبه دون أن يتكلم.

إن الفيلم الأمريكى الذى يدخل فيه الزوج فيأخذ زوجته بالحضن ويغمر وجهها بالقبلات ويقول لها وحشانى.. بقالى خمسة دقائق ما شفتكيش.. والروايات الغرامية التى تصف الزواج بأنه مطارحة فراش وغزل متواصل وهوى مشبوب.. هذه الصور الفنية الكاذبة والرائجةفى نفس الوقت أتلفت عقول البنات والستات بما تروجه من أفكار خاطئة تتملق بها الخيالات المراهقة.

والواقع غير هذا تمامًا.. الزواج ليس مطارحة فراش لأنه ليس لقاء ليلة فى ماخور وإنما هو عشرة عمر.. الزواج عمل من أجل معاش أحسن وبناء يبنى فيه الاثنان أسرة ومستقبلا.. والحب فى الزواج يكون دليله أن يعطى كل من الزوجين من ذاته ومن عرقه ومن شقاه فى هذا البناء المزدوج، وألف قبلة وألف كلمة غرام لا تساوى قطرة عرق واحدة من أجل أن يكون فى البيت حلوى.. وما أسهل أن يسرح الرجل بزوجته بكلمتين معسولتين، وما أصعب أن يشقى ويتعب ويعرق من أجلها.

فكرى مرة أخرى فأنت ظلمت زوجك.

ولعله يفكر هو الآخر مرة أخرى فيحاول أن يكون رقيقًا.. يعطى برقة وحنان وابتسامة.. ولا يشوه عطاءه السخى بالبوز الكشر والطباع الجافية.. فالجفاء ليس رجولة كما يعتقد أغلب الأزواج عندنا وإنما هو حمق ليس بعده حمق.

المليونير

برغم أن الأمر محرج ومربك فإنه مضحك. فلم يكن يخطر ببالى أنى أصبح هذه الأحدوثة، وأن حياتى الطيبة ستتحول إلى سيرة فى الجرائد، ولكن عذابى فاض بى ولابد أن أتكلم.

كنت مدرسة بإحدى المدارس الخاصة ولم أكن أحمل شهادة تربوية تؤهلنى للعمل بمدارس الحكومة وبرغم أن مرتبى كان ضئيلا فإن حاجة أهلى كانت تجبرنى على هذا العمل غير المجزى.

ثم تعرفت عليه.

مدرس بمدارس المرحلة الأولى.

كان منطويًا وهادئًا ومتزويًا.. وكانت كل تصرفاته وحركاته تثير الإشفاق.

وعندما بدأت علاقتنا تنمو أوضح لى سبب انطوائه وعذابه. فأهله من كبار الأغنياء بالصعيد يمتلكون مئات الأفدنة غير الفيلات والعمارات وحسابات البنوك والأسهم والسندات والتليفونات الخاصة والسيارات والأراضى البور والأراضى المنهوبة. وهو يكره المال ويكره الغنى والأغنياء.

وأعجبنى فيه زهده عن كل المظاهر واعتماده على نفسه واكتفاؤه بمرتبه البسيط، وكفاحه وحده دون معونة من أحد من أهله المعقدين «على حسب رأيه هو».

ولن أطيل عليك.

تمت الخطبة.

ثم عقد القران.. ثم..

ثم سافرت إلى بلدتهم لأول مرة.. إحدى قرى مركز ديروط.. وبدأت تتضح أمامى معالم المأساة.

اكتشفت أن حبيبى وزوجى وشريك حياتى والرجل الذى تركت عملى من أجله «دون كيشوت»، يعيش فى الأوهام.. وكل كلامه فشر فى فشر.

فهو يتوهم أنه يملك وأن لديه فدادين وأراضى منهوبة وعمارات مسروقة.. وأن المباحث العسكرية تسعى لكشف أرض هربها.

وهو فى الحقيقة والواقع رجل عادى، أهله ناس فقراء فيهم الطيبون وفيهم اللصوص.. وهم جميعًا على فقرهم ولصوصيتهم يحتقرونه ويكرهونه ولا يميلون إلى مجرد السلام عليه.

ولكن كل يوم يمضى اكتشف الأعاجيب والروائع من أمره.

فهو مصر على كذبه.. أحيانًا يتوهم أنه مخترع كبير خطير الشأن ويتصرف على هذا الأساس، لدرجة أنه يجلس ليقص على

الغرباء من أصدقائه كيف أنه أطلق صاروخًا بمفرده، وكيف أنه كلف بمراقبة منطقة ديروط الشريف.. وأحيانًا أخرى يتوهم أنه مكلف بمهمة سرية لا يجب أن يفصح عنها، ويظل يستثير الآخرين ليسألوا عن طبيعة هذه المهمة.

أحيانًا يجلس مع الغرباء ليقص عليهم تفاصيل قيامه بإصلاح قطعة أرض تكلفت آلاف الجنيهات مما أثر على رصيده فى البنوك.

واستبد به الهوس فى إحدى المرات فطلب من فتاة صغيرة أن تحضر إليه فى أمر خاص.. وفى أثناء خلوتها صرخت الفتاة.. وكانت فضيحة انتهت فى نقطة البوليس.. ولقد قام رجال الشرطة بالواجب خير قيام.. ومازالت آثار هذا الواجب بصمات موجودة على وجهه.

حاولت أن أمنعه عن هذه التصرفات.

حاولت أن أفهمه إن الفقر ليس عيبًا ولكن العيب هو هذه التصرفات المخجلة المثيرة للسخرية.

ولكنى فشلت.

حاول ابن عمه أن يوضح له حياته وحياة العائلة كلها وسخرية الناس بهم بسبب تصرفاته ولكنه فشل.

ومنذ دقائق أفهمنى.. أفهمنى أنا زوجته.. بأنه ربما يزرع هذا العام ستين فدانًا من القمح.. برغم أن ملكيته لا تزيد عن نصف فدان.

أحس أنه سيضيع وأشفق عليه وأحاول أن أصدقه ولكن محاولاتى دائمًا تبوء بالفشل.

ثم.. ألا يوجد حل آخر غير الطلاق.

المخلصة الحائرة

س أ.

* * *

إن الحل ليس الطلاق أبدًا.

الحل عند الطبيب وفى المستشفى المتخصص.. فهذه حالة عقلية فى حاجة إلى عناية طبيب عقلى أو نفسى.. ودورك هو الوقوف بجانبه فى هذه المرحلة العصيبة، وليس التفكير فى الطلاق منه.. فهو مريض.. وله حق المريض وليس وزر المخطئ.

المطلقة

هل يستطيع الإنسان أن يعيش بعيدًا عن هذا المجتمع وتنحصر حياته فى أن يأكل ويشرب وينام وينتظر يوم وفاته.. أعتقد أنها تصبح حياة جوفاء ليس لها معنى ولا هدف تشبه إلى حد كبير حياة الحيوانات.

إنه لن يحتمل الحياة بهذه الطريقة مدة طويلة وفى النهاية إما أن يموت أو ينفجر أو تختل قواه العقلية، وهذا ما أردت أن أكتب لك فيه قبل أن تصيبنى إحدى هذه الحالات.

وسوف أختصر لك القصة فأقول لك إنى فتاة مطلقة.

وحياة المطلقة عندنا مشكلة.. ليست مشكلة خاصة ولكنها مشكلة عامة.

إنها دائمًا موضع همس من الجميع.. من الأهل والأصدقاء والأقارب.. حتى من يعرفون ظروف طلاقها لا يرحمونها بنظراتهم وألسنتهم، يستقبلونها ويشيعونها بمصمصات من شفاههم.. وكأنها مجرمة أو مشبوهة.

لا أحد يغتفر للمطلقة أنها طلقت.

والألعن من ذلك أنها تصبح موضع طمع من كل رجل.. كل رجل يعتبرها فرصة وصيدة.. ووسيلة سهلة للإمتاع بدون مسئوليات.. وليلة طريفة يذهب بعدها كل واحد إلى حاله.. فليس من المتوقع أن تطالب المطلقة صاحبها بزواج.. ولا حق لها فى ذلك فهى مطلقة.

وهكذا تكثر حولها الذئاب يتقربون إليها فى البداية بزعم الشفقة والعطف.. ثم يظهرون سخطهم على هذا الزوج الأعمى الذى لم يقدر المواهب.. ثم يدعون الحب.. والحنان.. والغرام الملتهب الذى يمنع النوم عن الجفون.. ثم تنتهى الأنشودة الرقيقة بالهدف النهائى. وهو دائمًا ليلة رخيصة مضمونة بعيدًا عن العيون فى شقة مغلقة بالضبة والمفتاح.

هذه هى المشكلة بصفة عامة.. وسأسرد لك بعض التفاصيل لعلك تستطيع أن تهدينى برأى.

كنت فى بداية حياتى فتاة متفائلة.. مرحة.. طموحة.. متفوقة فى دراستى. ولكن ليس لى رأى بحكم تسلط أبى المتزمت المحافظ فى تربيته.

وهكذا أكملت تعليمى الجامعى، وانتهت حياتى يوم أن تخرجت فقد رسم لى أبى بقية الطريق.. وكان لابد أن أتزوج من الشخص الذى اختاره لى.

حاولت المعارضة ولكن إصرار والدى ووقوف الجميع ضدى

انتهى بى إلى الإستسلام والإذعان للأمر الواقع.

والظاهر أنه كان هناك ضغط مماثل على الزوج لأنه كان يحب فتاة أخرى..وكان على أن أواجه حياة شاقة.

والواقع أنها كانت حياة شاقة على كلينا.. ومالبثت أن أصبحت جحيماً.. ولا تهم التفاصيل.. فقد انتهت الحياة الزوجية الفاشلة وعدت إلى أهلى وحصلت على الطلاق.. وتزوج هو فى الحال من صديقته القديمة.

وهنا بدأت المشاكل.. وكان على أن أواجهها.

أول صدمة واجهتنى عندما ذهبت لتغيير بطاقتى الشخصية لتجديدها.

وكان التغيير هو أن أشطب كلمة متزوجة وأكتب مطلقة.

وسلمت الطلب للموظف المختص فقرأ البيانات.. ثم طلب منى الانتظار حتى ينتهى مما فى يده، ثم قدم لى كرسياً لأستريح، فقلت فى نفسى.. ابن حلال شاهدنى أقف وحدى فى طابور كله رجال فأراد أن يريحنى.

وبعد فترة طلبت منه أن ينتهى بسرعة.. فقال.. ولماذا هذا التسرع سأنتهى من عملى فى الثانية.. ويمكننا الخروج معاً.

تصور!

موظف هلفوت يعاملنى كفتاة كباريه لمجرد أنى مطلقة.

وطبعًا شتمته وأخذت أوراقى بسرعة والدموع فى عينى.

وأخذت أتساءل فى الطريق.. هل كل مطلقة تصبح موضع طمع من الرجال.

وبدأت أكره الناس وأتجنب الجلوس فى المجتمعات.. وأتجنب الأهل والأصدقاء والأقارب، حتى النادى الذى كنت أقضى فيه أوقات فراغى فى الرياضة حرمته على نفسى.

وكان الجميع يعرفوننى بروحى المرحة التى لم أكن أخص بها أحدًا، ومع ذلك بدأ يتودد لى صديق خيل إليه أنى أخصه بهذا اللطف وبدأ يلاحقنى بإعجابه.. وفى إحدى المرات وهو يوصلنى إلى منزلى كشف عن نيته وهدفه.. وكانت النتيجة أن هجرت النادى وتركت الرياضة التى أحبها علمًا بأنى أستطيع أن أحمى نفسى.. ولكنى أكره الفكرة نفسها.. وأتصور هذه العيون التى تحملق فى جسمى فأضيق بجسمى وبنفسى وبالدنيا.

عشت بعد ذلك حياة منعزلة منطوية.. أقضى اليوم فى العمل وبعد الظهر فى حجرتى أقرأ وأطالع الكتب وأسهر أمام التليفزيون.

وهكذا مر علىّ عامان وأنا على هذا المنوال.. وبدأ الملل يزحف إلى نفسى.. وأصبحت لا أهتم بمظهرى وسئمت القراءة.

لا جديد فى حياتى يجعل لها هدفًا أو طعمًا.

وحتى هذه الحياة الرتيبة المملة لم تخل من المنغصات.. أرى نظرات الشفقة فى عيون أهلى فأضيق بنفسى وبالبيت.. السلوى

الوحيدة أراها فى إخوتى الصغار الذين أبذل لهم رعايتى.

حبى الوحيد الذى غمرنى صغيرة وكبر معى.. فقدته.

كان حبًّا نزيهًا بعيدًا عن الأغراض.

بذل كل ما فى وسعه للزواج بى.. ورفض والدى.. وكان رفضه غير قابل للجدال.

عرض علىّ الزواج برغم إرادة والدى ولكنى لم أوافق خوفًا وضعفًا.. وأخيرًا فوجئ بزواجى وافترقنا عامين.

وعندما علم بطلاقى عاد إلىّ وكسب ثقتى.. واعتقدت أن مشاكلى قد انتهت وأن الحياة ستبتسم لى من جديد وسأنعم بالسعادة التى حرمت منها سنتين.

ولكن تصور.. لقد رفض أهله فكرة زواجه بى لأنى «مطلقة» وهم الذين يعلمون تمام العلم قصة حبنا.. وقصة زواجى الخائب الذى لم يدم سوى خمسة شهور.

ولكن.. أين ذهبت شخصيته هو ليقول لى هذا الكلام.. وهل هو فى احتياج لأخذ رأيهم لولا أنه هو نفسه غير مقتنع بالعودة إلىّ والزواج بى لأنى مطلقة.

إنه يريد أن يبرر التراجع أمام نفسه ويجد لنفسه عذرًا..

ثم يتكلم عن الحب الذى لم يمت فى قلبه.. وعواطفه المتعلقة بى.. إلخ.. إلخ.. إلى آخر هذه العبارات المحفوظة.

وفهمت فى النهاية أنه يريد أن يبادلنى الحب فقط.. بلا مسئوليات.. بلا مشاكل.. لا يادكتور مصطفى.. أنا لا أتصور أبدًا أن أنزلق إلى هذا المستوى فأعاشر رجلا للحب فقط.

أنا لم أكن يومًا لعبة يلهو بها رجل ثم يرميها بعد أن يزهدها.

لا.. إن لى كرامة أدافع عنها بكل الوسائل.. ولو حبست نفسى فى غرفة مغلقة.

لقد رأيت زوجات يتسترن وراء الزواج ويبحن لأنفسهن علاقات متعددة بحجة أنهن غير سعيدات فى زواجهن.. هذا لأن المجتمع يعطى احترامه للمرأة المتزوجة مهما فعلت.

وأنا لا أقبل بالمرة وضعًا كهذا.

إنى قلقة ثائرة.. أبكى لأتفه الأسباب.

أصبحت حساسة للغاية.. تجرحنى أتفه كلمة.. وأخشى أن يتبرم بى أهلى.. كما أخشى الوحدة.

ألا يوجد مكان فى مجتمعنا لامرأة لا يحميها رجل.

لم أعد أستطيع الذهاب إلى السينما وحدى.. لكثرة العيون التى تحملق فى.. أصبحت كل المتع محرمة علىّ.

تجنبت المجتمعات وأغلقت بابى.. فإذا بالوحدة أقسى علىّ من كل المجتمعات.. عقلى يعذبنى، قلبى يعذبنى.

كيف تستمر الحياة مع امرأة مثلى.

أريد منك نصيحة.. علمًا بأنى لست على استعداد للدخول فى أية تجربة.

«...»

* * *

رسالتك صادقة جدًّا بدرجة مؤثرة.

ولكن مشكلتك ليست يائسة بالدرجة التى تتصورينها..

أنت تتصورين أن أخلاقك التى لاتقبل أى علاقة حب بدون زواج.. تتصورين أن هذه الأخلاق سوف تحرمك من تحقيق حب شريف مع رجل يكون شريك حياتك وعمرك.. لأن كل الرجال فى تصورك طلاب متعة مثل موظف البطاقات الشخصية إياه!!!

وهذا تصور غير صحيح.

فالكثير من الرجال يبحثون عن أخلاق مثل أخلاقك وشخصية مثل شخصيتك.

وعزلتك وانقطاعك عن ارتياد المجتمعات والنادى أكبر جناية تجنيها على نفسك.

فوسيلتك الوحيدة للعثور على رجلك، هى التعرف على المجتمعات.. والاختلاط الطبيعى فى ظروف صحية.

دعى سوء الظن وابدئى الحياة.

أنا أتخيلك من رسالتك امرأة ناضجة مكتملة العقل ذكية وحساسة وفاضلة.

أنت مطلب عزيز يتمناه كل الرجال.

الحب والموت

لا أستطيع أن أحكى لك حياتى كلها.. فهى تحتاج إلى مجلدات.

منذ كنت فى السابعة من عمرى حرمت من التحرك من الفراش من اللعب والضحك والشيكولاته والأكل الذى أحبه.

لم أكن أعرف السبب.. كنت أتألم وأتعذب.. إخوتى يلعبون ويضحكون وأنا طريحة الفراش.

أبى رجل غنى ومركزه مرموق وأمى سيدة متعلمة.. وكل شىء أتمناه فى متناول يدى ولكنى لا أطوله.. صحتك يا فاتن.. عشان صحتك يا حبيبتى.. لما تخفى ياحبيبتى.. خليكى نايمة يا حبيبتى حياتى سفوف وأقراص وحقن ومراهم ولزقات.

والأطفال حولى يلعبون ويمرحون ويأكلون كل ما تشتهيه نفوسهم وأنا نائمة مثل عروسة لعبة يسبلون لها عيونها فى فراشها.

عرفت أن عندى روماتيزم فى القلب.

لم تكن الحالة خطرة.. ولكن أنت تعلم أن الشفاء مستحيل من هذا المرض اللعين.

أصبحت أكره الدواء.. وأكره العطف.. فهو عطف يذكرنى بمرضى على الدوام.

أبى يعطينى من الحنان فوق طاقته.. وأمى أكثر.. ولكنى أريد أن أحيا كأى طفلة فى هذه السن بدون محظورات.. بدون قيود.

عملت عملية وأنا فى الثالثة عشرة، ونجحت العملية واشتغل صمام من الثلاثة صمامات الفاسدة.

وفى الخامسة عشر عملت عملية أخرى لم تنجح كل النجاح.

ولكن حالتى كانت قد تحسنت كثيرًا وبدأت أعيش ولكن بإحساس أن أيامى معدودة، وأنه عاجلا أو آجلا سوف تعود الصمامات إلى سالف حالها ويمد لى الموت ذراعيه.. وأنا فى إجازة ربما تكون شهورًا وربما أسابيع، فسحة محدودة ألعب فيها.. ثم يعود المرض اللعين فيضعنى فى فراشى من جديد.

وكان طبيعيًا أن أتزوج من أول خطيب يتقدم لى، فأنا أريد أن أعيش.. وكان طبيعيًا أن أحبه حب عبادة، فهو فرصتى الوحيدة لأدخل دنيا وأرى دنيا.

كان ضابطًا.. وكان يعرف كل شىء عن مرضى.

ولم أجد النعيم الذى كنت أتصوره، بل عشت فى جحيم ألعن

من الموت. فأنا بحكم مرضى لا أستطيع أن ألبى كل رغبات زوجى الجنسية فهذا خطر على حياتى.. وهو بصحته وشبابه لا يقوى على تحمل هذا الوضع.

وهكذا انتهت الحالة به إلى إدمان الخمر والمخدرات ومصاحبة النسوة الساقطات.. وكنت أرى هذا بعينى وأتعذب، ولكنى أنا السبب، فقد قبلت الزواج برغم معارضة أهلى وبرغم تحذير طبيبى المعالج.

حاولت بكل الطرق إصلاحه دون فائدة.

انحدرت حالته أسوأ فأصبح يأخذ حقن المورفين.

عشت شهورًا طويلة أتمنى طفلا.

ثم حدث بعد هذا أن سافر فى مهمة حربية.. حمدت ربنا أنه سيعيش فى جو نظيف بعيدًا عن إخوان السوء.. واكتشفت بعد ذلك أنى حامل فتضاعفت فرحتى.

أخيرًا سيكون لى ابن.

سوف أموت، ولكن سيكون لى ابن يقول «ورحمة ماما». وسأكون ذكرى غالية باقية عند إنسان عزيز.

وبعثت إلى سالم أقول له إنى حامل.. فرح ولكن أرسل يقول لى: إذا كان خطرًا على حياتك لازم تسقطى نفسك.. ولم يهمنى برغم علمى بأنى لابد سأموت عند ولادتى.

وقبل الولادة سمعت أن سالم مات نتيجة انفجار ذخيرة حية أثناء أحد التدريبات.

وأقول لك الحقيقة فرحت فيه.. فهو قد حطمنى وحطم أنوثتى وكرامتى.. وكان دائمًا يقول لى متى أستريح منك ومن مرضك. وكان يخوننى أمام عينى.

وغرقت فى شرب السجائر «أكثر من ٤٠ سيجارة فى اليوم» ولم أعد أهتم بشىء.

لا يهم أن أموت.. فعندى ابنى الآن وعندى سبعون فدانًا من أحسن الأرض ومعاش ٨٠ جنيهًا وفيلا وعربية.. وقد عملت أيضًا بوليصة تأمين بـ ٣٠ ألف جنيه.. وسوف يعيش ابنى إذن عيشة ملوك ولن يحتاج لأحد.. وسوف يذكرنى طول عمره بالخير.

وولدت فى الإسكندرية.. كان معى فى حجرة العمليات دكتور القلب وطبيب أمراض النساء.

ولم أشعر بشىء.. فقد خدرونى قبل الولادة.

ولم أمت.. تصور.. لم أمت.

وجاء طارق إلى الحياة.

كل شىء خطر. لا يجب أن أخرج.. لا يجب أن أسهر. وأغدقت عليه من الحنان والحب والرعاية مالا يحلم به طفل.

وطبعًا بدأ الأطباء يضيقون علىّ بتعليماتهم.. كل شىء ممنوع، لا يجب أن آكل.

ولكنى كنت تحولت تمامًا إلى امرأة جديدة بعد أن رأيت معجزة ولادتى أمام عينى.. ورأيت ابنى ورأيت نفسى وأقوم من ولادتى سليمة جن جنونى.

رحت آخذ الحياة كلها بالحضن.. ورحت أعيش بملء القلب والعين.. أرملة مرحة بكل ما فى هذه الكلمات من معان.. اتنقل مثل الفراشة كنت أعلم أن عمرى قصير وأن أيام سعادتى محدودة، فرحت أطير من زهرة إلى زهرة فى محاولة لنسيان الماضى الكئيب وآلامه.

هذا مهندس، وهذا محام، وهذا ضابط.

بالطبع كنت أعلم أن لا أحد من هؤلاء الرجال الذين أصاحبهم يحبنى بصدق.. إنما هى تقضية وقت.. وكنت أعاملهم بنفس طريقتهم.. ولهذا لم أفرط فى نفسى.. كنت آخذ ولا أعطى، يكفى أن أقضى ساعة أضحك فيها.. ولو كانت ضحكات زائفة.

ولم أعد أهتم.. ماذا آكل وماذا أشرب.. إنها أيام وتعدى فلماذا الندب على حظى التعس، لماذا أضيعها فى النحيب والبكاء.

أبى يقول لى.. بدراستك يا فاتن.. مستقبلك يا فاتن.. وأنا أصرخ، لمن أذاكر، لكى أدفن شهادتى معى.

ابنى أخذته أمى تربيه وهو الآن عمره عام.

الدنيا كلها أصبحت ملكى.. ولكن الموت ينتظرنى.

وفى هذا الوقت حدث الحادث الذى غير مجرى حياتى.

منذ ثلاثة شهور قابلته.

رجل يختلف عن كل الرجال الذين عرفتهم.. إن عواطفه نحوى ليست نزوة، وإنما مشاعر عميقة صادقة.

وهو لا يعرف شيئًا عن مرضى، وإنما يريد أمامه إنسانة كاملة الأنوثة.. حلوة.. وأنا أحبه.. أعبده.

ولكن بعد فوات الأوان.. لقد سقط المطر على الزرع بعد أن جف، فقد بدأت النوبات القلبية تعاودنى.. الاختناق والرعشة والإغماء.

ذهبت إلى الطبيب وأنا أبكى، وقال الطبيب إنه لابد من عملية، والأمل من العملية ضعيف، ولكن لا يوجد حل آخر.

وليس أمامى اختيار.. إما الموت وإما عملية غير مضمونة الفائدة، وقد تعجل العملية بموتى وتقضى على كل آمالى.

حياتى تهرب منى وأنا فى أشد اللحظات شغفًا بها وتمسكًا بها أريد أن أعيش.

أنا أحب.. قل لى كلمة.

سعاد

* * *

إن مشكلتك ليست .. الحب.

ما الحب إلا فصل من فصول متعددة فى رواية أخرجها الموت، إن الموت هو الذى ظل يلهو بك وبعقلك كما تلهو الخيوط بالدمية الأراجوز.. الخوف من الموت منذ طفولتك هو الذى خلق لك هذه الحالة النفسية المستمرة من «الرثاء للنفس».. فأنت دائمًا ترثين لنفسك وتعذرين نفسك وتعيشين فى عذابك وحدك طول الوقت.. حتى حينما لا يكون هناك ألم فأنت تعللين شعورك بالخوف من ألم وشيك وبلاء يقترب.

هذه الحالة المستمرة من الرثاء للنفس حجبت عنك رؤية عذاب الآخرين ومشاركتهم.. زوجك الذى انحدر بسببك من الخمر إلى المخدرات إلى المورفين إلى عشرة الساقطات.. إلى القبر.. لم يفز منك بكلمة بعد موته وهو الذى مات شهيدًا.

وإنما تقولين فى برود عجيب، لقد فرحت فيه.. لقد حطم أنوثتى.. وحطم كرامتى.. لقد خاننى.. وفى برود أعجب تبدئين فى إحصاء ميراثك.. سبعين فدانًا من أجود الأرض ومعاش شهرى ٨٠ جنيهاً وعزبة وفيللا.. ولقد نجوت من الولادة.. وهأنذا على قيد الحياة فمرحبًا بالحياة.. ومن ذراع رجل إلى ذراع رجل إلى ذراع رجل.

إن لحظة واحدة من الصحة جعلتك تفعلين كل هذا.. إن زوجك معذور إذن وهو ملؤه شباب وحيوية أن يفعل ما يفعله..

وأنت المرأة وهو الرجل.. ولكنك لم تدركى هذا لانك لم تعيشى فى أزمته أبدًا.. وإنما كنت طول الوقت تعيشين فى نفسك.. رثاء مستمر لحالتك.

وفى النهاية يسقط المطر ويأتى الخير بعد فوات الأوان على حد قولك.. يأتى الرجل الصادق الشهم الذى يحبك بكل قلبه، ولكنك لا تعاملينه بصدق، وتخفين عنه مرضك كعهدك دائمًا أخذ ولا عطاء.

فى كل شىء أخذ ولا عطاء.. فأنت مسكينة.. هكذا يقول لك رثاؤك لنفسك.. يحاصرك الموت والعذاب.. أنت معذورة.. لو قلت له ربما تفقدينه.. وأنت لا يجب أن تفقدى شيئًا.. ولكن الموت يترصدنا جميعًا.. والمرض قضاؤنا.. وهذا ليس عذرًا فى ألا نتصرف بصدق.. فلا عذر للكذب أبدًا.

وإذا كنت جديرة بالاشفاق فهناك من هو أجدر.. الرجل الذى يحبك وقد يتزوجك ويكون مصيره مصير الأول.

أنا أعلم أنك تعذبت وتألمت.. ولكن كنت أحب أن يسمو بك الألم إلى إدراك آلام الآخرين.. لا أن يحبسك ألمك طول الوقت فى حالة محدودة من الرثاء للنفس.

وإذا كان الموت قادمًا فلن ينقذك منه أية كلمة أقولها.

فلنعش بصدق، ولنمت بصدق، هذا هو شعارى دائمًا.. ولنكف عن الرثاء لأنفسنا، فإن هذا الرثاء يحجب عنا آلام الآخرين،

وكم من مريضة بالروماتيزم ملقاة على رصيف القصر العينى ليس عندها عربة ولا فيللا ولا معاش ثمانين جنيهًا ولا حبيب ملهوف القلب.. هل فكرت مرة فى مثل هذه المريضة.

لقد آثرت القسوة.. لأنى أعلم أنك ستعيشين برغم مخاوفك وسوف تتزوجين من حبيبك.

والأمل الوحيد فى أن تنجحى فى حياتك المقبلة هو أن تكفى عن الرثاء لنفسك.. وتعيشى فى شركة سوية مع زميلك الجديد فى الحياة.

وهذه الجراحة النفسية ستكون ضرورية مثل الجراحة الجسدية التى ستجرينها.

حدث فى قطار الليل

بدأت حكايتى يوم اثنين ديسمبر سنة ١٩٦٤ فى الدرجة الأولى فى ديزل الإسكندرية الذى يقوم من مصر فى المساء.. حينما التقيت بفتاة رقيقة جميلة كانت مسافرة معى فى نفس الديوان.. ولم يكن فى الديوان سوانا فأخذنا نقطع الوقت فى الحديث.

قالت لى فى بساطة عجيبة إنها ذاهبة إلى صديق فى الإسكندرية ثرى من بلد عربى شقيق.

وحينما سألتها إن كانت تحبه قالت ضاحكة: إنه أكبر منها بثلاثين سنة.

– مشوار عمل؟!

احمر وجهها وسكتت.. ثم قالت فى اضطراب – إنه عمل بالنسبة لها.. أما بالنسبة له فهو انبساط.

وأحسست أن المعنى فى الاستفسار والاستفهام سوف يكون جارحًا وسوف يكون تدخلا منى فيما لا يعنينى (وإن كان فى الواقع أصبح يعنينى جدًا).

ومراعاة للياقة قفلت الموضوع.

واكتسى وجهها بالحزن العميق.

ثم قالت بابتسامة شاحبة وهى تنكس عينيها فى الأرض خجلا:

– أنا فى الواقع لم أجد أى عمل آخر أعيش منه.

وصمتت لحظة ثم عادت تقول فى أسى:

– أبى طلق أمى وأنا صغيرة وتزوج بأخرى.. وأخرجتنى الزوجة الجديدة من المدرسة ثم طردتنى من البيت.. وعشت مع أمى.. وكنا لا نجد القوت فى بعض الليالى.. ولم تكن النفقة التى يعطيها لنا الأب تكفى لإطعام كلب. وكان لابد أن أعمل. وكنت جميلة وصغيرة.

وكنت أصدق ما يقال لى. وكنت أجد كل يوم من يقول لى أحبك.. أتزوجك.. سوف أجعل الدنيا كلها ملكك. وكنت أصدق.

وكانت غلطة.. فهناك أشياء لا يجب أن نصدقها أبدًا.. أشياء لا يجب أن نطيعها أبدًا.

ولكن الواحد لا يتعلم بدون ثمن.

والثمن كان غاليًا جدًا.

وبقية القصة لا شك عادية.. ومعروفة.

وسكتت.

آثرت ألا أجرحها بأسئلتى.

ثم عادت تتكلم فى شرود:

جاءت علىّ أوقات فقدت فيها الثقة بكل شىء.. كرهت نفسى، وكرهت الرجال.. وكرهت الحياة.. وأحسست أن الله نسينى، وأن نفسى هانت علىّ وعلى الناس.

مرضت ولم أكن أجد ثمن الدواء.

أوشكت على الموت.

تعذبت.. خاصمنى النوم.

اقتربت من حافة الجنون.

ثم أنزل الله علىّ السكينة.

ووهبنى أنجح دواء.. عدم المبالاة.. وعدم الاهتمام.

نعم.. لم أعد أعبأ بشىء.

ولم أعد أهتم بشىء.

ولم أعد أبالى بما يقوله الناس عنى.

ولم أعد أبالى بما أفعله.

ووجدت الراحة فى موت عواطفى.

ووجدت الحل فى أن أعيش حياتى يومًا بيوم ولحظة بلحظة.

والعلاقة التى كنت أشمئز منها أصبحت عادة.. لا تسبب لى ألمًا.. كما أنها لا تسبب لى لذة.

أنا أنظر لها على أنها عمل.. مجرد عمل أعيش منه.

وأنا لا أطلب من الرجل أن يقول لى أحبك.. لأنى فى الواقع لا أحب.

إنها دقائق عمل آخذ بعدها أجرى. وبعد هذا يمضى كل منا فى طريقه.. دون أن يعرف أى منا اسم الآخر.

وسكتت.

ثم عادت تقول فى نبرة حزينة:

- أنا أعرف أنى أتكلم فى بساطة وبلا حياء فى مواضيع هائلة ولكنها فى الحقيقة لم تعد هائلة فى نظرى.

ألم أقل لك أنها أصبحت عملا.. مجرد عمل..

أنا أعرف أنك لم تعد تنظر إلىّ كما كنت تنظر إلىّ فى الأول.

ولكنى أشعر الآن بالراحة.. فقد قلت الصدق.

إن الحياة فى كذب متواصل.. شىء لا يطاق.

وأنت لم تجرب.. أن تكذب كل يوم.

وفى الحقيقة مكثت برهة أنظر إليها كالمصدوم.

كان مظهرها لا يدل على هذه المأساة.

وكان فى عينيها صفاء وطيبة قلب.

وفى وجهها الأبيض براءة طفلة جميلة.

ولن أطيل عليك.

فقد نزلنا معًا فى محطة الإسكندرية.

وأخذتها معى.. وقضينا شهر الإجازة معًا.

وأحتار لو حاولت أن أصفها لك.. فهى غاية فى خفة الدم، وهى مسلية.. وعشرية جدًا.. وشديدة الذكاء.. وباختصار شخصية.

أحببتها جدًا.

وتعودت أن أراها كل يوم.

وحينما عدنا فى آخر الشهر إلى القاهرة.. بدأت أتحرى عنها وتأكد لى أن ما قالته صحيح.. وأنها لم تكذب فى كلمة.

شعرت بأنها إنسانة ظلمتها الأيام.. وأنها كانت ضحية ظروفها.

أحسست أن ماضيها لم يكن ذنبًا بقدر ما كان عذابًا لها.

كانت تقول لى.. لو أنها وجدت القوت الضرورى والرجل الذى يحبها ويحميها لما فكرت أن تسلك هذا الطريق.

واختصر لك القصة أكثر فأقول إنى أجرت شقة وفرشتها. واستمرت علاقتنا.

ولاحظت أنها ابتعدت تمامًا عن طريقها الأول الذى كانت تسلكه وكانت لا تطلب منى شيئًا.. وكنت أنا الذى أبحث كل مرة عما ينقصها.

راقبتها بشدة ساعات الليل والنهار، فلم آخذ عليها شيئًا زاد

حبى لها.. ومع ذلك لم تراودنى فكرة الزواج بها أبدًا.

قالت لى مرة إنها ليس لديها مانع أن أتزوج بشرط أن أبقيها وأن تستمر علاقتنا فقد أحبتنى.

ولا مانع عندها من أن أكون متزوجًا من أخرى.. وأن أصرف على بيتين (وكانت تعلم أن مستوى دخلى يسمح بالصرف على بيتين).

إلى هنا يا سيدى والقصة تسير عادية.

ولكنها فاجأتنى منذ أيام بأنها حامل.

وقالت لى إنها تحت أمرى.. إن أردت أن أبقى عليه فهى موافقة وإن أردت أن أجهضها فهى على أتم استعداد.. وقالت ذلك بكل صراحة وصدق.

ولكن.. أنا.

شعرت أن الأرض تدور بى.

أيكون إجهاضًا ؟!

وما ذنب الطفل البرىء.. الذى أقتله.

ومن الذى فعلها.

إنه أنا.. وليست هى وحدها.

أتركها.. وكيف ؟.

أتزوجها ؟ مستحيل !

كيف أتزوج من كانت بمثل هذا الماضى.

ثم أعود فأقول.. وكيف تتوب بعد أن أصبحت هذه المسألة عادة عندها.

رأسى يكاد ينفجر.

أحبها بقلبى.. وأنكرها بعقلى.

لا أستطيع البعد عنها.

ولا أستطيع الزواج بها.

لا أستطيع أن أقتل ابنى.

ولا أستطيع أن أعترف به.

لا أصدق أن هناك توبة.. ولكنى لا أملك أن أكذبها حينما تتكلم.

لم أعد أنام..

والجنين يكبر.

ماذا أقول لأبى لو تزوجتها.. وماذا أقول للناس.

والذين يعرفون ماضيها.. أين أهرب منهم.

محمد صادق

* * *

لقد بدأت تتكلم بعد فوات الأوان.. بعد أن أحببت.. وبعد أن تحول حبك إلى جنين.. وبعد أن تحولت أفعالك إلى واقع، وماضيك إلى حياة ونبض.

وأخيرًا جئت تسألنى إن كان ممكنًا أن تشطب على هذا كله.

إن كان ممكنا أن تشطب على جزء من نفسك.

إن كان ممكنًا أن ترتكب جريمة.

وهل يمكن أن تتوب.. وهل.. وهل.. وهل.

وأعتقد أن هذه أسئلة فات أوانها.

إنك ارتبطت بها فعلا.. إنها لم تكذب عليك ولم تضحك عليك من أول لحظة قابلتها.

فأنت إذن لم تكن مخدوعًا.. وأنت تصرفت بكامل عقلك وإرادتك واختيارك.

ولا أرى معنى لهذه التشنجات. فهى زوجتك بالفعل من زمان، ولا توجد مفاجأة فى الموضوع.

كل هذه الزوبعة على ورقة مأذون.. وإمضاء!!؟

ولكنك أعطيتها وتعطيها ما هو أكثر.. حبك واهتمامك وانشغالك وتعلقك وتفضيلك وإيثارك.

أنت زوجها بالفعل.. تصرف على هذا الأساس تستريح.

ولا تنس أن الثقة تخلق الثقة.. أما الجريمة فتخلق الجريمة.

هذا هو القانون الأول فى علاقات البشر.

وكرجل مسئول يجب ألا تتنصل من فعلك.

والله يتوب على التائبين.

هل أتزوج اللص؟

يوم الاثنين الماضى تقدم لى خطيب موظف فى شركة (عن طريق قريب يعرفه معرفة سطحية).

وجاء العريس مع قريبنا.

أول ما لفت نظرى فيه أسلوبه الراقى اللبق فى الحديث.. وظرفه وذلاقة لسانه.. ولبسه الشيك.. بالاختصار أحسست أنه شخصية برغم أنه تنقصه الوسامة.

[illegible]ى بابتسامة عذبة وقال لى:

مبروك.. إن شاء الله حاكون عند حسن ظنك.

[illegible]تقدم منى فى بساطة وسلمنى كارت باسمه به معلومات عن عمله وأسرته بالصعيد وسنه ومرتبه.

قال إنه متزوج من امرأة تكبره بعشرين عامًا غنية ومتكبرة جدًّا. ومستبدة وكانت حياته معها متعبة، وأنه طلقها بعد أن أنجب منها ابنة عمرها الآن ست سنوات.

أعجبتنى صراحته وبساطته.

وقلت لنفسى.. هذا هو الرجل الذى أبحث عنه.

وعندنا فى البيت انبسطوا منه جدًّا وارتاحوا لصراحته وشخصيته.

وتانى يوم سأل زوج خالتى عنه فى الشركة التى يعمل بها.. وقالوا له نفس المعلومات التى قالها لى بالنص.

ومنذ تلك اللحظة وهو يدق لنا التليفون كل خمس دقائق يسأل فى قلق.. هيه.. رأيكو إيه.. ورأى العروسة إيه.. أنا عاوز الرد بسرعة.. أنا مستعجل على عقد القران.. أنا تحت أمركم.. أنا أكون أسعد زوج لفاطمة.. وفاطمة عندى تسوى الدنيا.

كل يوم تليفونات واتصالات وجرى.

وأنا مبسوطة جدًّا إن فيه حد مهتم بيه كده وبطريقة جدية.

نهايته.. بعد أخذ ورد حصلت القسمة وتم كتب كتابى بعد ثلاثة أيام أى يوم الجمعة.. وكنت عاملة فستان يجنن لهذه المناسبة ومتكلف تقله.. وكنت آخر شياكة.. وكنت فرحانة جدًّا جدًّا.. ويبقولوا إنى كنت زى القمر وزى بنت ١٨.

وكانت حفلة لطيفة ومعازيم وورد وشربات وملبس وكساتا وزغاريد وصور.. كل صديقاتى حواليه زى الفراشات.

وجاء بعض أقارب العريس وكادوا يلتهموننى بنظراتهم.

وبعد انتهاء الحفلة كنت أسمع تعليقات غريبة من حولى.

واحدة تقول: بالذمة ده عريس.. ياخسارتك فيه.

والثانية تقول: ده ينفع كمسرى.

والثالثة تقول: ناقصه شنطة على ضهره ويبقى بوسطجى.

والرابعة تقول: أصلها مش شايفاه.. أصل القرد فى عين حبيبته غزال.

والآخر اتضايقت وقلت لهم: اسمعوا، الراجل بشخصيته مش بشكله.. الراجل بأخلاقه.

وكركرت الضحكات من خلفى على طريقة ها ها هاى.. هىء هىء هىء.. كاه كاه كاه.. وهى فين الشخصية دى.. وايش عرفك بأخلاقه.

ولكنى لم أبال بتلك الكلمات.. وكنت أشعر أنها حسد وغيره وكنت طايرة من الفرح.

وفى اليوم التالى ذهبت إلى المدرسة فاستقبلنى الكل بكلمة مبروك.. مبروك.. مبروك.. من الزميلات والمدرسات والمدرسين والفراشين.

وحملتنى الزميلات فى مظاهرة وهات يازغاريد.

وكنت فرحانة جدًا كالعروس البكر (للعلم أنا سبق لى الزواج والطلاق.. البخت.. البخت أصله مايل من يومه).

وجاء العريس لزيارتنا بعد ذلك.. وعلى الكنبة فى البلكونة

وفى ساعة عصارى.. جلس إلى جوارى يهمس فى أذنى بأعذب الكلمات.. أنت مش حلوة وبس.. أنت فيك حاجة غريبة.. أنت أنثى.. أنثى بمعنى الكلمة.. وفى أنوثتك حياة ورقة وعذوبة.. أنا مش قادر أشبع من وشك الحلو.. أنا ماكنتش عايش.. أنا كنت ميت لغاية ماشفتك.. أنا لازم أسعدك.. أنا حاخليكى أسعد واحدة فى الدنيا.. ياحبيبتى ياحياتى.. ياملاكى كل حاجة فيكى حلوة.

كلام عمرى ماسمعته من حد.. وقبلات.. وعناق، ونظرات والهة دامعة.

وحديث هامس كالأغانى.

وشعرت بقلبى الذى طال به الحرمان يرتوى ويفرح ويسعد كما لم يسعد أبدًا.. شعرت لأول مرة بأنى امرأة، وأن لى شفتين جذابتين وصدرًا نافرًا شهيًا يتمناه الرجل.. شعرت بأنى جميلة وفاتنة ورائعة وساحرة. وماذا أقول.. سوف أختصر لك الحكاية التى انتهت بأسرع مما ابتدأت.

بعد عودتى من المدرسة اليوم (بعد ثلاثة أيام من كتب الكتاب) رأيت بابا وماما فى انتظارى.

وألقى أبى فى وجهى بالحقيقة الفظيعة.

اسمعى يابنتى احنا بنحبك جدًا وكنا بنتمنى سعادتك، لكن حظك طلع كده واحمدى ربنا إنك حاتعرفى الحقيقة قبل فوات

الأوان وقبل ما تجرجرى وراكى دستة ولاد ويبقى الطلاق مستحيل.

طلاق ايه؟

أيوه لازم يطلقك بكره.. والنهاردة قبل بكره.. إنت مش عارفه إنتى اتجوزتى مين.. إنتى اتجوزتى راجل نصاب محتال حرامى له دوسيه فى البوليس.. مراته الأولانية اتصلت بينا وحكت لنا حكايته كلها.

- مستحيل.. ده كذب.. طبعًا هى متغاظة.. ولازم تشنع عليه.

- إحنا افتكرنا كده فى الأول، لكن هى قالت لنا نمر على المحاضر المحررة له فى النيابة والمباحث عن جرائم سرقة مصاغها ومحاضر تزوير بيع أملاكها وأرضها وتبديد.. إلخ.. إلخ.. إلخ واحنا رحنا بنفسنا وشفنا المحاضر دى. وممكن تتصلى بنفسك بفلان فى (البوليس) وتعرفى منه كل حاجة.

اتصلت فى الحال.. وسمعت الضابط (وهو قريبنا من بعيد) يقول لى وكأنه يعزينى:

- احمدى ربنا يابنتى أننا عرفنا كل حاجة وكشفنا أمره. ده راجل بطال له دوسيه وأرباب سوابق ومجرم خطير.. أنتى بنت كويسة وغلبانه وربنا أنقذك من الراجل ده.. ده راجل محتال. حتى إسأليه، واجهيه بالحقيقة.. وهو مش حايقدر ينكر.

وفعلا واجهته بكل هذه التحريات، واعترف ورأسه فى

الأرض ولكنه قال بصوت متهدج إنه أحبنى، وإن حبه لى كان سيغيره إلى إنسان آخر نظيف لأنى أصبحت كل شىء فى حياته.

وطبعًا الصدمة كانت شديدة جدًا على أعصابى.. فهذا هو زواجى الثانى.. والناس حايقولوا إيه.. طلاق بعد ثلاثة أيام، فيه إيه.. البنت مش بتعمر فى جوازه.. حاتبقى سمعتى زفت لكن مفيش حل.

كان اجماع الكل على أنه لابد من الطلاق فورًا.. ووافق هو ومنذ لحظات اتصل بى بالتليفون وقال لى بصوت باك:

- كده يافاطمة تفرطى فيه بالسهولة دى.. إدينى فرصة، ادينى فرصة أحاول فيها أبقى إنسان كويس.

- معلهش القسمة جت كده.. يمكن تقابل إنسانة غيرى تحبها وتعيش سعيد معاها.

- مش ممكن أحب بعدك حد.. مش ممكن أفكر أتجوز بعدك. أنت أول حب وآخر حب فى حياتى.. أنت حلم.. حلم سعادة قصير مالحقتش أتهنى بيه.

وخنقت أصواتنا الدموع.

وماذا أقول لك.

طلاقى اليوم.. وحبى الوليد لم يمت.. وصوته فى التليفون مازال يجرح قلبى.

وامتحاناتى باقى عليها أسبوع.

ألا يمكن أن يحول الحب الإنسان المجرم إلى إنسان شريف.

فاطمة

* * *

الحب يمكن أن يحول الإنسان المجرم إلى إنسان شريف.

ولكن لابد أن تكون هناك بوادر وبشائر لهذا التحول.. ولابد أن يكون الحب صادقًا وعميقًا ولا ريبة فيه.

وفى حكايتك لا أثر لهذه البشائر والبوادر.

فمن أول لحظة نشعر أننا أمام رجل مستعجل يحاول جاهدًا أن يوقع عقد زواج فى ٢٤ ساعة وكأنه يمارس عملية توريط مريبة يريد أن يتمها فى أسرع وقت.. فهو يلاحقكم بالتليفونات كل ٥ دقائق.

وأنت مبهورة باهتمامه.. معجبة بظرفه وذلاقة لسانه.. وشياكته.

وطبعًا الشياكة وذلاقة اللسان والظرف والبلف والكلام المنمق المزوق هو دائمًا عدة الأونطجى والنصاب.

وأظن واضح دلوقتى أنه لم تكن عنده ذرة صراحة.

رجل له دوسيه فى البوليس وسجل سوابق سرقة وتبديد ونشل.

أفتكر إذا كانت عنده أقل نية فى التوبة والصلاح.. كان لازم

يبدأ حياته الجديدة معك بالكلام بصراحة عن ماضيه وأخطائه. هذه بشائر التوبة وبوادر العودة إلى طريق الصواب.. ودليل احترامه لك ولعلاقته بك وارتباطه فى شركة طول العمر معك أن يبدأ معك على نور. (وقد سبق أن نشرنا اعترافًا لسيدة محترمة بدأت حياتها بالصراحة).

أما كلمات الحب التى ذاب لها فؤادك فيمكنك أن تسمعى أسطوانات منها فى أى سينما بالسيدة زينب فى الأفلام القديمة أم قرش.

والحكاية مش حكاية كلام.

الحكاية حكاية صدق القلب وخلوص النية.

وأنا أبحث عن أى دليل للصدق وخلوص النية فلا أجده.

وطبعًا حكاية الحب الملتهب اللى ينفجر فجأة فى ٢٤ ساعة برضه حكاية مشكوك فيها، وفى النهاية حرمانك الطويل ليس شفيعًا لك بأن تشربى من أى مستنقع.. فالحياة فى عطش أحسن من شرب ماء النار.

وصدقينى، إن الذين يشربون ماء النار يعطشون أكثر.

والطلاق بالرغم من نتائجه السيئة.. أعقل من الاستمرار فى مثل هذا الزواج المريب.. معلهش قسمتك جت كده.

والمرة الجاية حاولى تحكمى على الرجل بطريقة أخرى غير الانبهار بذلاقة اللسان والشياكة.. حاولى أن تعرفى بفطرة المرأة

وبصيرتها ما وراء الكلمات وما وراء الثياب البراقة. ورب رجل صامت يغلب عليه الحياء، أكثر طيبة وأكثر حبًّا من رجل «دحلاب» يجيد صياغة الكلام.

والشخصية والرجولة ليست فى جمال الوجه كما قلت.

ولكنها أيضًا ليست فى الكلام وذلاقة اللسان.

الرجولة فى الصدق والصراحة والإحساس بالمسئولية وتحمل الأعباء ومواجهة الحقيقة حتى ولو كانت مريرة.. الرجولة أمانة وشرف وعمل.. وليست سرقة وتبديدًا واحتيالا.

أطخن طخين فى العيلة!

أكتب لك بعد آخر مشاجرة حدثت.. وأصوات الخناق وظلال الأيدى التى تلوح فى الهواء، والقبضات التى تهدد مازالت تحوم حولى وأنا أكتب.

أنا فتاة فى التاسعة عشرة من عمرى موظفة بإحدى الشركات وأخت لثمانية إخوة حرمتهم الحياة من كلمة «بابا» منذ خمس سنوات وهو تاريخ وفاة عائلنا الوحيد.

توفى والدى بسكتة قلبية وكانت وفاته كالزلزال الذى هدم حياتنا وأحالها إلى كومة من الانقاض والرمال.

بحر حياتنا جف ونور أملنا انطفأ.

لم يبق لجيش اليتامى غير مرتبى الصغير ومرتب أختى الموظفة.

التجأنا بحق الأخوة إلى أخى ليساعدنا فى الحياة ولكنه امتنع بحجة أن مرتبه لا يكاد يكفى احتياجاته.. وتمادى فى العناد واستقال من عمله بحجة أنه يتقاضى منه ملاليم لا تستحق العناء فى سبيلها، والحقيقة أنها لم تكن ملاليم كما يتصور ولو أنه اشترك

معنا بجزء ضئيل منها لأمكن لنا أن نعيش مستورين.. لكنه كان عنيدًا ولم يلن قلبه لتوسلاتنا.

ستقول لى إن مرتبك ومرتب أختك يمكن أن يجعلكم تعيشون فى رغد.. ولكن أبى مات ولم يترك لنا سوى دين كبير لا نزال نسدد فيه من مرتبنا.. وأخى بدأت مطالبه تكثر وبدأ يبتز من أمى النقود بكل وسيلة.. بالتهديد وبالوعيد والخناق فإن أخبرته بأنها لا تملك ما يسد أفواه هذا الجيش من اليتامى.. وأنها باعت مصاغها لآخر قطعة، انهال عليها يشتمها ويسبها ويلعن اليوم الأسود الذى رآها فيه.. وتصمت أمى لكى تدع الزوبعة تمر.

وبدأ أخى يرسل إخوتى إلى الجيران ليطلبوا منهم النقود بالسلف ويلقنهم أن يقولوا لكل من يلقونه.. «أمى بتسلم عليك وبتقول لك والنبى تدينا نص جنيه سلف لبكره».

وتفاجأ والدتى بالجيران يدقون الباب ويطالبون بنقودهم التى استلفتها.. فتقضى ليلها ساهرة تبكى.

جاء بعض أقاربنا ليعتبوا عليه ويحاولوا رده إلى عقله ولكنه صرخ «أنا مايهمنيش أطخن طخين فى العيلة».. ثم ترك المنزل وسافر إلى القاهرة «طفشانا».

وكانت هذه الحادثة كفيلة بأن تسقط أمى طريحة الفراش مريضة تهذى طول الليل باسمه وإخوتى حولها والدموع فى عيونهم، وهى تهتف.. فين أنت ياضنايا.. سامحنى.. ارجع لإخواتك

اليتامى المحتاجين لرعايتك وحنانك.

وسافر بعض أقاربنا وبحثوا عنه وأقنعوه بالعودة.

وعاد ودموع الندم تسبقه.. وانهال على يد أمى يقبلها حينما رأى حالها فى غيابه، ولكنه مالبث أن عاد إلى طبيعته.. السهر كل ليلة مع إخوان السوء وشرب السجائر بشراهة والسكر وابتزاز المال بكل وسيلة.. وملاحقة أمى بالتهديد لتذعن لمطالبه.

وفى إحدى المرات تجاوز الحدود فضربها وصفعها، تصور.. يفعل هذا مع أمه المسكينة أم اليتامى المكافحة التى تنهض من الفجر لتغسل له ثيابه وثياب إخوته الصغار وتطهو له طعامه بيديها.

لقد أصبحنا حكاية فى فم الجيران.

وكل من يرانا يتحسر على أسرة كانت تعيش فى ستر وسعادة فى ظل عائلها ثم أصبحت بعد موته تعيش فى نكبات متوالية.

لا تقل لى إن الحل أن يترك أخوك المنزل فنحن ووالدتى نحبه من كل قلوبنا ولا نستطيع أن نفترق عنه.

إن أخى - ولتعجب حينما أقول لك - قلبه طيب ومسكين. وفى تلك الحادثة حينما ضرب أمى فوجئت به وأنا أدخل الغرفة يجلس وحيدًا (ولم يشعر بوجودى) يبكى بحرقة كالطفل الصغير ويهذى ويقول.. إنكم جميعا تكرهوننى.. كل إخوتى يكرهوننى. حتى أمى لا تعطينى الحنان.. اللهم اجعل قلبى حنونًا عليهم

لأمنحهم الحنان والحب الذى حرموا منه.. «عمرى مالقيت كلمة حنان من حد يارب.. يارب حنن قلوبهم علىّ».

وخرجت كما دخلت بدون أن يشعر بى.

لقد بدأنا نكرهه لتلك الأعمال التى نراها منه ولكنى أرجع وأقول وربنا يعلم أننا نحبه كثيرًا.. فكيف يعتقد غير ذلك.

إنى حينما أسير فى الطريق تنهال دموعى من غير ما أشعر كلما فكرت فيه.. وفى وحدتى كل ليلة أصلى من أجله وأدعو له بالهداية والتوفيق.. وفى أحلامى أراه أسعد الناس.. وإخوتى يذهبون إلى الامتحان كل يوم وآثار الدموع فى عيونهم.. وكلهم يحبونه ولا ينامون الليل إذا غاب عنهم.. ولكن أفعاله لا تدع لأحد فرصة لكى يعبر له عن حبه.

إن عقلى يشرد بعيدًا ويهتف دائمًا فى تعاسة.. أبى قم من قبرك لترانا وترى ما صارت إليه حياتنا السعيدة.. قم لترى أسرتك تعيش فى عذاب وشقاء من بعدك.

إنى مؤمنة بقضاء الله.. ولكنى لا أحب أن أقف مكتوفة اليدين أمام ما نزل بنا من بلاء وأريد أن أعيد إلى أخى ثقته بنفسه وإيمانه بنا وبحبنا فنحن بدونه لا حياة لنا وهو أملنا الباقى بعد أبينا.

ومن توفيق الله أنه وجد عملا عند مقاول.. وأن أحوالنا يمكن أن تنصلح لو صفت النوايا والقلوب.

وما أحوجنا إلى صفاء النوايا والقلوب.

س السويس

* * *

إن النوايا لا تكفى.

وإضمار الحب لا يكفى.. وإنما لابد من إظهاره.

وأخوك يتعذب بفكرة وهمية: إنه مكروه لا أحد يحبه ولا أحد يعطف عليه.. وهى فكرة سوف تزول ولا شك حينما يقرأ فى كلامك ما تكنينه من حب له.. والقلوب الطيبة الأصيلة تحركها المعاملة الطيبة ويثيرها الحنان.

حاولى أن تقتربى من أخيك فى محاولة مخلصة لمعونته وتفهمه لا تلقى إليه بموعظة أو نصيحة.. ولكن قدمى له هدية.. علبة كروت بها مجموعة كروت باسمه وهى لن تكلفك كثيرًا.. ولكنها سوف تكون برهان محبة وسوف يردها لك بأحسن منها.

وهو بالمثل يفهم أن الحب لا يكون بإضمار الحب ولكن بإظهاره فى المعاملة الحسنة وفى الاشتراك المادى فى المعونة والاحتياجات اليومية.

والاشتراك فى الأعباء رجولة.

والله يعطينا بقدر ما يعطى بعضنا بعضًا.

وسوف ينفتح عليه باب الرزق إذا أشرك الآخرين فى رزقه وخيراته.

والحاجة تفتق الحيلة.. أما السلف فإنه لا يفتح الباب لأى خير وإنما على العكس يفتح الباب على الاحتيال.

وإذا كان يريد أن يشعر بأمومة أمه فلابد أن يشعر أولا بالبنوة الصالحة.

وإذا كان يريد أن يشعر بحب الإخوة فلابد أن يكون الأخ المحب أولا.

العواطف لا تكون بأن نضمرها وإنما بأن نظهرها.. وهو ولى الأمر.. والقدوة.. والمثل.. وأنا متفائل.. فهناك رائحة طيبة وأصالة فى كلامك.. وأخوك إنسان طيب برغم ما بدر منه.

وسوف تتصلح الأحوال حينما تتضافر جهودكم كلكم.

وإن الواحد ليفتخر بأن تكون له أخت مثلك.. عواطفها فى نضارة عواطفك.. وقلبها فى طيبة قلبك.

وأخوك لن تفوته فرصة هذه المحبة.. ولا يمكن أن يخنقها فى مهدها.

الحب والضرب

نشأت فى بيئة متدينة محافظة فى بلد صغير بالصعيد.

والدى كان موظفًا فى شركة بالمركز.

وعقلى كان مقفلا مثل بيئتنا المقفلة وقلبى كان هو الآخر مقفلا.

ولكنى اضطررت إلى الخروج من هذه الدائرة وأنا فى الثالثة عشرة حينما دخلت المدرسة الثانوية.. وكان ذلك يستدعى السفر كل يوم لأذهب إلى المدرسة.

وتعرفت عليها.. كانت أكبر منى بكثير وكانت تتردد على المدرسة لقضاء الوقت وعرفتنى بأخيها الذى كان السبب فى كل المصائب.

كان أخوها هو أول رجل خارج العائلة أضع عينى عليه.

وكان بالنسبة لعقلى المحدود شيئًا باهرًا.

وتصورت أنه فارسى المنتظر ورجل أحلامى.

وتعلقت به.. أحببته وجننت به وخيل إلىّ أنه أعظم رجل فى

الدنيا.. عقل عيال.. إنت لك حق لما بتقول إن الحب فى هذه السن المبكرة كلام فارغ.. ففى هذه السن لا يكون الحب حبًا وإنما يكون خيالا.

نعم كانت الصورة التى أحببته بها صورة من صنع أوهامى وخيالى.

كنت أحلم بكل خيالى المكبوت.

وكنت أفكر بخبرتى المحدودة.. وأتصور أشياء لا وجود لها إلا فى عقلى.

نعم أنا الآن أؤكد لكل بنت أن الحب الأول وخصوصًا فى سنوات المراهقة كلام فارغ.

ولكنى ساعتها لم أكن أعلم أنى أنسج بعواطفى كلامًا فارغًا.

كان يخطبنى من أهلى (ومصيبة الحب فى هذه السن حينما ينقلب إلى حقيقة تطالب بمكان لها فى الواقع).

وقال أهلى إنه لا يصلح.

وقلت أنا إنه يصلح.. وبكيت وتشنجت ومزقت شعرى وطبعًا أذعن الأهل فى النهاية.. (وليتهم ضربونى علقة وعلمونى الأدب).

وتم الزواج.

ودخلت عش الجنة.

وكالعادة فى مثل هذه الأحوال لم تتحمل عواطفنا الواهمة الامتحان.

وبعد أيام قليلة كان الملل والسأم قد بدأ يبدد الأحلام ويكشف من دخائل النفوس الحقيقية.. وهو يصحو كل يوم ليشتم بدون مناسبة.

يعنى أبوكى مش بيسأل عنك بمليم.

يعنى أمك مابتدخلش عليك بخيارة فى أيدها.

واتضح بعد الزواج أن كل إيراده ٣٧ جنيهًا لا يحتكم على سواها.

واتضح أنه كان يتصور أن بابا سوف يرسل لنا كل شهر خمسين جنيهًا. وأن أمى سوف تملأ البيت بالدجاج والبط والسمن والأرز وكافة لوازم الخزين.. وأنه سوف يسحب من الوكالة كما يريد.

فلما لم يجد الوكالة السايبة التى كان يتوقعها.. ظهرت أخلاقه على حقيقتها.. شتيمة وقلة أدب وضرب.. وضرب إيه، ضرب محترم (فقد كان يلعب ملاكمة سابقًا).

نهايته أخذت فوق دماغى ولم أخبر أهلى بشىء.. فقد كانت الشورة شورتى والجلب جلبى.. ولو كنت فتحت فمى لانهالوا علىّ هم الآخرون باللوم والتقريع.. وحالاقيها منين والا منين.

وصبرت.. واستحملت.. وعشت معاه على قد حاله وأنا راضية وأتمنى رضاه بأى طريقة.

وكل ده ومش عاجب.

وساق هو فى طولة اللسان وطولة اليد وطولة الرجل حتى كسر ذراعى فى إحدى المرات، وفاض بى الكيل وانتهزت فرصة نزوله للشغل وكلمت أبى فى التليفون وهددته بالانتحار إذا لم يأخذنى من الجحيم الذى وضعت نفسى فيه.. وبكيت وصرخت. قلت له إنه بيضربنى وإنه كسر ذراعى وإنه بيهددنى أنه حايتجوز علىّ بالشبكة بتاعتى (وكان قد أخذها وأخفاها).

وهكذا خرجت من البيت وأنا أقرأ الشهادتين وأقبل يد أبى ورأس أمى وألعن الحب وجراير الحب.

وحينما تزوجت كنت قد تركت المدرسة.. (وكنت راسبة ثانوية عامة).. فأعدت قيدى والتحاقى وبذلت كل ما أستطيع من جهد فى المذاكرة (ولك أن تتصور مدى الكفاح الذى كافحته وقد أصبحت أمًّا لطفلة ترضع وتعوى).

وكل يوم مجلس صلح حتى يوم الامتحان وأنا أرفض.

ونجحت والتحقت بالكلية التى كنت أحلم بها وأصبح مستقبلى هو كل حياتى.

وفجأة وجدت إعلانًا من المحكمة يطلبنى فى بيت الطاعة.

وطبعًا ركبى سابت واستولى علىّ الذعر.

وحكمت له المحكمة بالطاعة وجاء يطلب الصلح بالذوق وبالتى هى أحسن.

وخوفًا من البهدلة وتحت ضغط الجميع وافقت وأمرى إلى الله.

ورجعت وأقمت عند أهله لأن أحواله المادية لا تسمح له بفتح بيت وقبلت لما وجدت عنده من استعداد لإصلاح معاملته.. وفعلا بقى كويس جدًا لمدة شهر.. وبعد كده رجع لعوايده.. ضرب وشتيمة وأنا أعصابى تلفت.. كل يوم رايحة الكلية.. مفيش كلية.. مفيش عندى واحدة تروح كلية تتمرقع بين التلامذه.. أحاول أن أدافع عن نفسى يصرخ قائلا: مفيش ولا كلمة.. أنت خدامة فى البيت مش أفوكاتو.. وطبعًا أمه قالت الكلمتين إللى ربنا قدرها عليهم.. وأخته كملت على بقيتى.

طيب طلقنى.

مفيش طلاق.. بعينك الطلاق.. أنت تعيشى زى الكلبة.. وغصب عنك، وحكم الطاعة على دماغك.

أخذت الدش ولم أرد بكلمة واحدة فقط سقط من عينى إلى الأبد.

احتقرته وكرهته كما لم أكرهه طول عمرى.

نهايته طفشت تانى لبيت أهلى، وأخذت البنت وعدت إلى الكلية وقد صممت هذه المرة على الانفصال النهائى بأى ثمن.

ساومنى على الطلاق فى مقابل مبلغ أدفعه يعوضه عن المهر والشبكة والفضائح (ليه ياناس هو كان متجوز رقاصة، والفضايح لمين؟ له.. والا لى أنا اللى حبقى مطلقة وعلى كتفى بنت).

ومين اللى بيصرخ بأعلى صوته.. عاوز فلوس، هاتى لى

فلوس.. هاتيلى من أبوكى.. من أمك.. من الشارع.. امشى على كيفك.. بس عاوز فلوس.

أنا لم أتزوج رجلا.

وهذه المرة لن أعود.. ولو رفع سوط الطاعة على رقبتى.

لن أعيش معه يومًا واحدًا.

سوف أكمل دراستى وأتحرر من الذل والعبودية والحاجة إلى من يستغلنى.

أعصابى تلفت.

لا أتصور أن يجرجرنى جندى بوليس من الكلية إلى بيت الطاعة لأعيش مع رجل تنقصه كل مقومات الرجولة.

خذ بيدى.. انصحنى.

المعذبة

ص. ع

* * *

عودتك إلى الدراسة ونجاحك ودخولك الكلية التى اخترتها الرغم من كل هذه الزوابع حولك تدل على شخصية وإرادة وخصائص نفسية نادرة.

اطردى الخوف واثبتى على موقفك.

وحتى لو طلبك فى الطاعة.. بإمكانك أن تحصلى على حكم

بالطلاق منه.. وسوف يقف القاضى فى صفك حينما يعلم بظروفك.

إن خضوعك للظلم مناصرة للظلم ومناصرة للظالم.

ويقينى أن شخصيتك القوية سوف تنجو بك من البلاء الذى وقعت فيه.

حول الشباشب والمثل العليا

مشكلتى باختصار شديد أنى زوجة فى التاسعة والعشرين، عصرية متعلمة تعليمًا جامعيًا، متوازنة إلى حد ما.. لى بيت جميل أنيق.. زوجى فى الأربعين يشغل منصبًا محترمًا أكثر منى اتزانًا وهدوءًا أنجبنا ولدًا وبنتًا.

أشرف على نظافة بيتى بنفسى وأهتم بتعليم أولادى وأذاكر لهم دروسهم.. أسهر على راحة زوجى.. والنتيجة أسرة سعيدة هادئة.. سوف تسألنى.. أين المشكلة؟

المشكلة فى زوجى.. وفى معاملته لى.. فى كل مناقشة بحق وبدون حق يسفه آرائى ويسخف أفكارى ولايتركنى حتى أشعر أنى مخطئة قليلة العقل، وأن حكمه هو الحكم العادل الذى لايخطئ فإذا حاولت الدفاع عن نفسى احتد فى كلامه ثم بدأ يشتم ويسب وينهال على سمعى بأقذع الكلام، وتنتهى المناقشة بخصام وبوز شبرين وسهر فى الخارج ورفض للطعام وحرق سجاير سيجارة وراء سيجارة ويظل على خصامه وبوزه حتى أبدأ أنا.. وأنا بالذات.. فى مصالحته، ومعلهش.. أنا غلطانة.. أنا مش فاهمة.. أنا قليلة العقل.. لازم اتمسح به مثل القطط لأرضى رجولته.. هنا فقط يعود السلام والوئام إلى البيت.

ولكنى أؤمن بأسلوب آخر اسمه الاحترام المتبادل وديمقراطية الرأى وخصوصًا بين زوجين عصريين متعلمين.

وأعتقد أن الخلاف هو المحك الذى تظهر عليه أخلاق الزوجين على حقيقتها.

قلت له هذا ألف مرة.. وكان فى كل مرة يحتد ويشتم..

كنت أضع فى حسابى أنه وحيد والدته.. وأنه متدلع.. ولكن استسلامى له جعل حاله يسوء مرة بعد مرة.. يفقد أعصابه فى أتفه نقاش ويشتم ويسب.

لو أنه قال لى مرة معلهش.. وطبطب علىّ.. وأشعرنى بحنانه. كانت المشكلة انتهت.. ولكنه جعل الكبرياء دائمًا من حقه والتذلل من نصيبى حتى ولو كان هو المخطئ.. أنا اللى أقول له معلهش سامحنى.

وأخيرًا أصبح يهددنى بالطلاق.. بمناسبة وبدون مناسبة يقول لى أطلقك بالتلاتة.

الطلاق كلمة كبيرة ما يصحش تطلع منك بالسهولة دى.. لنا طفلين بيسمعوا كلامك.. مش كويس.. صلب العلاقة الزوجية وقداسة الرباط الزوجى يجب أن يظل بعيدًا عن هذه المشاحنات اليومية، لأنه مقدس مثل الدين والإيمان.. إذ انهار انتهى بانهياره

الأمان وخرب البيت بدون طلاق وبدون فراق.. ينفجر ثائرًا ليقول لى.. إنتى فاكرة نفسك إيه.. انتى حاتقفى تترافعى. انتى حاتعلمينى الواجب.. إنتى فاكرة نفسك بتفهمى.. إنتى أكبر حمارة.. إنتى تخرسى.. إنتى تسمعى كلامى وإنتى ساكتة زى الكلبة.

لكن أنا مش كلبة ولا حمارة.. أنا بنى آدم.. ومش ممكن حياة بين بنى آدمين تبقى عبارة عن الأكل والشرب والنوم والخناق وبس.

حقيقى هو بيدينى كل فلوسه.. وكل طلباتى بيجيبها ما بيهونش عليه طلب يطلبه الأولاد.. أو حاجة أقول له أنا نفسى فيها.. كل شقاه لنا.. لكن عيبه الوحيد معاملته.

نفسى مرة يقول لى تعالى نتمشى على الكورنيش، مش عايزاه يأخذنى فى تاكسى ولا يقعدنى فى كازينو.. لكن يتمشى معايا ايده فى ايدى.. نتكلم كلام حلو ونقزقز لب.. ونقعد على دكة ناكل ساندويتش.. يوم واحد فى الأسبوع نقضيه فى جنينة نضحك ونجدد عواطفنا.

قلت كده مرة.. ثار.. وقال لى إيه شغل العيال ده.. سمعتى الكلام ده فى أى سينما.

وكلمة منه وكلمة منى انفعل جدًا وتهور وشتم.. تصور. وقلع الشبشب من رجله ونزل على دماغى.. ساعتها والأولاد صرخوا

لا يا بابى.. بلاش يا بابى بلاش.. ودارت الدنيا بى وتبخر كل حب فى قلبى وشعرت بنفسى أموت.. منظره وهو واقف هكذا عارى القدم والشبشب فى يده.. وسحنته مقلوبة.. شىء فظيع.

ودعك من التفاصيل.. شىء فى قلبى انكسر.. شىء فى روحى تحطم.. انهارت مثلى.. والقيم التى عشت بها وتربيت عليها أغلقت فمى.. لم أتكلم.. خرست.

وطبعًا هو أفاق على الشبشب فى يده.. وأصابه الذهول.. كيف ضربنى.. وحاول أن يعتذر.. ولم يجد كلامًا يقوله وأنا لم أجد عندى كلامًا أرد به.. وخيم الصمت.. لا كلام ولا سلام.. انصرف عن الطعام كالعادة.. ولكنى هذه المرة لم أهتم.. غطست عامت لا أهمية عندى.. اللى يعمله يعمله.

وتم الصلح التقليدى بواسطة أخته.. لأول مرة يطلب المعونة من الخارج. لو أنه لجأ إلىّ وطبطب علىّ ساعتها وقال لى تنقطع إيدى يمكن كان كل شىء اتصلح. لكن الاعتذار حينما يتأخر عن وقته ويأتى باردًا بلا روح فإنه لا يغنى.

المهم عادت حياتنا.. ولكن ظل ينقصها دائمًا شىء.. علاقتى به أصبحت عادية.. ولكن لا علاقات خاصة بتاتًا.. هو يحترم حزنى ولا يحاول أن يأخذ منى شيئًا بالقوة.. ونحن زوجان أمام الناس فقط.

واستمر الحال شهرًا.. شهرين.

وكاد قلبى غضب عنى يصفو.

كنت أفكر دائماً فى الأولاد.. ماذا يكون مصيرهم لو أنهم كبروا فى هذا الجو من النفور والخصام، وتربوا فى بيت يفتقر إلى الحنان.

لكن أسامحه ازاى. حايسوق فيها.

وأنا إنسانة حساسة مرهفة الأعصاب تربيت فى بيت يسوده الوئام والاحترام.. ولى قيم ومثل عليا.

وكل هذا ينتهى إلى الضرب بالشبشب.

هل يمكن أن يحدث هذا فى أى بيت فيه ناس متربيين مثقفين جامعيين.

أنا محتارة.. أعمل إيه.

أنا تحطمت تماماً.. ولكنى أحب بيتى.. ولكن ليس بأى ثمن.

نوسة

* * *

بينى وبينك يا نوسة حكاية الشباشب دى منتشرة أوى فى البيوت المصرية.. وبالذات فى بيوت المتربيين والمثقفين والجامعيين.. والظاهر أنك ما عندكيش فكرة.

لا تظنى أننى أضحك.. ولكنى صدقينى الشباشب كعصا موسى لها عندنا مآرب أخرى وهى أحياناً تنزل على رأس الزوج

وأحياناً على رأس الزوجة.. وأحياناً بالعدل والقسطاس على رأس الاثنين.. وهذا لا يدل أبداً على رخص الزوجات.. بقدر ما يدل على غلاوة الشباشب.. وأنتى عارفة أسامى الدلع التى تطلق على الشباشب.. عارفة شبشب «زنوبة» وشبشب «شادية» وهى أسامى تدل على التدليل والغلاوة.. وصدقينى لا توجد علاقة إطلاقاً بين الشباشب والمثل العليا وأصحاب المثل العليا قد يتقاذفون بالشباشب فى ساعة يتحكم فيها الشيطان بدون أن يحدث أى شىء للمثل العليا أو القيم.

أنت مخطئة تماماً فى الربط بين الشباشب والمبادئ.. طبعاً أنا لا يمكن أن أدافع عن الضرب بالشبشب كأداة لإبداء الرأى فى الحياة الزوجية.. ولكن إذا حدث «وهو يحدث كثيراً فى حياتنا» فليس معناه أن المثل العليا انهارت والقيم انتهت والخير لم يعد له وجود فى الدنيا والحياة أصبحت قطران وجحيم.. والموت أحسن إلى آخر هذه الانفعالات الرومانتيكية المبالغ فيها.. أبداً.. لا يجب أن يزيد تقدير المسألة عن كونها لحظة تهور واندفاع.. وشكراً لله الشبشب كان أقرب شىء إلى اليد.. فهو سلاح مأمون طرى لا ضرر منه.. وهو لا يجرح الكرامة جراحاً قاتلة كما تصورت فالمسألة مسألة تعود.. وقبلة على الخد بعد الشبشب.. وسينما سواريه آخر الليلة وحتة بسبوسة تاكلوها سوا فى الشارع وانتوا راجعين.. وحايبقى ضرب الحبيب زى أكل الزبيب.. المشكلة إذن مش مشكلة شبشب.. وإنما المشكلة فى جفاف زوجك

وفى عنجهيته، وفى غرامه بالعنطزة والشخط والنطر، وفى شعوره
بأن كلامه لا مراجعة فيه وأنه على حق مهما فعل.. فالدور عليك
دائمًا.. وهى عقلية رجال زمان.. عقلية غلط طبعًا ولكن للأسف
ما زالت عقلية ٩٠ ٪ من رجالنا (السيد عبد الجواد فى بين
القصرين)..

وهو قطعًا يحبك ويموت فيك بدليل أنه يعطيك كل فلوسه
وعرقه وشقاه ويلبى أى طلب من مطالبك.. ولكنه «عقد» زى
ما قلت لك.. وهو يتصرف بسلوكية موروثة عن الآباء والأجداد.

والحل الأمثل لتستقيم الحياة فى البيوت ويتحقق أكبر قدر من
الوفاق أن تتغير هذه العقلية.. ويسود الاحترام المتبادل كما تقولين
ولكن إذا تعذر هذا.. وخصوصًا أنها مسألة طباع وتربية وعقلية
ربما احتاجت إلى أكثر من جيل لتتطور. أقول إنه إذا تعذر أن
يتغير رجلك بين يوم وليلة وهو متعذر، فعليك أنت أن تكونى
الطرف الذكى الذى يعرف كيف يتجنب الريح.. وكيف يلاين
ويسايس.. خصوصًا وأن الحب وهو ما يهمك موجود وهو ملء
قلب زوجك. ولكن المشكلة أنه لا يجيد التعبير عن حبه.

كل ما يبقى إذن هى الشكليات.

فى بيتك الحب والزواج والأولاد.. ولكن فى ثوب خشن بدائى
من الشكليات الموروثة.. المشكلة فى صميمها مشكلة ثانوية تحلها
السياسة والكياسة والملاينة.

وإذا درست زوجك فسوف تستطيعين الوصول إلى قلبه
وارضائه بسهولة.. بل بأتفه السبل.. امنحيه الشعور بالسيادة ولو
بكلمة فاضية وسوف يطير من الفرح ويصبح أطوع لك من
بناتك بل سوف يضرب نفسه بالشبشب ويقول لك أنا إللى
استحق آخد من ده.

والحياة فن.

والفن هو أن نجعل الشباشب فى خدمة المبادئ.

صراع..

بعد تردد طويل وحيرة بالغة أكتب إليك.

أنا فتاة فى الثانية والعشرين أو على الأصح سأبلغها بعد قليل عرفت القلق والعذاب وتأنيب الضمير منذ كنت فى الخامسة أو السادسة لا أذكر.. وكان هذا عندما حاول طفل يكبرنى حوالى ٥ سنوات أن يمارس معى لعبة الجنس.. وقتها كنت لا أخرج وحدى مطلقًا ولم يكن أبى يسمح لى باللعب فى الشارع فقد كنت ابنة الأسرة المدللة برغم وجود أطفال غيرى.. لكن الأقدار شاءت أن أنزل فى هذا اليوم لأشترى حلوى من أمام المنزل.. وحدث ما حدث فى مكان مظلم بفناء المنزل.. وأنا بالطبع لا أذكر التفاصيل ولكن ما أذكره أنى بكيت كثيرًا وتمنيت لو استطعت إخبار أمى ولكننى كنت خائفة وبت أشعر أنى أصبحت أختلف عن كل الفتيات.

وجاءت المراهقة.. وجاءت معها بنوبات عصبية تنتابنى بين حين وآخر. يسخن جسمى وترتعش أطرافى وتنتابنى آلام شديدة وأظل فى فراشى كالمحمومة حتى تنتهى النوبة.. وكانت تأتينى

النوبة أحيانًا وأنا فى المدرسة.. وكانت تضنينى الآلام المبرحة فأظل أهز ساقى وكأنى أركب دراجة.. وأصبحت زميلاتى يعرفن عنى تلك العادة ويضحكن علىّ.. وكنت اتعذب.. وكان عذابى يؤدى بى إلى الانطواء والعزلة.

ولكنى ظللت أقاوم وأكافح.. وبمرور الوقت بدأت أسيطر على تلك النوبات وأتغلب عليها بالإرادة.

وحينما دخلت المدرسة الثانوية كنت قد تغلبت على هذا الداء وبدأت أتحرر.. وبدأت أخرج من شخصيتى المنطوية وأتحول إلى فتاة مرحة تحب الغناء والرقص وتقرأ كثيرًا وتنجح باستمرار وبتفوق.. أذكر فى تلك الأيام أنى أحببت طالبة زميلة لى كانت دميمة وبها عاهة وكانت من الأوائل.. وتحول حبى بها إلى هيام وتعلق غير طبيعى كنت أخجل منه.. وبلغ من حبى لها أن حاولت الانتحار حينما رسبت فى مادة خوفًا من أن أبدو أمامها بليدة راسبة وكانت تكره كل من يرسب ويتخلف.. وأيامها كنت أغرق عذابى فى الصلاة والتعبد وأقاوم عاطفتى الشاذة وأحارب ضعفى وانحرافى.

وانتهت الأزمة بسلام وانتصرت على نفسى بعد طول جهاد.. وانتقلت إلى السنة الثانية وابتعدت عن صاحبتى ونسيتها.. بل إنى أصبحت أضحك على نفسى وعليها وعلى عواطفى البلهاء.. بعد هذا أذكر أنى بدأت أعجب بممثل مسرحى رأيته مرة واحدة

وكلمته وطبعًا كما حدث مع زميلتى أحسست أنى أحب هذا الممثل وأعبده وما كادت السنة الدراسية تنتهى حتى نسيته تمامًا ولم أعد أشعر بوجوده.

وبعد هذا بدأت قصة لى مع جار يسكن بمنزلنا.. كان طالبًا من بلد عربى ظل يطاردنى بالخطابات والأشعار والتوسلات.. ثم تعرف بالعائلة وبدأ يتردد علينا ليعطينا دروسًا وتوثقت علاقتنا، ثم خطبنى.. وحدث بعد هذا أن ذهبت إلى كليته وسألت عنه فاكتشفت أنه راسب بشناعة فى جميع العلوم.. وأنه يرسب كل سنة.. وأنه مرفود.. واكتشفت بعد هذا أنه كذاب محترف، وأنه كذب علينا فى كل شىء، وبدأت أشعر أنه سخيف ومدع وفقدت كل عاطفة نحوه وفسخت الخطبة.. وفى هذا العام رسبت ومرضت وأجريت لى عملية جراحية وانحدرت نفسيتى إلى حالة تعيسة من السوء كنت أقف طويلاً أمام المرآة وألاحظ أن حجم صدرى ضئيل برغم جسدى الممتلئ وأشعر أن الانوثة تنقصنى، وكنت أختار أكبر أحجام السوتيانات لألبسها ولا أكتفى بهذا بل أضع قطعًا من القطن ليزداد حجم صدرى.. وطبعًا لم يكن أحد يلاحظ هذا.. وكان كل من يرانى يقول عنى آخر أنوثة وآخر جمال.. ولكنى كنت أتعذب وأشعر أن الجميع مخدوعون فى جمالى.. وأنى لا أساوى شيئًا.. وشمل الاضطراب حياتى.. لدرجة جعلتنى انحدر إلى حالة من الطيش والحماقة فأغازل أحد أقربائى.. ولد فاشل مسبسب.. وأترك له نفسى يحتضنى ويقبلنى بدون رغبة

وبدون حب لمجرد التسلية وكمحاولة لإغراق همومى وآلامى.. وطبعًا كانت حكاية منفرة جدًّا لدرجة أثارت اشمئزازى واحتقارى لنفسى.. ولدرجة أنى أفقت تمامًا وعدت إلى صوابى واعتصمت بالله وتبت واستغفرت ولم أعد إلى مثل هذا العمل.

وبعد ذلك دخلت الكلية بقلب كسير ونفس مثقلة وبدأت أتردد على طبيب أعصاب قال لى علاجى فى النجاح.

وحاولت أن أغرق همومى فى الكتاب.. وأشغل نفسى بالمذاكرة.

ثم التقيت به.. رجل غير كل من عرفتهم.. معتد بنفسه لدرجة الغرور.. قوى الشخصية متفوق فى دراسته رزين ناضج جذاب شائق الحديث.. كان يشجعنى على المذاكرة.. ويبث فى نفسى التفاؤل.

وبدأت أحس بعاطفة من نوع جديد.. كنت أشعر بالراحة وأنا معه.

ونمت علاقتنا وتحولت إلى حب عميق متبادل.

ثم حدث مصادفة أن عثر فى أجندة قديمة على سطور كنت قد كتبتها لحبيبى الأول الذى كنت مخطوبة له.. وكانت سطورًا تنبض حبًّا وشاعرية.

وفجأة تحول العاشق الهادئ إلى رجل مجنون غيور يطاردنى بالأسئلة وتحولت لقاءاتنا إلى محاكمات سخيفة لا تنتهى وفى كل

مرة يطلب منى أن أحلف ألف يمين أنى لم أحب أحدًا كما أحببته.. وأن أحدًا لم يقبلنى وأن أحدًا لم يمسك يدى.. إلخ.. إلخ..

وكنت أشعر بالإشفاق عليه.. وأعذره.. وأحاول أن أترضاه.. وكان فى نوبات جنونه يهجم على محاولاً أن يقبلنى بعنف.. فأرده فى غلظة.. فيثور ويصفعنى ثم يعود فيعتذر.. ويقول لى.. كيف يكون هناك حب بدون قبلات.. لا بد أنى لا أحبه، وأنا أعترف بأن مشاعرى أصبحت متناقضة.. أشعر أحيانًا أنه كل حياتى، وأحيانًا أخرى أشعر أنى واهمة وأن ظروفى ومتاعبى النفسية هى التى تجعلنى أتعلق به لأشعر بالطمأنينة وأغالب الوحدة والشعور بالنقص.

أحس فى قرارة نفسى أنه لن يتزوجنى حتى ولو كان يحبنى، لا أدرى لماذا أحس بهذا.

أصبحت أكره نفسى وأكره حياتى.

حولى الكتب لا استطيع أن أفتحها وقد نجحت فى العام الماضى بتقديرات لا بأس بها برغم كل الظروف.. ولكنى أريد أن أنجح هذا العام نجاحًا مشرفًا.. أعيش فى عذاب لا حدود له.

ماذا أفعل..؟

الحائرة م. أ

القاهرة

* * *

رسالتك تدل على يقظة عقلية وفطنة نفسية وحساسية شديدة ونمو فى الشخصية حدث عبر صراعات دامية وعقد وأزمات.

وأنت قد توصلت إلى مفاتيح مشكلتك.. فما بينك وبين صاحبك ليس حبًّا.. وهو لن يتزوجك مهما بلغ به الوجد فهو ليس أكثر من وحش جريح جرحه اكتشافه أنه كان الرجل الثانى فى حياتك، كل ما يسعى إليه هو أن يجرحك كما جرحته ثم يتركك.. كما أن ما تشعرين به ليس حبًّا إنما هو الوهم الذى تغالبين به ظروفك ومتاعبك النفسية بحثًا وراء الطمأنينة ومغالبة للوحدة والشعور بالنقص كما قلت.. وهى الدوافع التى ألقت بك فى سبيل العلاقات التى تورطت فيها علاقة بعد أخرى.

وقد آن الأوان لشخصيتك أن تتكامل وتندمل جروحها وندوبها، وآن لك أن ترفضى هذه الوسائل المريضة. فأنت أقوى مما تتصورين بكثير.. وحياتك كلها انتصارات على نفسك وعلى ضعفك.

اقطعى علاقتك بالرجل.. ولا تتورطى فى أية علاقة أخرى.

واخلعى السوتيان الكبير وألقى بقطع القطن.. وتذكرى أن الصدر الصغير جميل يوحى بأنوثة مهذبة.. وأن الصدر الكبير على العكس يجعل المرأة تبدو كالبقرة.

وعقيدتى أنك سوف تتغلبين على ضعفك وسيكون لك فى يوم من الأيام شأن عظيم.

نهاية القطة والكتكوتة

كنا خمسة أولاد لأسرة فقيرة.. عائلها رجل عامل يكدح بيده.

وبرغم ذلك فقد بذل ذلك الأب المكافح الطيب كل جهده وربانا نحن الثلاثة الذكور فى الجامعة حتى تخرج أكبرنا الطبيب.. والأخت الصغرى أدخلها المدرسة الثانوية والأخت الكبرى زوجها.. وكانت نتيجة هذا الكفاح المر والتضحية المستمرة أن مرض بأعصابه.. فأصبح يتهيج ويثور لأقل سبب.. ثم حاول أن يجد العلاج فى الخضوع لتصاريف الدنيا.. وزى ما ترسى دق لها.. فهذا على الأقل أفضل من الجنون.. وهكذا انتهى أمر قيادة البيت إلى يد الأم الجاهلة.. وليس الأمر أمر الجهل وحده.. وإنما هو جهل وسيطرة وسوء إدارة وسوء تقدير وسوء تربية.

وكانت ضحية هذه السلطة الجديدة الغبية هى البنت الصغرى فقد احتضنتها الأم ودللتها.. كل ما تطلبه يجاب فى الحال.. بنتى الحلوة الكتكوتة.. القطة.. وهى قطة بالفعل وحلوة بالفعل وهذا جعل الضرر مضاعفًا.. كل يومها تقضيه أمام المرآة تسبسب شعرها وتستعرض نفسها بالفستان المحزق.. إيه القوام الغزلانى

ده.. والنبى لأخليكى تجننى شبان الحتة كلهم.. ياترى فين الرجالة يجوا يشوفوا.. أقل من ألف جنيه ماأخدش مهر فيكى الحلاوة دى اتخلقت عشان العربيات والألماظات والفيلات والحراير.. يا أرض احفظى ما عليكى.. حصوة فى عين اللى ما يضيعشى عمره عليكى.

والبنت عينها فتحت.. بقت تخش الحمام تغيب فيه بالساعة والاتنين، وتطلع من الحمام تتخايل.. وتقف قدام المراية وتقلع وتحسس على وسطها وصدرها.. وتتسمر فى الشباك.. وتتمخطر فى الرايحة والجاية.. وتغنى.. بلاش تبوسنى فى عنيه دى البوسة فى العين تفرق ونقوم وننام على حب فى حب.. ومن سحر عيونك ياه.. (تنطقها ياح).. وهى تغمز وتلمز مثل صباح.. والأم تصفق وتأخذها بالحضن.. وكتكوتتى. وقمورتى.. ونحن الرجال نصرخ احتجاجًا على هذه الخلاعة.. والأم تصرخ فينا وتمسك الشبشب لكل من يرفع صوته فى القطة الكتكوتة.. وأبونا تعبان وضع صوابعه فى الشق وترك الدنيا للديان وأصبح رجلًا محطمًا لا حول له ولا قوة.. والمصروف أعطاه للست والبيت تركه للست تفعل فيه ما تشاء.. والراجل معذور، عمل اللى يقدر عليه واتهد حيله.

والمصروف يجرى من ايد الست لايد البنت.. واللبس والوجاهة وزجاجات الكولونيا للبنت الكتكوتة.. والكتكوتة ترجع من المدرسة ترمى الكتب على طول ذراعها وتتحزم وترقص عشرة بلدى، وتحت الشجر يا وهيبة.. ياما كلنا برتقال..

وترعش وسطها ولا كاريوكا فى زمانها.. والأم تصفق على الواحدة.. وأنا حتجنن لكن حاعمل إيه.. حاضربها ولا حاضرب أمى.. ولا حاضرب نفسى بالرصاص.

وبعدين الحكاية زادت.

والبنت اللى كانت بترجع فى مواعيد المدرسة بقت ترجع متأخرة بالساعة والاتنين.. وكنت فين يا بنت.. وتطلع الأم تبجح فينا. وأنت مالك يا ولد.. انجر خش جوه شوف شغلك ذاكر لك كلمتين بدل ما تعمل راجل علينا.. طيب حاضر انجرينا.

والحكاية كل يوم بتزيد.. والبنت ابتدت تمشى مع الولاد الصايعين فى الحتة.. كل يوم أشوفها مع واحد.. وآجى اتكلم تطلع الأم تكذبنى وتدافع وتقاوح.. وأخبث ما فى الأمر أنى كنت أشعر أن هذه الأم تجد لذة داخلية كلما شعرت أن ابنتها سحرت رجلاً.. وأنها أصبحت معشوقة الكل، وكأنها هى التى تتلقى الإعجاب لا ابنتها.. (أمى بهذه المناسبة دميمة لم يقل لها أحد كلمة إعجاب فى حياتها ولم يكن لها ضحية غير أبى الغلبان وعيلتنا المنكوبة).

وكنت أتصور أحيانًا أنها لو كان باستطاعتها لجلبت لابنتها الرجال.. وجلست تتصنت إلى ما يدور بينها وبينهم من وراء الجدران.

كان ما يجرى أمامى شيئًا فظيعًا.. كنت أمام أم مريضة وأب انتهى.. وبنت سايبة، وكان أوان العلاج قد فات.

كنت وقتئذ بالبكالوريوس بإحدى كليات جامعة القاهرة.. عقلى مشتت بين المذاكرة ومراقبة البنت.. والبنت كانت أيامها بلغت الثانوية العامة، وبقت طول بعرض بصدر، والسمعة قدامها ووراها، والعربيات بتركن جنب باب المدرسة.. وتوصلها للبيت مرة ضابط، ومرة كويتى، ومرة ولد مسبسب وارث.. مظاهر النعمة بدأت تبان.. قزايز بارفان القزازة بعشرة جنيه.. بلوزات مكتوب عليها ماركات من باريس.. وأطقم داخلية: كلسونات وسوتيانات، فضيحة.. بتلبسهم لمين.. وجابتهم منين.. وشنا بقى لون الهباب قدام الناس.

والظاهر أن كل هذه الحركات لم تكف القطة الكتكوتة.. فبدأت فى مصيبة جديدة.. كانت تنتظر حتى ننام كلنا، وتتسلل خارجة، وكان لها فى هذه الأثناء صديق سعودى.. وصديق أردنى.. وصديق كويتى.. تصور.

ثم بدأت ألاحظ جلسات سرية طويلة بين البنت والأم تدور فيها الوشوشة.. وكانت البنت تبدو لى شاحبة متغيرة مرتبكة.. ثم فهمنا أن الأم تدبر خطة سريعة لتزوج ابنتها أى جوازة والسلام، وأن اختيارها وقع على شاب غلبان خجول وطيب.

وتقدم الغلبان وتمت الجوازة.

وحمدت ربنا.

وأشهد أنها أخلصت لزوجها مدة عام ثم بدأت تعود إلى

نشاطها.. صديقها السعودى كان قد توفى فى حادثة.. فبدأت تمشى مع أبيه.. تصور.. راجل فى سن جدها.. ورجل آخر من دين غير دينها تسافر له الاسكندرية كل أسبوع بحجة أنها ذاهبة لأخيها ثم تبيت طبعًا عنده.. وثالث يدعو زوجها إلى الاوبرج وعمر الخيام وصحارى سيتى كل ليلة ليسهر معها طبعًا لا معه.. وغيره وغيره، وكلهم يشتركون فى صفة واحدة.. أنهم أغنياء عندهم فلوس وعربيات.. ليس الحب ما تجرى خلفه.. ولكن المتع الترفيهية.. الفسح والرقص والعربيات والسهرات والفساتين.

وأعجب ما فى الأمر حينما تأتى سيرة هذه العلاقات الحقيرة أمام الأم، أشعر أنها تقرض أسنانها من اللذة.. وكأنها تغيظنا وتكاد تقول.. شايفين بنتى.. الرجالة بيتكفوا وراها ازاى، وتلمع عيناها وكأن الحيوان داخلها يشفى جوعه ونهمه إلى شىء خبيث.

أما موقف بقية العائلة.. الأخت الكبرى المتزوجة تعيش لأولادها وبيتها وتبتعد بنفسها عن هذه المشاكل.. والأخ الأكبر الطبيب اصبح سلبى التفكير بعد أن تزوج.. لا يحاول أن يتدخل فى شىء.. وتقلصت علاقته بنا إلى مجرد المجاملات والسلامات والترحيب الزائف.. الأخ الثانى يعيش فى حيرة وألم وتمزق، وقد ابتعد عنا أخيرًا فى محاولة للهرب.. أبى فقد القدرة على أن يسوس نفسه وانهار تمامًا.

أنا وقد تخرجت الآن وتوظفت أعيش أشلاء حياة.. احتقر

نفسى، واحتقر أمى.. واحتقر أختى.. واحتقر الدنيا كلها.

لا أعرف كيف اتصرف.

كيف أردع هذه الأخت الضالة وأعيدها إلى صوابها.

كيف أنقذ ما تبقى من الحياء؟

بماذا تنصحنى؟

ج. محمد

* * *

لقد فات وقت الردع.. ولم يتبق هناك حياء لتنقذه.. وانتقل واجب التأديب من يديك.. لتقوم به الدنيا بنفسها.

الدنيا هى التى سوف تعطى لأختك الدرس.. وسيكون درسًا مريرًا قاسيًا، وسيكون مقنعًا أكثر من أى نصيحة تفكر فيها.

إن خيوط المأساة قد تعقدت.. ولم يعد هناك مجال لإصلاح، ويبدو أنها تسير بسرعة إلى نهايتها.

إن أختك لم تشعر أبدًا أن الاحترام والكرامة والعفة والشرف يمكن أن تكون لها قيمة مادية.. ولكن فى الحقيقة هى فى النهاية تثبت دائمًا أنها ذات قيمة مادية أبقى من العربيات والألماظات.

إن المقامر قد يكسب فى لحظة واحدة ما أكسبه أنا وأنت فى كل عمرنا، ولكنه سوف يخسره فى اللعبة التالية وفى اللعبة الثالثة سوف يقترض ليلعب.. وفى اللعبة السادسة سوف يطلق على نفسه الرصاص أو يدخل السجن.

أما أنت فتكسب قليلاً كل يوم.. ولكن هذا القليل يعيش ويتراكم وتكسب معه أصدقاء وإخوانًا.. وتكسب معه الثقة والتقدير وحسن السمعة.. وفى النهاية تصنع من كل هذا نجاحك المادى وثروتك التى تشترى بها عربة.. وهى عربة حلال.

إن الأخلاق لها قيمة مادية بالفعل.. قيمة مؤجلة لكنها أكيدة، أما الكسب الرخيص فإنه يأتى ومعه وسائل إنفاقه.. ويأتى ومعه وسائل القضاء عليه.. أختك لا تفهم هذا.. ولكنها سوف تفهم قريبًا.

أما أنت.. فنصيحتى لك أن تنقذ نفسك.. لا أختك.. انس الموضوع.. وإذا كانت إقامتك فى البيت تجعلك مطاردًا بالاشاعات، فاترك البيت واستقل بحياتك، على أن تظل على اتصال دائم وتعاطف ودود مع أبيك فى شيخوخته.. فأنت ضحية أختك.. ولكن أباك ضحية الكل.. ضحية تفانيه فى تربيتك أنت أيضًا.

تذكر أن كلا منا يحمل طائره فى عنقه.

مؤسسة البهايم المتحدة

سنى ٢٢ سنة، عامل أحمل مؤهلاً صناعيًا متوسطًا واشتغل فى إحدى الشركات بأجر شهرى ١٦ جنيهًا.

حياتى تتلخص فى عمل متواصل يبدأ فى الصباح حتى المساء. باستثناء ساعة التقط فيها أنفاسى وابتلع ساندويتش فول، ثم أعاود العمل حتى آخر الوردية.. ومن الشركة إلى البيت إلى المقهى حيث ألعب النرد على أقاصيص الحب والمغامرات التى يحكيها زملاء الحى.. حتى منتصف الليل. فأذهب إلى فراشى.. ويكون آخر ما يدور فى خيالى قبل النوم صور شباب الحى، كل واحد فى أحضانه واحدة.. وأنا أتقلب على فراش مهجور على جمر الحرمان بلا حب.. بلا أمل.. لا أعرف للمتعة طعمًا ولا أسمع عن اللذة إلا فى الروايات.

كان لابد أن فكر فى الزواج وأن أتطلع إلى الزواج، وبالموارد الضئيلة التى أحصل عليها لم يكن هناك أمل إلا إذا تفضل علىّ واحد من أهل الخير فى العيلة ودفع المهر.

اتجهت إلى أبى فرفض.. وخالى رفض.. وكل واحد اتجهت

إليه تجهم فى وجهى أو ضحك وصرفنى ساخرًا.. حتى الواحدة التى فكرت أن أخطبها، وكانت طالبة فى سنة أولى تجارة ثانوية رفضت، وقالت إنها لن تتزوج إلا بعد أن تتم دراستها.

وضاقت الدنيا أمام وجهى وقررت أن أترك الأهل والبيت وأبتعد عن الحى كله وأسكن وحدى.

واخترت مسكنًا قريبًا من عملى فى حى الإبراهيمية.. وهو بيت تملكه أرملة فى الخامسة والأربعين.

ولم أحاول أن أختلط بالوسط الجديد الذى انتقلت إليه.. ولم أكن التقى بالمرأة صاحبة البيت إلا يوم أول الشهر لأعطيها الإيجار. ولكنها كانت البادئة فى مبادرتى بالكلام.. وكانت تعرض خدماتها فى كل مناسبة.. وكانت تأخذ منى المفتاح لتنظيف الشقة، وحينما كان يفرغ ما عندى من جاز وسكر وشاى كانت تمدنى بكل ما أحتاجه من عندها وترفض أن تأخذ مليمًا.. وكانت أحيانًا تدخل المطبخ لتعد لى غدائى وأحيانًا تدخل الحمام فتجد قطعة من ثيابى فتسرع فى غسلها.. وبتواجدنا معًا فى الحمام مع رفع الكلفة والألفة كانت تغازلنى بالغمزة واللمزة وبالكلمة التى لها معنيان.

وتحالفت علىّ الخلوة وسنوات الحرمان والمراهقة.. وصورتها لى كأجمل امرأة فى الدنيا.

وما لبثت أن أصبحت عبدها وطوع بنانها ورهن إشارتها.

أحببتها بجنون.. وكنت أدللها كأنها طفلتى.. هى العجوز الدميمة بنت الـ ٤٥ خريفًا.. وغرقت فى عشقها لأذنى.

ولأول مرة كنت أصحو فى الساعة الثانية عشرة ظهرًا لأجد نفسى بين ذراعيها.. وطبعًا أصحو من النوم أنام تانى على رأى المثل.

وبدأت أتغيب من عملى.

وتعددت مرات غيابى.. وأنذرت مرتين بالفصل.

وصارحتها بالحكاية.. وقلت لها كفاية بقى.. ابعدى عنى خلينى آكل عيش، ولكنها قالت لى وهى تضحك.. ولا يهمك.. إيه الشغل بتاعك ده اللى فالقنى بيه.. سيبك منه.. أنا عندى فلوس كتير، اتجوزنى وأنا اشغلك وكيلى فى جمع إيراد التلات بيوت التى أملكها بمرتب يوازى مرتبك فى المصنع أربع مرات وزيادة.. ومن يومها بدأت أفكر.

ولكن كيف أفكر، وهى لا تترك لى عقلًا أفكر به.

والعرض مغر بينى وبينك.. والمنصب الجديد مش بطال.. والحمد لله على المؤهلات.. صحيح هى بالنسبة لى عجوز كركوبة.. لكن هذه الحكاية أصبحت بحكم التعود لا ألحظها إلا حينما يذكرنى بها الغرباء الذين يلاحظون علاقتنا.

وأحيانًا أشعر بالحيرة من أمر نفسى، كيف أبيع نفسى لمثل هذه العلاقة الحيوانية.. ولكنى ضعيف.. جدًا.

وطبعًا لا أحد يكره الراحة.. والكسل أحلى من العسل.. وتصور عامل بيتشغل بـ ١٦ جنيه لم يعرف الحب ولا الحنان، ولم يذق متعة ولا أمل له فى الزواج بمرتبه الكحيان.. وكيف يمكن أن يعول أسرة فى الظروف الحالية بستة عشر جنيهًا فى الشهر يبقى إيه لازمة البطر.

وكيف أرفس نعمة جاءت تسعى إلى باب بيتى..

وهى عجوز دميمة، ولكن فى سواد الليل يستوى الجمال والدمامة وتتشابه كل نساء الأرض.

أنا تعبت من التفكير.. ريحنى وقول لى، أتجوزها.. أو ما أتجوزهاش.. عاوز كلام اقتنع به.. مش مواعظ.

عبدالحميد

* * *

لو أنك ذكرت لى فى سطر واحد كلمة أن هناك ما جذبك فى هذه المرأة غير المسألة الحيوانية.. كلمة واحدة عن جاذبية شخصيتها أو روحها أو أخلاقها أو عقلها؟!

فى أحسن العائلات يتزوج ابن العشرين بنت الأربعين أو العكس ويحفظ لنا التاريخ حالات تفاوت فيها السن بين الزوجين تفاوتا كبيرًا ونجح الزواج.. ولكن دائمًا كان هناك شىء غير العلاقة الحيوانية هو الذى جعل الزواج رباطًا باقيًا ناجحًا.

ولكنك لم تذكر لى خلة واحدة أحببتها فى صاحبتك غير

الحيوان الذى فيها.. وقد تعارفتما فى الحمام.. والمؤهلات التى ستوظفك على أساسها وهى مؤهلات مخجلة جدًا يشترك معك فيها الحمار بل ويتفوق عليك.

وأول ما يفتر فى الزواج دائمًا هو العلاقة الحيوانية لأنها تصبح ميسرة جدًّا ومتكررة مما يؤدى إلى الشبع ثم الملل ثم الفشل التام فى الزواج، إذا لم يكن فى الاثنين ما يحب سوى هذه الحكاية لأنها تصبح حكاية انتهت.

وأنت كلامك عن صاحبتك أنها الكركوبة العجوز الدميمة بنت الـ ٤٥ خريفًا.. فهى إذن شىء كريه.. لولا ظروف حرمانك ومراهقتك.. لما نظرت إليها.

إن المسألة واضحة ولا تحتاج إلى تفكير.

إن العلاقة بينكما أدت دورها وانتهت.. وتفكيرك فى الزواج لا يحدث بإغراء من أنوثتها.. ولكن بإغراء فلوسها.. ليس عرض العمل.. ولكن عرض البطالة التى تعرضه عليك.. وإغراء الصياعة والتعطل والتكسب من عرقها ومن بيوتها.. وهو الذى يزغلل عينك.

وهو عرض غير مضمون.. فقد ترفدك من هذه الوكالة إذا وجدت حمارًا غيرك يقوم بالوظيفة، وهى لابد واجدة.. فما أكثر الذين يسارعون إلى الكسل الذى هوأحلى من العسل.

والمنصب لن يكون مريحًا بالدرجة التى تتصورها.. قد يكون

مريحًا من الناحية المادية.. ولكن سوف يكون متعبًا من الناحية النفسية.

إحساسك بأن هناك امرأة اشترتك. إنك تعيش على مالها وعرقها.. وإنك لا تملك سريرك الذى تنام عليه ولا كرسيك الذى تقعد عليه، ولا تملك شيئًا فى بيتك إلا صرة هدومك.

كل شيء ملك الست.

والست هى المدير وأنت الفراش.

حاتتعب.. صدقنى.. وايه النهاية.. إيه الضمان فى الوظيفة.

وأنت عايش من غير إرادة ومن غير إمارة.. لابس راجل بس ثم لا ضمان إلا مزاج الست ورضاها.. يوم حاتز هدك حاتلاقى نفسك فى الشارع ووراك صرة هدومك.

وامرأة جاوزت سن اليأس لن يكون لها أطفال.. حاتعيش بوزك فى بوزها.

ساعتها حاتفتكر أيام الشركة وحاتحس أنها كانت جنة.. وأن حياتك بعرق جبينك أجمل وألذ من حياتك فى مؤسسة البهائم المتحدة اللى ربطت نفسك فيها زى الطور.

ده رأيى.. وأنت حر.

ليلة الزفاف

أنا شاب سنى ٢٥ سنة من أسرة ريفية أسكن فى مدينة قريبة من بلدتى حيث أعمل فى إحدى المصالح الحكومية.. شغفت فى صباى بالرياضة ومارستها وحققت فيها بطولات عدة.

كثيرًا ما تحدثت مع بعض أصدقائى حول الزواج ومشاكله وما يلاقيه الرجل فيه خاصة الليلة الأولى حيث يعجز الكثيرون عن القيام بها وكانت لهذه الأحاديث أثرها فى حياتى وتفكيرى، فكنت أبتعد عن التفكير فى الزواج خشية الفشل الذى ألاقيه فى ليلة الزفاف.

وظلت أمى تلح علىّ وتزين لى الزواج من ابنة خالى، والواقع أنى كنت أحب ابنة خالى وأتمنى الزواج ثم أعود فأتهيب الليلة الأولى فى نفسى.. وأكره الزواج وسيرته.

ولكن الحياة وسنتها أقوى منا ومن تهيبنا كما تعلم.. والبنت استوت.. وبقت قمر ليلة اربعتاشر.. وأصبحت عيونها تتكلم.. ولغة العيون أقوى من لغة الوساوس.

وهكذا حدث المحظور.. ووافقت.. ولا أعرف كيف وافقت ولكنه النصيب.

وظللت أعيش فى رعب منذ قرأنا الفاتحة.. وأحلم كل ليلة حلمًا واحدًا لا يتغير.. إن الباب يغلق على أنا وزوجتى فى الليلة الرهيبة.. وأن رجولتى تخذلنى.. وأن وجهى يصبح فى سواد الهباب.. وظللت أسوف فى كتب الكتاب.. وأؤجل فيه ما استطيع وانتحل المعاذير.

ولكن المعاذير كانت إلى نهاية..

ولم أجد ما أقوله.. وتم كتب الكتاب.

وجاءت ليلة الامتحان.

ومهما أوتيت من قوة الوصف فلن أستطيع أن أصف لك عذابى.. والأهوال التى عشت فيها.

كانت رؤية منظر العروس وقد أعدوها لى يلخلخ مفاصلى ويشيع الرهبة فى كيانى.

سؤال واحد ظل يلح على.

ماذا سأفعل إذا فشلت.

ماذا سأقول؟

وكيف أتصرف.

هل أنتحر، أم أموت خجلاً.. أم أذوب من إحساسى بالهوان.

وصف لى أحدهم وصفة بلدية، حبوبًا ومرهمًا.. وشرابًا فيه بعض أعشاب مقوية.

ابتلعت الحبوب.. وجرعت الشراب وكان مرًا كالعلقم.. لبست حجابًا قال لى أحد المشايخ انه موصوف للحالة التى أخشى منها.. وقال إن فيه كلامًا مبروكًا يجلب الوفاق والمحبة ويمنع الربط.

كنت أرتجف رجفًا.

ولو وصفوا لى بتر ذراعى لتواتينى القدرة لبترتها راضيًا..

ولفرط خوفى.. كانت لحظة اللقاء الحاسمة شيئًا كالهول بالنسبة لى.

وكانت عروسى فى زفافها جميلة كالبدر.. وكان جمالها عذابًا زادنى ارتباكًا على ارتباك.. وكانت نظراتها الحلوة تنزل كالكرباج على وجهى.. فأنكس بصرى إلى الأرض ولا أقوى على رفعه إلى وجهها.

ومرت الليلة كأسوأ ما تكون الليالى السوداء المشئومة.. وانهرت إلى جوارها فى خذلان أسبح فى عرقى وأخفى وجهى فى الجدار.

وصممت منذ تلك الليلة ألا أكرر المحاولة.

ولألتمس لنفسى المعاذير أمام الناس.. طلبت من رئيسى فى الوظيفة نقلى لوردية الليل حتى أتجنب هذا الموقف وأقضى الليل بعيدًا عن البلاء وأسبابه.

ومرت أيام قليلة بالنسبة لى دهورًا وأجيالاً وقرونا من القلق واليأس والألم والندم والحسرة والحيرة أمام المستقبل وما يخفيه.. وأشد ما كان يؤلمنى هو معرفتى ويقينى بأنى طبيعى.. وأن الخوف والارتباك هما الجانى الحقيقى والسبب الخفى لمأساتى.

وفوجئت بعد الأيام القليلة بأمى تفاتحنى فى الموضوع. إذن فقد صارحتها زوجتى بالحقيقة.

وبعد قليل لابد أن ينتشر الكلام وتتسع دائرة الفضيحة ويعلم الجميع وأصبح مهزلة.

وشعرت أنى أموت من الهم والكمد.. ولكنى غالبت نفسى وطمأنت أمى بأنى سوف أحقق لها رغبتها.

وفاتحت صديقًا عزيزًا فى مصيبتى فشجعنى وأكد لى أنه مر بهذه المرحلة وأنه الآن سعيد وموفق مع زوجته وله طفلان فتشجعت وعاودت المحاولة وأنا فى قرارة نفسى فزع يائس أقاسى الويل. وطبعًا فشلت مرة أخرى.. وأخرى.

وعشت فى تفكير أسود.. أنتقل من كابوس إلى كابوس.. المخرج الوحيد الباقى هو أن انتحر واستريح.

الموت هو راحتى.

وحدثت فى هذه الاثناء المفاجأة التى نزلت على كالصاعقة.. قالت لى زوجتى ذات صباح أنها حامل..

حامل؟؟!

ومن.

وتظاهرت بالفرح الأبله.. والشك يشتعل فى أحشائى.. وعيناى تتلفتان فى كل وجه دخل أو خرج من البيت.

كل رجل زارنا أصبح فى نظرى هو النذل الخائن الذى فعلها، وكل بعيد أو قريب تردد علينا أصبح هو الأب الحقيقى لهذا الجنين غير الشرعى.

وهو لا شك يعرف ذلك وينظر إلىّ فى سخرية.

وتغيرت معاملتى لزوجتى فأصبحت أثور فى وجهها لأتفه الأسباب وأتمنى لو أقوم من نومى فأجدها ميتة.. وأضربها وأتمنى أن تجهض ما فى أحشائها.

وطبعًا لم أصارح زوجتى بشكوكى، ولم أصارح أحدًا سواك لأنى أردت أن أضع الحقيقة كلها أمامك.

والآن ما رأيك.. هل أنتحر.. أم أطلقها وأخلص نفسى وأخلصها.

وهل أنا مريض بالوهم.. أم مجنون.. أم مخدوع؟

«....»

* * *

أولاً: أحب أن أطمئنك بأن الجنين الذى تفكر فى قتله واجهاضه هو ابن شرعى.. وانه منك.. وأنت أبوه.. وأن الحمل

يمكن أن يحدث من الخارج.. وأن هذه الحادثة لها سوابق طبية كثيرة.

وأن مشكلتك هى أصلاً مشكلتك مع نفسك.

وأنك أخطأت التصرف من البداية.

ومن العيوب الشائعة فى بلدنا.. التقليد المتعارف عليه بتحديد ليلة الدخلة، وهذا يجعل منها ليلة امتحان ينتظر نتيجتها جميع الأطراف ويؤدى إلى توترات نفسية شديدة عند العروسين.. وهى توترات قد تؤدى إلى الفشل بالرغم من القدرة الطبيعية عند الزواج.

وما يحدث هو نتيجة الخوف عادة كما يهرب دم التلميذ وتهرب الأجوبة من دماغه ساعة جلوسه أمام ورقة الأجوبة فى اللحظة الفاصلة.

وعلاج هذه المضاعفات السيئة يكون بالإقلاع عن تقاليد ليلة الدخلة.. واعتبارها ليلة غير محددة الميعاد.. فبعد كتب الكتاب تصبح الزوجة من حق الزوج على أن تكون المعاشرة الزوجية رهنًا بظروفها.. وبهذا يخالط الزوج زوجته بدون مشروع سابق ونية سابقة عند الزوجة أو الزوج بعمل شىء.. وبهذا يزول الخوف بزوال الترقب والانتظار. ويعتبر الاثنان الليالى الأولى مجرد محاولات لرفع الكلفة.. وهى محاولات سوف تتسم بطبيعتها

بالبراءة.. وتكون الوسيلة التدريجية لتهيئة الجو فى النهاية بروح من الود الكافى.

أما تقاليد ليلة الدخلة.. وانتظار الأقارب المنديل الملوث بدم البكارة على الباب.. وتوتر أعصاب الزوج.. ورعب الزوجة، فإن كل هذا ينتهى إلى حالة من الوحشية والقسوة هى أشبه بالاغتصاب منها بالتراضى.. وهذا يؤدى بدوره إلى تعقد الزوجة طول حياتها من العلاقات الزوجية.

كل هذا الكلام خاص بما يجب أن يكون وبما يجب أن يحدث.

أما فى مشكلتك وبعد أن حدث ما حدث.. فاعتقادى أنك بإمكانك أن تنجح فى أن تكون زوجًا موفقًا.. هذا بشرط أن تطرح من ذهنك حكاية الحمل غير الشرعى والخيانة المزعومة.. وتتصرف كابن ناس، وتعالج خوفك بمعرفة طبيب نفسى.

وبعد هذا تبدأ حياتك الزوجية من (أ، ب) الصداقة إلى الحب إلى العلاقة الكاملة فى تدرج طبيعى خال من التعجل والتوتر والعصبية.

باى باى يا شيرى

سنى ٦٣ عامًا.. بلغت سن المعاش منذ سنوات وتوفيت زوجتى وتناوبت علىّ العلل والأمراض من سكر إلى ضغط دم إلى تصلب شرايين.. هذا بالإضافة إلى وحدة وشيخوخة وبطالة.

شعرت بالعزلة والغربة وتعاسة السن.

اقترحت ابنتى أن أعيش معها.. وشجعنى على هذا الاقتراح أنها تسكن بمفردها وأن زوجها يعمل أغلب شهور السنة فى الخارج.

رحبت بى وأكرمتنى فوق ما كنت أتصور.. لكن سرعان ما ظهر لى سبب هذا الإكرام.. فإذا به اكرام مثل إكرامنا للبقر.. نطعمه لنأخذ منه اللبن والزبد.. كانت تقلد المرحومة أمها تمامًا فتأخذ المعاش أول الشهر فى نظير اللقيمات التى تقدمها إلىّ.. أما ما أحتاجه من دخان وشاى وقهوة فهى كماليات لا لزوم لها ويحسن أن أكف عنها.. وإذا كان عاجبك.

عجبنى.. وصبرت عسى أن يأتى الفرج.

وأخيرًا جاء الفرج.. وياليته ما جاء.

صحوت ذات ليلة على صراخ الأطفال.. وتفقدت أمهم فلم أجدها.. سألت نفسى: أين يمكن أن تكون قد ذهبت فى هذه الساعة المتأخرة من الليل، ولم أجد جوابًا.

جلست مع الأطفال ألاعبهم بالرغم من تعبى ومرضى حتى بلغت الساعة الثالثة بعد منتصف الليل، حينما سمعت صوت عربة تقف أمام الباب وصوت رجل يقول.. باى باى.. مع السلامة ياشيرى، والباب يفتح وتدخل الهانم تترنح وتغنى ورائحة الخمر تفوح منها.

سألتها: كنت فين يا هانم؟

ردت علىّ فى تبجح: إنت مالك.. إنت جاى هنا شاويش علىّ. مش تحمد ربنا إنى مستحملاك ع البلاوى اللى عندك.

نظرًا للبلاوى اللى عندى سكت.

ولكن الفضائح تكررت.

كل ليلة تخرج الهانم بالليل لتعود فى الفجر، وتوصلها كاديلاك.. أو شيفروليه.. أو فيات ١١٠٠ حسب التساهيل.

وفى كل مرة تدخل فى زفة من الضحكات المخمورة.. فإذا فتحت فمى لعنت أجدادى.. وأنت جاى هنا عشان تحبس دمى. أنا حرة.. خد الملاليم بتوعك واتفضل. أنت كل ليلة حاتفتح لى محضر.. أنت كل ليلة حاتقعد لى زى قرد قطع.. أنا مش عاوزه نكد.. اللى مش عاجبه عيشتنا يورينا عرض أكتافه.

وأخيرًا حدثت الكارثة.

ظهرت عليها أعراض الحمل.

ماذا تقول لزوجها.. وقد سافر من شهور.

كنت أقلق طول الليل لا يأتينى نوم بسبب فضيحتها.. وكانت تنام فى الغرفة بجوارى لا يهمها شىء، وفى الصباح أراها بوجهها الصفيق تقول لى إنها سوف تتغيب ثلاثة أيام وأن علىّ أن أراعى الأطفال حتى تتخلص من هذه الداهية.. وتشير إلى بطنها.

أشرفت على الموت بسبب الإجهاض.. وكان يخيل إلىّ وهى فى محنتها أنها تابت إلى الله.. وأنها عاهدته ألا ترجع إلى سيرتها.

ولكنها ما كادت تتماثل للشفاء حتى عادت إلى سالف تبجحها وصفاقتها واستهتارها.. وسهرها كل ليلة.. وعودتها مخمورة تترنح.

وأنا أعيش الآن فى حيرة وتعاسة لا حد لها.

ماذا يكون موقفى من الزوج إذا عرف مصائبها.. بأى وجه أنظر إليه.. علمًا بأنه يعرف عنى أنى مستقيم متدين أقيم الفرض بفرضه.. يئست تمامًا ونفدت جميع حيلى.

لم ينفع معها توجيه ولا نصح ولا إرشاد ولا تهديد.

أخشى أن أخبر زوجها فيطلقها ويشرد الأولاد.. وما ذنبهم.

وطبعًا لو طلقت فسوف تتمادى فى سيرها.. وبهذا تنعكس الآية.. فأفسدها من حيث أريد أن أصلحها.

كمال أنسى

* * *

واضح أنك لا تستطيع أن تفعل شيئًا.

لقد فات الوقت الذى كنت تستطيع فيه أن تفعل شيئًا.. كان هذا ممكنًا وهى طفلة.. أن تنشئها على الإحساس بالكرامة وتربيها على احترام جسدها.

ولكن الآن.. وهذه نتيجة تربيتك.

وبعد أن أصبحت أما وربة بيت وزوجة.. لها رجل مسئول عنها.. انتهى دورك.

الحل الوحيد أن تترك البيت وتقيم وحدك.. ولا شك أن السكر والضغط وتصلب الشرايين أرحم من منظر الهانم وهى تنزل كل يوم من عربة.. وباى باى.. يا شيرى.. مع السلامة.

إلى آخر المنظر اللى ينقط.

وإذا شعرت فى وحدتك بالحزن.. فهذا أضعف الإيمان.. فيجب أن تحزن، فهى صنع يديك فى النهاية.

ومن العدالة أن تتعذب وتحزن ما دامت صناعة يديك بهذا السوء.

خيانات مزدوجة

أنا شابة متزوجة من عشر سنوات.. جميلة بدون غرور.. وجمالى جايبلى الكافية زى ما بيقولوا، وسوف تعرف التفاصيل فيما بعد.. المهم دعنى أقدم لك صورة تساعدك على فهمى عشان تقوللى كلمتين أحطهم حلقة فى ودانى.

تصور مثلا أن من تكلمك بهذه اللهجة الاستفزازية وبهذه اللغة العربية السكلانس هى خريجة مدارس الراهبات.. ومثقفة ثقافة رفيعة.. تسمع الموسيقى.. وتتقن اللغات.. وتهوى الرسم ولها لوحات يقول عنها البعض إن فيها فن.

نهايته، أختصر وأقول إنه كانت لى قصة حب قصيرة.. وإن حبيبى تقدم لخطبتى.. ولكن خطبتنا ما لبثت أن فشلت بسبب مرض خطيبى بأعصابه.

وقد كنت متمسكة به لآخر لحظة، لكن أهلى ضغطوا علىّ لأتركه وظلوا يطاردوننى بكلامهم.. كيف تعيشين حياتك مع مجنون.. إنه قد يشفى ولكن سوف يعاوده جنونه.. قد يخنقك وأنت فى الفراش.. قد ينتحر ويخلف مأساة.. قد يترك فى رقبتك أطفالا معاتيه مثله.

وهكذا فسخت الخطبة وانتهى عهدى بالحب والسعادة لأكون بعد ذلك زوجة لأول من تقدم لى.

رجل فاسد الأخلاق ربما بسبب البيئة التى يحتك بها فى عمله «لكن وأنا مالى».

بخيل «جلدة» يتشاجر معى لكى نسير مسافة لا تقل عن خمسة كيلو مترات ليوفر تذكرتين أوتوبيس «ويحدث هذا فى أيام الخطبة وشهر العسل».

أسلوبه فى الكلام مكشوف وجارح وغير مهذب.. وردوده جافة.

ولولا الطفلان الملاكان البريئان اللذان أنجبتهما منه لما تحملت الحياة معه ساعة واحدة. حاولت إصلاحه وأحطته بالرعاية والحنان والاهتمام ولكنه كان يصدنى وكأنى ارتكب جريمة ضده.

ولما أعطانى الله طفلى الأول وجدت كل طاقتى من الحب والحنان تتحول لا شعوريًا من الأب إلى ابنه.

وكنت أعجب كيف لا يحرك الطفل قلبه وعاطفته.. أهو متحجر العاطفة إلى هذا الحد.. هل تزوجت صنمًا؟!

وآخر المصائب منذ سنتين.. خاننى مع إحدى الجارات ثم مع أقارب.. وخادمات.. وفى أماكن عامة.. تصور!

وحجته فى ذلك.. أنى أهمله وأنشغل عنه.

انشغل عنه بأولاده وبيته.. هل هى جريمة ؟؟

ويبدو أن ما تعلمت من واجبات الأمومة كان شيئًا غير معترف به فى قاموسه.. فالزوجة رفيقة فراش أولا، قبل أن تكون أمًّا، وست بيت.

وصبرت.. وصبرت.. واشتكى منى صبرى.. ثم يئست ثم بدأت أفعل مثله.

سوف تقول امرأة بلا مبادئ.. أعرف ما يطوف بذهنك.. ولكنك لم تجرب أن تكون امرأة وتعيش مع رجل لا يحتمل.

كان لابد أن أفعل أى شيء.. لاحتمل حياتى.

إنى غير مقتنعة بما أفعل ولكنى أموت من اليأس.. أنا فى عداد المنتحرين. وحياة البيت تحولت إلى إهانة وضرب وسب وفضائح أمام الناس.

ومتنفسى الوحيد هو تلك العاطفة التى بدأت تنمو بينى وبين مدرس اللغة الفرنسية الذى يدرس لأولادى.

وهى علاقة لعلمك ما زالت بريئة.. ولكنى لا أخفى عليك ما يطوف بعقلى.. فقد أصبحت لا أعبأ بشيء وكل الكلمات الطنانة كالأخلاق والشرف أصبحت غير ذات موضوع فى نظرى.

أنا أعيش فى جحيم.. ولا أعرف لنفسى مخرجًا.

الطلاق يرفضه.. والحياة بالمعروف مستحيلة.

ماذا أفعل؟

القارئة المعذبة

« . . . »

* * *

إن الانتقام لا يمكن أن يكون حلا..

أنت كمن عضها الكلب فأسرعت خلفه لتعضه.. وبذلك انحدرت وأصبحت كلبًا مثله وسقطت حجتها ومبرراتها ودعواها.

زوجك يخونك.. أنت تخونين زوجك.. لن يعود لك حق فى أن ترفعى عينك فى عينه.. وأكثر من هذا سوف تسقطين فى عين عشيقك الذى أعطيت له نفسك كزوجة خائنة.. ولو أنه لن يواجهك بهذا.. ولكنها الحقيقة سوف تطل من عينيه، وسوف تدمر سعادتك.. خسائر.. خسائر.. على طول الخط وتخريب يؤدى إلى مزيد من التخريب.. إلى مزيد من الدمار، وفى النهاية تظهر الحقيقة.. فلا شيء يمكن اخفاؤه وتفقدين آخر قلعة لك.. أولادك.

أنت تهدمين نفسك باسم البحث عن حل.

عيشى كما عشت العشر سنوات «كنت فين طول السنين دى».

أو أطلبى الطلاق بالمحكمة.

أما غير ذلك فهو نذالة.

اللص الشريف

إنى أشعر بالخجل وأنا أروى لك ما أرويه.. ولكنها مشكلة أعيتنى وهى توشك أن تنتهى بى إلى الدمار ولا مهرب من أن أحكى لك كل شيء بكل صراحة.

أنا شاب عمرى ثلاثون عامًا.. للأسف حاصل على الليسانس من إحدى الكليات.. أقول للأسف لما ستعرفه عنى فيما بعد.

ولست فقط جامعيًا ولكنى مثقف أيضًا أقرأ بنهم كل ما يقع تحت يدى.. وأشغل وظيفة محترمة من عائلة كبيرة وأعيش بمفردى فى القاهرة بعيدًا عن أهلى المقيمين فى الإسكندرية.

وإن جاز لى أن امتدح نفسى فأنا كريم إلى حد السفه.. متسامح وأتعاطف مع الناس بسرعة طيب القلب أتمتع بسمعة حسنة إلا أنى لا أستحق شيئًا من هذه السمعة الحسنة. فأنا باختصار لص.. لص محترف ومع سبق الإصرار والتدبير والتفكير دائمًا.. ولكنى أعتبر نفسى لصًا شريفا.

وقصتى مع السرقة تبدأ من الصغر فقد كنت وأنا تلميذ أهوى

سرقة الأقلام من زملائى وكنت إذا ماذهبت لشراء شيء من البقال أغالطه وأدعى كذبًا أنى أعطيته النقود.

وكبرت.. وكبرت معى هذه العادة.. وفى الجامعة كنت أسرق الكتب من المكتبة وبقدر الإمكان لا أشترى أى كتاب.

إلى أن تخرجت منذ ثلاثة أعوام ونصف.. والآن أنا أعتبر نفسى مريضًا بداء السرقة إن صح أن نسمى السرقة داءً وإن صح أن يكون اللصوص أمثالى مرضى.

وكعادة اللصوص مظهرى محترم جدًا وشيك.. ولكنى أستغل هذا المظهر فى أشياء أخرى بعيدة كل البعد عن الوجاهة أو مغازلة النساء.. فأنا أدخل المطاعم الفاخرة وآكل وأنصرف دون أن أدفع الحساب.. وأدخل المحلات الراقية وأغافل البائع واضع شيئًا فى جيبى أو فى حقيبتى التى لا تفارق يدى.. قد لا أسرق شيئًا أنا أحتاج إليه.. بل إنى كثيرًا ما أسرق أشياءً لأهديها لأصدقائى. بل ما هو أدهى أنى أحيانًا أسرق أشياءً لا أعرف كنهها إلا فى المنزل.

أهوى الزحام فى المحلات وأدخل قاصدًا أن أسرق شيئًا.

وأحيانًا يكون ذهنى منصرفًا تمامًا عن فكرة السرقة، ولكن بطريقة لا شعورية أجد يدى تمتدإلى أشياء أسقطها فى جيبى فى غفلة من البائع.

وأنا جريء إلى أبعد الحدود.. وأرتاد أفخم الأماكن.

ومع هذا فقد حدث لى أن ضبطت متلبسًا وأخذت نصيبى من الضرب والأقلام والشلاليت، ولكن لحسن الحظ انتهى الموضوع بهذه العلقة، ثم تركنى صاحب المطعم والجرسونات لأعود إلى بيتى.

ويومها رجعت وأنا أحمد الله أن المسألة لم تتطور إلى بوليس وأن أحدا من معارفى أو أصدقائى لم يرن فى هذا الموقف.

كم يلذ لى أن أحصل على أى شىء خطفًا.. يحدث أن أقف لأشترى علبة سجائر أو لأتكلم فى التليفون فأغافل أصحاب الأكشاك والتقط قطعة من الحلوى أو اللبان فأضعها فى فمى.

لا أدفع أبداً ثمن تذكرة أتوبيس.

بل إنى كنت أحيانًا أدخل دور السينما الدرجة الأولى بدون تذكرة، وتعرضت مرة للحرج بأن جاء صاحب المقعد ومعه المختص الذى سألنى عن التذكرة فلم أرتبك وقلت له مع زميلى الذى ذهب إلى التواليت ثم انصرفت دون أن يشعر بى أحد.

ومواقف كثيرة.. كثيرة.. أقص لك منها هذا الموقف: كنت مرة فى القطار المتجه إلى الإسكندرية وفى أحد دواوين الدرجة الأولى وليس معى فى الديوان إلا فتاة وأخذنا نتجاذب أطراف الحديث دون أن يعرف أحدنا الآخر.. وقرب طنطا أغمضت الفتاة عينيها وأخذتها سنة من النوم.. وقلت لنفسى إنى أستطيع أن آخذ حقيبتها وأنزل فى طنطا.. وفى أقل من نصف دقيقة كنت

أنفذ الفكرة وكنت أقفز من القطار قبل طنطا بقليل.. وسوف تدهش إذا عرفت أنى أهديت كل ملابسى وهى تساوى أكثر من ثلاثمائة جنيه إلى فتاة ساقطة كانت تتردد علىّ ولم تكن تطمع أبدًا فى أن تملك قطعة واحدة منها.

عندى من الأقلام وزجاجات العطر والنظارات والكرافتات والدبابيس، والأحزمة والشرابات والولاعات، بل وأجهزة الترانزستور ما يكفى لفتح محل خردواتى كلها لطش لم أدفع فيها مليماً - هذا غير المنافع غير العينية كالأكل والشرب مجانًا فى المطاعم والبارات.

ولا تتصور أن كلامًا تقوله سيجعلنى أقلع عن عادتى هذه، وأنى أسميها عادة تجاوزًا ولكن هى فى الحقيقة مرض.. ولن يكون كلامك أشد وقعًا من الضرب الذى تعرضت له فى أكثر من موقف.

ولهذا فأنا أريد كلامًا خلاف النصح فأنا كما قلت لك لص شريف.. كما أنى أسرق بحوافز لا إرادية.. أرى يدى تمتد من تلقاء نفسها فتلطش كل ما تراه.

بقى أن تعرف أنى إذا تحدثت فى الدين فأنا أبهر السامعين كما أنى أعرف الله حق المعرفة.

وهو إلى الآن يكرمنى ويستر علىّ ودائمًا أطمع فى كرمه وستره.

ولكن ما دفعنى للكتابة إليك هو الخوف.

الخوف من أن يلقى بى فى التخشيبة.. وحينئذ لن أخسر سمعتى فحسب وإنما سوف أتسبب لأهلى فى عار أبدى.

وسوف تتمزق الصورة التى كونوها لأنفسهم عنى.

فبالله ما هى الوسيلة التى أعالج بها نفسى.

أنا أحملك مسئولية ضياع مستقبلى إذا لم تسعفنى بحل ولك الأجر عند الله.

اللص الشريف

ع. م

* * *

أولا أنا أريد أن أعرف من أين لك بالشرف المزعوم.. وبأى مناسبة أسبغت على نفسك لقب اللص الشريف.

نحن نعلم من التاريخ والروايات أن اللص الشريف هو الذى يأخذ من الأغنياء ويعطى الفقراء، ولا يبقى لنفسه مليمًا فى جيبه، ولهذا يسمى نفسه لصًا شريفًا لأنه مجرد واسطة خير لا يعمل لمصلحته، وكل ما يعيبه أنه ميكيافيللى اختار لغاياته الشريفة وسيلة غير شريفة، أما سيادتك فإنك تسرق وتأكل وكل ما تمتد إليه يدك إلى فمك وبطنك وجيبك وما يزيد عن حاجتك توزعه على الساقطات وليس على شحاذى السيدة زينب.. ثم أنت تفعل كل هذا بدون دوافع من جوع أو حاجة، وحكاية السرقة اللاشعورية اللا إرادية والتى بدون تدبير وبدون تفكير

هى تبكيشة. بدليل ما رويته من سرقتك لزميلة القطار، وكيف أنك فكرت ودبرت ونفذت كل شىء فى نصف دقيقة.

السرقة ليست عملا فسيولوجيًا تلقائيًا مثل النبض أو دق القلب لتقول لنا إنها تحدث تلقائيًا وبلا شعور.. وإنما هى عملية معقدة تشترك فيها اليد والذكاء والتدبير والخيال والإرادة.. ويجب أن تفهم تمامًا أنك حرامى أصيل.. عديم الشرف تمامًا.

وبالطبع لن يكون كلامى أشد عليك من الأقلام التى طوردت بها كالكلاب التى تسرق العظم من دكاكين الجزارين.. فقد أخذت كفايتك ولم ترتدع.

وهم يقولون فى علم النفس إن مثل هذه الحالة التى تشكو منها يمكن أن تنشأ بسبب عقدة فى الطفولة، ويمكن أن تكون لها دوافع وحوافز فى العقل الباطن.

وسوف أكون حسن الظن وأقول لك أذهب إلى طبيب نفسانى وحلل نفسك.

والحقيقة أن نصف ما يدعيه علم النفس هو تبكيش أمريكانى، والحرامى هو حرامى وهو يسرق بعنين مفتوحتين وليس بالتنويم المغناطيسى.. ولكنها موضة القرن العشرين أن يقتل القاتل ويقول عندى جنون القتل، ويسرق السارق ويقول عندى جنون السرقة، وقد جاء فرويد ليعطى للزانى والقاتل واللص مبررات علمية وجيهة.. وقد انحسرت الآن هذه الموجة الفرويدية وأصبح

كثير من مسلمات فرويد مشكوكًا فيها وأصبحنا نناقش هذا التصور العلمى الذى يستهين بالعقل الواعى ويضع الإنسان بعقله الواعى وارادته الواعية فى ربقة الحوافز الباطنية الدفينة وفى يد ذلك الشبح الخفى الذى اسمه العقل الباطن يفعل ما يفعل، ثم يقول هى حوافز باطنية وعقدة وكومبلكس.

ولكنى سوف أكون طيبًا جدًّا.. وأقول كما يقول أولاد البلد، خلينا مع الكذاب لحد باب الدار. وسوف أعطيك فرصة وأعطى فرويد فرصتين.. وأقول لك اذهب إلى طبيب نفسى، وإن أردت فطبيبين ليستخرجا العقدة المزعومة ويحلا الفيونكة الباطنية التى تدفعك إلى سرقة الشرابات والأقلام الأمريكانى واللبان إيكا، فإذا لم يتم الشفاء على يد فرويد وحزبه فهو سيتم حتمًا على يد بوليس السيدة والأسفلت والتخشيبة.

وفى التخشيبة سوف تفيق تمامًا وبين أيدى زبانية جهنم الذين هم عسكر المباحث وخفراء الداورية وسوف تعلم تماما أن الله حق وأنه يمهل ولا يهمل.

خمس دقايق

أشعر أن القلم والورق والألفاظ المكتوبة كلها حواجز وأقنعة وألوان من الافتعال لا أستطيع أن أظهر بها أبدًا على حقيقتى.

كنت أحب أن أرفع الكلفة وأثرثر معك بكل ما فى نفسى، ولكنى لا أجد ذلك أبدًا إلا فى الكتب وفى الصفحات ووراء السطور، ولا مفر إذن من أن أجلس إلى الورق أحاول أن أحادثه بما فى نفسى لعله يحمل إليك شيئاً من حيرتى وعذابى.

أنا فتاة.. عندى حوالى ١٩ سنة، فى الثانوية العامة.. مشهورة بأنى سبور.. أنزل البحر، وألبس المينى جيب وأخالط الأولاد والصبيان من صغرى.. وفى البيت يعطوننى الحرية لأفعل ما أريد.. ولكن أبدًا لم يحدث أن خرجت مرة عن الحدود.. أصلى بانتظام ولا يفوتنى فرض، وأراقب الله فى كل أفعالى.

كان البنات زميلاتى يتحدثن عن مغامراتهن مع الأولاد.. وأقف أنا لأعظهن وأظل أتكلم فى حماس حتى تنزل لى اللوز دون جدوى.

وأعود إلى البيت.. وفى الليل ومع الوحدة تتيقظ نفسى لتجاذبنى الحديث.

هل أنا موضة قديمة؟.. هل أنا من مخلفات عصر انتهى؟

لماذا أبدو دائمًا غريبة بين زميلاتى؟

هل مفروض أن يكون لكل بنت ولد ينفرد بها؟

ألا تسمى الحياة حياة بدون هذه الأفعال.. هل العفة والشرف كلمات عفى عليها الدهر؟

هل تمضى أيام شبابى وصباى وتضيع فى المواعظ.. ثم أندم فى المستقبل وأعيش فى الحسرة لأنى لم أستمتع بها كما يجب أن تفعل كل البنات.

أصارحك أن نفسى تراودنى بما يفعل هؤلاء البنات وأتمنى لو فعلت مثلهن.. وكففت عن هذه المحاضرات الحنبلية.. ولكنها مجرد أمانى.

أتمنى ولا أقدر.. شىء فى نفسى يمنعنى.

وأعيش فى تعفف واستقامة وطهارة.. ولكن الملل يقتلنى.

أنا زهقانة.. زهقانة من نفسى ومن عيشتى.

لا تقل لى عيشى على كيفك وافعلى كما تفعل زميلاتك البنات فأنا لا أقدر، ولا تقل لى استمرى على مثالياتك واستقامتك..

فأنا زهقت، ولا تخاطبنى بلغة الدين.. كلمنى بلغة عصر القمر الصناعى والذرة.

واقنعنى بالشىء الذى اسمه الفضيلة.

م. ع.

الإبراهيمية – الإسكندرية

* * *

لن أكلمك بلغة الدين. وأكثر من هذا سوف أوافق معك أن إشباع الشهوة ربما كان لذيذًا لمدة خمس دقائق.

ولكن الحياة ليست أبدًا هذه الدقائق الخمس ولو كان اهتمام الإنسان هو هذه المتعة العاجلة، لظل قردًا يقفز على الشجر أو بهيمة تسرح فى الحقل.. ولما اخترع الكهرباء والتليفزيون والصاروخ.. ولما عرف كيف يصعد إلى القمر.

إن إنسانية الإنسان تبدأ من اللحظة التى يضبط فيها شهوته ويتحكم فيها فيقودها بدلا من أن تقوده.

وخضوع الإنسان لصراخ أعضائه ليس حرية ولا تحررًا، وإنما عبودية وذل وانسحاق ليس بعده انسحاق.

وضبط الإنسان لشهوته وتأجيل إشباعها لحين العثور على شريك حياة وبيت يعمره الحب.. هذا التنظيم هو طريق الحرية الصحيح، طريق السلامة تمامًا كما هو الحال فى نظام المرور الذى يحجز العربات خلف العلامات الحمراء فيضمن بذلك السلامة

وسرعة السير للجميع.. إنه طريق الإفلات من قبضة العبوديات الحيوانية وتكريس الحياة لخدمة العلم والتقدم والأهداف الإنسانية المتعددة.

وواضح جدًا أن معاكسات الشوارع والتردد على الشقق ليست هى الوسائل التى ينمو بها الحب ليؤدى إلى الزواج ولا سن المراهقة هى السن التى تؤتمن فيها العواطف على الاختيار الواعى السليم لشريك العمر.

ولا مفر من أن تكون مرحلة المراهقة هى مرحلة صراع.. لأنه من خلال هذا الصراع والمغالبة تنمو الإرادة وتتكون الشخصية ويعرف الإنسان من الحيوان.. ويصعد الإنسان إلى القمر ليبحث ويستكشف.

وبنت الـ ١٩ التى تتسلل إلى شقة مع صاحبها بدلا من الذهاب إلى المدرسة، هى فى الحقيقة لا تمارس الحياة.. وإنما القرد فى داخلها هو الذى يمارس الحياة، لقد هبطت بنفسها إلى مجرد أداة فاقدة للحرية والاختيار فى يد القرد الهائج بداخلها، وتحولت إلى خدمته وتلبية رغباته.

إن الشرف ليس مجرد أوامر ونواه، إنه القيد الذى نضعه على مخالب الحيوان بداخلنا لنعيش حياة أكثر إنسانية، إنه قيد فيه حريتنا وتحررنا.

لقد قلت هذا فى اعترافات سابقة أكثر من مرة وهأنذا أعود

فأقوله وأقوله.. ولو أنك سرت فى طريق صاحباتك البنات فسوف تصلنى بعد شهور اعترافات من نوع آخر تبدأ بالبكاء، والصراخ، وكيف الطريق إلى الخلاص.. «لقد ظهر الزوج المناسب ولكن بعد فوات الأوان».

«أنا زوجة سعيدة ولكن الماضى يطاردنى، هناك من يملك صورًا وخطابات عن علاقة قديمة وهو يهددنى بإرسالها لزوجى» «لقد انزلقت إلى نهاية تعسة.. فقد أحببت من لا أستطيع أن أتزوجه.. وتزوجت من لا أستطيع أن أحبه».

«اكتشف ابنى بطريق الصدفة أن أباه ليس هو أبوه الحقيقى» وهكذا أيتها القارئة العزيزة م. ع. من الإبراهيمية بالإسكندرية سوف تكتشفين بعد فوات الأوان.. أن الشرف كلمة حقيقية ذات مدلول وليست موضة قديمة.. وأن قواعد الأخلاق لم توضع للناس عبثًا.. وأن أوامر الدين لها حكمتها، وأن متعة لحظات لا تستحق كل هذا البؤس.. وأن فى الحياة آلاف المتع أكثر بقاء وأكثر عمقًا، كمتعة العلم ومتعة الفن.. ومتعة الصدق مع النفس، وأن الحياة ليست كلها ذلك المتر فى مترين الذى اسمه الفراش.

لماذا نعيش ؟

منذ سنوات كانت نظرتى إلى الحياة نظرة كلها حب وتفاؤل كنت أحب عملى.. كنت أحب زملائى.. أصدقائى.. إخوتى، إخوانى.. أبى.. أمى.. وكل ماله صلة بالحياة حولى.. الطبيعة فى جميع صورها.. الربيع والخريف والشتاء حتى سقوط الأوراق وعرى الشجر وهطول المطر ودوى الرعد.. حتى الصحارى القاحلة.. الليل المدلهم.. والبحر الهادر.

كنت كلما التقيت بإنسان تضاعف حبى للحياة.

كنت أرى الجمال فى كل شىء.. وأرى الطبيعة فى كل قلب، والصفاء فى كل وجه.. والسعادة فى كل خطوة أخطوها.

كنت ناجحًا سعيدًا أتدفق أملا وشبابًا وطموحًا حتى حدثت المأساة.

سقطت مريضًا وأنا فى قمة نجاحى.. ودخلت المصحة مصدورًا على شفا الموت.

وجاء شقيقى لزيارتى فى المصحة فأصيب فى حادث سيارة ووضعت ساقه فى الجبس.

وفى نفس الأسبوع سقط الأسانسير عندما كان أخى الثانى يقوم بإصلاحه بالدور السادس بمبنى القصر العينى الجديد.

وفى نفس الشهر كان خالى متجهًا إلى القرية لحضور فرح فأصيب فى حادث تصادم وبترت ساقه.. ودخل زوج شقيقتى المستشفى ليجرى عملية جراحية لحالة إنزلاق غضروفى، فحدث خطأ بالعملية أدى إلى عجز كلى عن الحركة وانتهى به إلى حالة شلل لا علاج لها.

والآن أنا فى طريقى للشفاء من داء الصدر.

ولكن فى طريقى إلى مرض أبشع ألف مرة من داء الصدر.. لقد فقدت قدرتى على الابتسام واسودت الدنيا فى وجهى واصطبغ كل شىء أراه بلون حزين يائس.

كرهت الدنيا.

لم أعد أرى أمام عينى إلا العجزة والمشلولين وذوى العاهات، لم أعد التقى فى محيط الأسرة إلا بالكسيح والأعرج والمبتور الساق.

لم أعد أسمع إلا الأنين..

ولم أعد التقى إلا بعبارات التعزية والمواساة.

أفكر فى الهجرة والسفر والهروب إلى أى مكان.

ولكن أى مكان فى هذه الدنيا البغيضة يخلو من العذاب والأنين.

انها دنيا قبيحة.

الغدر والاغتيال والألم يترصد فى كل ركن فيها.

ووراء هذه البحار الممتدة - هناك مالا عين رأت ومالا أذن سمعت من صنوف الألم والعذاب.

الموت أمامنا.

والموت وراءنا.

والشيخوخة تنتظرنا.. والأمراض تلهث خلفنا.

ولا أمل.

* * *

الإنسان يولد ليموت.. ولكن بين ميلاده وموته يصنع حضارة.

وأروع ما فى الإنسان أنه استطاع أن يتحدى الصواعق والزلازل وكوارث الطبيعة.. استطاع أن يروض كواسر الوحش ويستأنس جوارح الطير.. استطاع أن يهزم المرض ويتحدى الشيخوخة وينتصر على الموت.

إن وفيات الأطفال كانت قبل استخدام أساليب الطب الوقائى تصل إلى أكثر من ستين فى المائة، وهى الآن فى البلاد المتحضرة أقل من خمسة فى المائة. وهذا انتصار حقيقى على الموت.

الإنسان هزم جاذبية الأرض وخرج من إسارها لينطلق إلى الفضاء.

وإذا نظرت إلى إنسان يتألم ويغالب الألم سوف تعجب به أكثر وتشعر بجماله الذى يفوق جمال كل ما فى الطبيعة من مناظر.

كان يجب عليك أن تزداد أملاً وأنت ترى الموت والعذاب من حولك وترى الإنسان يكافح عذابه فى إصرار ويعلو على آلامه فى بطولة وجمال ويبتسم ويضحك ويسعد برغم كل شيء.

أليست هذه القمة الإنسانية أجمل من كل قمم أفرست المعممة بالجليد.. إن الجمال لن ينتهى من الدنيا ما دام فيها إنسان يفكر.. انظر فى الإنسان وأنت تستعيد شجاعتك وابتسامتك.

أنا أطحن أضراسى

لن تجد فى هذه المشكلة قصة حب ولا طفلا غير شرعى ولا مركب نقص ولا مركب عظمة.. ولا قارئا مصابًا بعاهة أو مرض مستعص.. ولكنك سوف تجد مشكلة تبدو فى ظاهرها عادية.. ومع ذلك فهى مشكلة عويصة وخطيرة وضحاياها بالالوف وبالملايين.

ولأختصر فأقول.. أنا طالب بالسنة الثالثة الصناعية دبلوم نقش.. فرد فى أسرة من خمسة إخوة وأخوات وأب وأم وبيت، ميسور الحال فيه راديو وتليفزيون وكتب ومجلات وشبابيك وبلكونات تطل على الجهات الأربع.

سوف تسألنى، وأين المشكلة؟

المشكلة فى هذه الوفرة فى وسائل الإغراء والتسلية..

قل لى بالله كيف أذاكر فى كتاب عقيم جاف سخيف عن المعادن والأملاح.. وأم كلثوم تلعلع بصوتها من الراديو على بعد متر واحد من أذنى.. وخدنى لحنانك خدنى عن الوجود وابعدنى.. بعيد.. بعيد وحدينا.

فإذا رفعت عينى سنتيمترا واحدًا من الكتاب داعب عينى منظر الحاوى، والمتعة على بعد خطوات من الباب المفتوح..

فإذا مشيت هذه الخطوة تصيدت عينى عشر مجلات مختلفة مفتوحة على صور عارية مغرية وصدور وسيقان ومقالات ملتهبة وإعلانات سينما ومسرح وستيريو.

فإذا عدت استغفر الله وارفع عينى رأيت شادية اللذيذة الطعمة وفيلمًا لذيذًا قد بدأ فى التليفزيون.

فإذا أغلقت عينى سمعت صياح إخواتى فى الغرفة المجاورة وهم يلعبون الكوتشينة.. وبصرة.. الولد يقش.. والفورة فاضل عليها عشرة.. شد حيلك تاكل ملبن.

وأنا غلبان محروق فى صفحة من كتاب مدعوق عن المعادن والمنجنيز والمولبدنم والتنتالوم.. إلخ.. إلخ.

وأنا بشر لى عينان ولى ذوق.. ولى عقل متفتح وحواس سليمة تعرف طعم البقلاوة.. وطعم شادية.. ولذة غناء أم كلثوم ومتعة لعب الكوتشينة.. وجاذبية نجمك المفضل.. ومجلة حواء.. وقصص أرسين لوبين.. وأفيشات رواية هند رستم..

وإذا استطعت أن أهزم هذا الطوفان من المغريات وانتزعت نفسى لأقف وفى يدى كتابى فى البلكونة اصطادتنى عشرات العيون الكحيلة فى بلكونات الجيران واشتغلت الابتسامات والنظرات على ودنه.. فإذا استعذت من الشيطان ونكست رأسى

إلى الأرض ورحت انظر فى الشارع رأيت ما هو أدهى.. مساقط رأسية لكل أنواع التسريحات الخارجة من الكوافير تحتنا.. ومعها مالذ وطاب من الجابونيز والديكولتيه والرقاب العاجية والخصور الملفوفة.. وآه يا عينى.. ومدعوق المنجنيز والمولبدنم والتنتالوم وامتحان الفترة.

وأنا عندى إرادة والله العظيم.. وأنا أقاوم كل هذه المغريات وأذاكر بدليل أنى أنجح.. وأنى نجحت إلى الآن بدون رسوب مرة واحدة.. ولكن.. على حساب أعصابى.. فأنا أكز على أسنانى وأطحن أضراسى وأغلق الباب والشباك وأغلق عينى وأذنى وحواسى الخمس وأذاكر.. ولكن أعصابى.. تتلف يومًا بعد يوم.. وللطاقة البشرية حدود.. ولابد من حل.

وأريد أن أقول إن الحياة المدنية أصبحت الآن شديدة الإغراء حافلة بكل ما يشد الانتباه.. وبالنسبة لطلبة فى سن المراهقة أصبح التركيز الذهنى شاقا إن لم يكن مستحيلا. ولابد من وسيلة لتمكيننا من أداء واجبنا.

المعذب

ى. أ. ش

* * *

كلامك صادق.. وهو يؤكد وجود مشكلة خطيرة بالفعل.. وفى تقريرات وإحصاءات وزارة التعليم فى إنجلترا تأكيد لهبوط

مستوى التلاميذ وهبوط نسبة النجاح بسبب هذه المغريات.. وهذا يحدث فى إنجلترا فما بال عندنا..

والحل يجب أن يبدأ من العائلة.

على البيت أن يكفل الهدوء والتفرغ والتركيز الذهنى لكل العاملين فيه.. التليفزيون له وقت محدود كل يوم ثم يغلق بالنسبة لجميع من فى البيت.. الراديو يراعى أن يكون صوته همسًا.. أو يسمعه من يشاء بسماعات أذن خاصة.

البيت ليس مقهى للكوتشينة والطاولة والتحشيش لكنه مكان عمل وملاذ راحة وتفكير وتأمل.

الصور العارية فى المجلات، يجب أن يتناولها مقص رئيس التحرير فهذا واجب إنسانى.. علينا أن نترفق بهذا الجيل.. ولا نلهب ظهره بكرابيج الإغراء إذا أردنا أن نجعل منه جيلا منتجًا.

ولكن تبقى هناك حقيقة أخرى هى إرادتك.. لابد أن تطحن أضراسك وتكز على أسنانك.. فالتحصيل شاق.. وصوت شادية فى كل العصور كان ألذ من المذاكرة.

ونحن أيضا كنا نسمع أم كلثوم تغنى.. النوم يداعب عيون حبيبى.. وياما أمر الفراق.. ونحن نذاكر فى نظريات إقليدس وفى أدب البحترى.. وكل واحد بيأخذ دوره من الغلب يا عزيزى المعذب (ى. أ. ش).

رشوة...

تزوجت من بنت خالى منذ ٨ سنوات.. ولى منها ثلاثة أطفال.. وأعترف لك أن هذا الزواج تم برغم أنفها، وبعد محاولات منى كثيرة.. ومطاردة وإلحاح متواصل وإغراء بكافة السبل.. فقد كنت أحبها.. ومازلت أحبها وأعبدها.. لجمالها ورقتها وأنوثتها.

وقضيت السنوات الأولى من الزواج فى سعادة غامرة. كنت أنفق عليها ببذخ.. أشترى لها الملابس الفاخرة وأخذها فى سهرات ونزهات كل ليلة.. ومع هذا كنت أحس دائمًا أنها غير راضية، وكان هذا يدفعنى إلى إغرائها أكثر بالمزيد من البذخ.

إلى أن صدر ضدى حكم بالسجن ثلاث سنوات بتهمة الرشوة، ودخلت السجن لأعيش فى حلم متواصل.. كنت أحلم بها كل ليلة وأكتب اسمها على الجدران.. أنحت اسمها بأظافرى.. وأعد الأيام والساعات والدقائق فى انتظار الخروج لألقاها.. وأعود إليها.. وأناديها فى ظلام الوحدة والقيد.. ومهانة السجن.

وخرجت.. لأجدها تغيرت تمامًا.. فهى دوامًا فى بكاء مستمر..

ترفض أن تجتمع بى مهما حاولت.. وتصدنى بشدة وبوحشية.. وعناد.

وفى ليلة سوداء اعترفت لى أنها تحب رجلا آخر.. وطلبت الطلاق منى وأبدت استعدادها للتنازل عن جميع حقوقها ما عدا الأولاد.. وأقسمت أنها لم تخن فى غيابى أبدًا.. وقالت إنها تحب ذلك الرجل وتعبده ولا تستطيع الحياة بعيدًا عنه.. علمًا بأنه فقير لا يملك ربع ما أملك.

وجن جنونى.

ولكن لم أستطع أن أفعل شيئًا.

لم أستطع أن أنفذ إلى قلبها بأى وسيلة من وسائل الإغراء.. كان قلبها قد أغلق نهائيًا وإلى الأبد... فى وجهى.

وكان الدق على قلبها كالدق على باب تابوت.

لا أمل..

ماذا أفعل.

أطلقها؟؟

وكيف أعيش بدونها.

أحتفظ بها برغم أنفها؟!.. وكيف أعيش معها وهى فى حالة سرحان وبكاء باستمرار؟.

كيف أعيش معها وأنا أعلم أن قلبها يكتوى بحب رجل آخر

غيرى.. أنا الذى ضحيت من أجلها.. وأنفقت عليها دم قلبى.

ما الحل؟..

«.....»

* * *

واضح أن أمارات الفشل كانت ظاهرة لك من البداية.. فهى لم تكن تحبك.. وهى تزوجتك برغم أنفها.

وحينما ظهر لك فشلك فى انصرافها عنك.. حاولت أن تغرقها بأموالك فلما نفذت أموالك بدأت تسرق من أموال الآخرين فى فيض من الرشاوى.

كنت ترتشى.. ثم تحاول بدورك أن ترشوها.

فشل.

ثم إمعان فى الفشل.

والسجن كان نتيجة طبيعية لهذه الحلقة المفرغة من الأخطاء..

وما حدث لها وأنت مسجون.. نتيجة طبيعية أيضًا.. فهى لم تكن تحبك.. وأنت فى السجن كنت فى نظرها أكثر من مجرد زوج غير محبوب.. كنت رجلا سقط اجتماعيًا.

الهوة بينكما اتسعت.

ولم يكن بينكما ود مفقود لتحاول أن تسترجعه.

أنت تحاول أن تصنع شيئًا من لا شىء.

أنا أكره الطلاق.. ولكن ما بينكما من البداية كان شيئًا كالطلاق.. وما تعيشان فيه الآن هو شىء أسوأ بكثير من الطلاق..

وأعتقد أن واجبك أن تطلقها.

هذا هو ما تقضى به الكرامة.

وأى محاولة أخرى منك للاحتفاظ بها برغم أنفها تكون محض أنانية أشبه بالاغتصاب.

أما الأولاد.. فإن حياتهم تحت سقف الكراهية.. جريمة أخرى لا تقل عن جريمة الطلاق وخراب البيت.

هل أنا رجل؟

سوف أغالب التردد وأعترف لك بكل شيء.

وسوف أبدأ معك من البداية المألوفة.

أنا شاب فى السابعة عشرة من عمرى طالب بالسنة الثانية الثانوية.. أبى وأمى وإخوتى مع حبهم لى إلا أنهم يشكون دائمًا من أنى نحس.. وأن مقدمى إليهم كان مقدم شؤم وفقر وبؤس.. وكما يقولون.. غادرهم الخير منذ جئتهم.. كانت لهم الأغنام والأبقار والأرض.. ثم لم يعد لهم من ذلك الخير الوفير إلا أقل من القليل.

أمى تقول التشريد والمصائب نزلت بها منذ مجيئى.. لم أكد أبلغ السنة الأولى من عمرى حتى كان أبى قد تزوج بأخرى وطلقها ثم طردنا من البيت وسافر أخى الكبير إلى بنغازى وتدرج فى التجارة حتى أصبح تاجرًا مرموقًا.. أما أنا وأمى فقد لجأنا إلى بيت صغير نملكه.

وكنت أحب أمى كثيرًا.. ولم أكن أرى أبى إلا نادرًا.. أحيانًا مرة واحدة فى العام برغم أنه لم يكن يبعد عنا كثيرًا.

وكانت أمى تحب أبى.. كان اسمه منقوشا على ذراعها.. وكان أبى يحبها فيما مضى ويشيد بجهودها فى تربيتنا.

وكنت أشعر نحو أبى بالاحترام كلما جمعنا مجلس، ولكن لم أكن اشتاق إليه.. مهما طالت بنا الفرقة.

المهم.. لا أريد أن أسترسل فى تفاصيل لاقيمة لها.

عشت سنى حياتى الأولى مع أمى أنام فى حضنها.. وأفترش فراشها وأتغطى بلحافها وأتوسد ذراعها وأسند رأسى إلى صدرها الحنون.

وكانت سنوات دراستى الابتدائية كلها سنوات انطواء وعزلة أكاد أعيش منعزلا عن المجتمع مع أمى بلا زمالة أو صداقة أو شلة ألعب معها.

وتوطدت فى نفسى بسبب ذلك كراهية للدنيا والناس ونفور من الاختلاط.. وكان هذا النفور يزداد كلما نظرت إلى ملابسى فرأيتها بالية قديمة.. كان خجلى من فقرى وسوء حالى يجعلنى ازداد نفورًا من الاجتماع بأى إنسان.. والحقيقة أن الخجل كان عقبة كئودا طوال حياتى.

كنت أفقد النطق ويحمر أنفى حتى يلذعنى وتحمر وجنتاى ويقشعر بدنى من قمة رأسى إلى أخمص قدمى ويتصبب العرق باردًا على جسدى كلما طلب منى الأستاذ أن أقف وأجيب على أى سؤال حتى ولو كنت أحفظ إجابة هذا السؤال عن ظهر قلب.

أنا الآن أعيش مع أخى الكبير الذى ينفق علىّ.. وأنا طالب ثانوى بالقسم العلمى.. أشعر برغبة فى الاستقلال والإنفاق على نفسى من عرق جبينى.. ولكن الخجل يمنعنى كلما فكرت فى طرق باب العمل.

إنه الخجل دائمًا.

وآخر مرة كان الخجل سببًا فى كارثة نفسية لحقت بى.. ومازلت أعيش فى كابوسها.

كان ذلك فى ذات ليلة حينما سمعت الزملاء يتكلمون.. كل واحد يتفاخر بتجربته الجنسية.. وأن له باعًا فى تلك الشئون. ولم أجد أنا ما أقوله.. فسكت خجلانا من نفسى.

وكان أصغر واحد فى الشلة يقول إنه يدخن ويشرب الخمر ويعاشر النساء، وإنه جرب كل شىء فى الدنيا.. وإن الرجل لايكون رجلا إلا إذا خاض كل تجربة.

وفى تلك الليلة لم أنم.. واختمرت فى ذهنى فكرة القيام بزيارة لمحال الدعارة.

وفى اليوم المشئوم نزلت إلى الشارع أقدم رجلا وأؤخر أخرى وقلبى يدق بمخاوف لاآخر لها.

وحينما وقفت أطرق الباب.. راودتنى الرغبة فى الهرب والفرار بنفسى.. فكرت أن البوليس ربما يداهم البيت المشبوه كما يحدث فى الأفلام.. وفكرت انى ربما أصابتنى السكتة القلبية من شدة

الانفعال، وفى تلك اللحظة فتحت العاهرة الباب فقطعت على حبال مخاوفى.. كانت جميلة وكانت ملامحها تبدو لى بريئة كملامح ملاك طاهر شريف.

وتأملت وجهها الطيب وسرح فكرى بعيدًا عن المهمة التى جئت من أجلها.. ورحت أفكر فى مبلغ قسوة هذه الحياة التى دفعت بهذا الوجه الطيب إلى الحضيض، وقدرت أن السبب قد يكون بدافع ظروف عائلية تعيسة أرغمت هذه الفتاة على أن تنحدر هذا المنحدر، وراودنى الخاطر فى أن أدعو الفتاة إلى العودة إلى حياة الفضيلة والرشاد والبحث عن طريق حلال لكسب العيش.. ولكنها قطعت هذا الخاطر بهزة من ساقها تستحثنى فيها على الفراغ من المهمة.. ولكن أية مهمة..!.. لقد تنبهت على نفسى وقد فقدت القدرة تمامًا على إتيان أى شىء.

وخرجت تودعنى سخرية العاهرة وضحكاتها لأواجه الحياة بمشكلة جديدة فى شكل سؤال راح يحل على ذهنى كل لحظة.. هل أنا رجل؟

وإذا كنت رجلا فلماذا لم أتصرف كما يتصرف كل الرجال فى هذه المناسبات؟

وبدأ يركبنى إحساس بالعار وبالنقص وبأنى لست طبيعيًا.
وماقيمة الحياة إذا لم أكن رجلا؟
وكيف أستطيع أن أتزوج.. وكيف أفتح بيتا.. وأصبح أبًا؟

وبدأت الدوامة السوداء.

وفى كل يوم تتسع الدوامة لتبتلعنى.

ولا أعرف ماذا أفعل.

م. برغثى

توكره — بنغازى

* * *

لاشك أنك رجل.. وإنسان طبيعى مائة فى المائة.. وماحدث لك لم يكن شذوذًا.. وإنما نتيجة طبيعية لأنك تعاطفت مع المرأة.. وتصورتها فى صورة الفتاة البائسة فاستحال عليك أن تقوم بعمل أصبحت ترى انه إخلال تام بالشرف.

والخطأ الشائع عند كل رجل أنه يعتقد أن هذه العملية هى عملية بدنية، ولكن الحقيقة أنها عملية نفسية عصبية تحتاج إلى تهيئة نفسية خاصة.. فإذا لم تحدث هذه التهيئة فالنتيجة تكون العجز.. وهو ليس عجزًا عضويًا بدنيًا.. وليس نقصًا مرضيًا. ولكنه دائمًا عجز نفسى.

الخجل.. والقلق.. والخوف.. والإحساس بالذنب. وتأنيب الضمير يشل هذه القدرة عند الرجل.. وخصوصًا عند الرجل الحساس الرقيق الشعور.

وكلنا نعرف أننا نضحك حينما نرى الممثل الكوميدى يمثل دور مجنون على المسرح.. ولكننا مع ذلك نفقد القدرة على

الضحك تمامًا إذا رأينا مجنونا حقيقيًا يهذى فى مستشفى المجاذيب والسبب هو التعاطف والإشفاق.. ومشاعر الرحمة.. التى تتولد أمام الرؤية الواقعية فتشل قدرتنا على الضحك.

وماحدث لك من عجز من هذا النوع وليس عجزًا حقيقيًا. إنه موقف نفسى لاأكثر.

ولن ينشأ هذا الموقف حينما تتزوج.. لأن علاقتك بزوجتك لن تكون جناية خلقية ولاانتهاك حرمات.. وإنما ستكون علاقة تسودها الشرعية والحب والاقتناع والإحساس من الطرفين بأنها علاقة شريفة.

ولاشك أن علاقتك الوثيقة بأمك ونشأتك فى حضنها طول الوقت كانت سببًا فى انطوائك وعزلتك وإحساسك بالخجل.. وربما كان الخجل الطاغى والعجز لحظة وقوفك أمام العاهرة سببه أن عقلك الباطن صورها لك فى صورة أمك المحرمة عليك.. ذات الوجه الطيب الحنون الملائكى.. التى جنى عليها الزمان.

وكما يقول فرويد إن أى ارتباط شديد بين الأبن وأمه فى مرحلة طفولته يؤدى إلى عقدة أوديب.. وهى عقدة عشق الأم.

وهذه العقدة تكون باطنة غائرة فى العقل الباطن غير واضحة الشعور وتؤدى على الدوام إلى إحساس بالذنب والخجل.. وخصوصًا من العلاقات مع الجنس الآخر.. لأن الأم المحرمة تصبح رمزا لهذا الجنس كله.

أما رجولتك فأنا أطمئنك عليها.

ابن امبارح

لم أكتب هذا الكلام إلا بعد أن فاض بى الهم وغلب حمارى وباظت أعصابى.

وما سأعرضه ليس مشكلة خاصة بى وحدى ولكنها مشكلة جيلنا كله.

والمشكلة هى مشكلة الآباء الذين ينظرون إلينا نظرة لا تتغير مهما تعلمنا وكبرنا وطلع لنا شنب.. فنحن فى نظرهم «شوية عيال».

واحد زى حالاتى سنى ٢٥ سنة وأسمع من يقول لى «تعرف إيه أنت فى الدنيا يابن امبارح».

وياما شلتك على كتفى وأنت فى اللفه ما تساويش ثلاثة أبيض.

وهو كل من طلع له شنب بقه راجل.

وأنا أحب والدى وأحترمه وأعلم قيمة رضاه ومكانته عند الله ولكن لكل شىء حدود.. وفيه حاجات تجنن.

أنا مثلاً أقطن فى حى بلدى مختلط بجميع الفئات طلبة وعمال وموظفين وأنا شخصياً فى نهائى إحدى الكليات وأعمل موظفاً فى نفس الوقت، وقبل ذلك كنت أعمل بالمدابغ ثم بالفاخورة ثم الرمالى بالسيدة ثم بأحد مصانع الحلوى، وأخيراً التحقت بهذه الوظيفة.. وبحكم هذه الأعمال المتعددة أصبحت لى خبرة بالحياة وبالناس.. ولكنى مع ذلك ما زلت فى نظر السيد الوالد.. «العيل ابن امبارح اللى لا راح ولا جه».

إذا حاولت أن أبدى رأياً كان هو أول من يسخف هذا الرأى.. «وأنت إيه كمان اللى حاتتكلم فى أمور ماتفهمهاش».

التجديد فى أثاث البيت عيب.. واللبس النظيف حرام.. والأكل فى مواعيد محددة كلام فارغ.. واستبدال الطبلية القديمة أم رجلين مكسرة بسفرة لطيفة افتراء على الله وبطر، والبطر من زوايل النعم.. ودهان البيت فخفخة كدابة.. وطلب الهدوء للمذاكرة مالوش لازمة.. واللى عاوز يذاكر حا يذاكر فى مولد أو فى سويقة.

والذهاب بأختى ١٨ سنة إلى السينما بوظان.. وشراء الصحف والمجلات إسراف.. والاشتراك فى أحد النوادى تلف.. وعيشة قرف فى قرف.

تحملنا ورضخنا للأوامر حتى بلغت الروح الحلقوم.

لو صادف وجالسته مع أصدقائه وجدته يلقى الحكم والمواعظ

فى التربية الحديثة.. «وإن كبر ابنك خاويه» و«الجواز سترة للبنت وصيانة للولد» و«المشورة فى الرأى من حسن الفطن» إلخ.. إلخ.

فإذا ترك جلسة الأصحاب ودخل البيت تبخرت كل هذه النصائح وانقلبت إلى العكس.. فلا مشورة.. ولا احترام لصغير ولا لكبير.

لى أخ أكبر تجاوز الثلاثين اختار فتاة يحبها وتحبه وطلب من الوالد السير فى إجراءات الزواج.. لكنه رفض.. لأنها لم تأت عن طريقه هو، فهى لذلك «بنت ملعونة مش بتاعة عيش.. واشمعنى عاوز تتجوز اليومين دول.. لسه بدرى عليك لما تكمل خمسة وثلاثين أربعين سنة».

وتتعجب إذا قلت لك.. إنى حينما أشترى قميصًا جديدًا أخفيه عن العيون وأبله ثم ألبسه مكرمشًا حتى يبدو نص عمر لأتخلص من الموشح الذى يستقبلنى به الوالد العزيز عن المصاريف اللى مالهاش لازمة.. والعياقة.. والوجاهة.. والظاهر إحنا بقينا خواجات.

وليس هذا حالى وحدى.. فلى صديق محترم موظف قد الدنيا وعمره ربع قرن.. وما زال أبوه يناديه بلقب «يا واد».. ويستولى على مرتبه ويعطيه مصروفه اليومى.. فإذا فتح فمه احتجاجًا.. صرخ الوالد فى استنكار «آدى آخرة تربيتنا. خسارة شقانا وتعبنا.. الواد بيبجح فيا».

وصديق ثان يعمل محصلاً بأحد الأفران ومنتسب فى كلية وفى العام الماضى حصل على درجة امتياز فى القانون التجارى والمحاسبة.. ومع ذلك أسمع بأذنى السيد والده يلوح يديه فى وجهه قائلاً.. «وده يفهم إيه فى الدنيا والا يعرف إيه عن المسئولية العيل ده.. والله بعد ما أموت حايلف ع الأبواب يشحت».

وصديق ثالث غلبان صمم أبوه على تزويجه بالإكراه، من فتاة لا يحبها ولا يطيقها لأنه يريد أن يفرح به.. «والله العظيم تلاتة إيمان بالله العظيم لو خرجت عن طوعى لا أنت ابنى ولا أعرفك.. وأنا يا ابنى راجل كبير.. لو عشت السنة دى مش حاعيش السنة الجاية.. وعاوز أشوفك عريس واتهنى بيك».

والعريس الغلبان طالب أيضًا وموظف. إيراده على قده.. يريد أن ينتظر حتى يجد شريكة حياته التى يحبها وتحبه.. وحتى تتحسن ظروفه المادية.

بالله عليك كيف يفكر هؤلاء الآباء.

وكيف نعيش معهم وهم بهذا الجمود.

عمر. ع.أ
خرطة أبو السعود

* * *

هذه الرسالة لكل أب ليستفيد العبرة.. ويأخذ درسًا فى معاملة الأبناء.. أما أنا فليس عندى ما أقوله.

حكاية سينا

أنا محام شاب. عمرى ٢٨ سنة.. عاطفى، عنيد، أحب الاستقلال فى حياتى وشخصيتى.. نجحت بكفاحى وإصرارى ومثابرتى.. استطعت أن أشق طريقى بين المحامين الكبار وأن أحقق لنفسى دخلًا محترمًا.

وليست هذه مبالغة فى الثقة بنفسى ولكنها الحقيقة التى يقولها عنى الآخرون.

بدأت مشكلتى فى يوم من أيام شهر مايو سنة ١٩٦٢ دخلت إلى مكتبى سيدة مع زوجها رأيتها فتسمرت فى مكانى لا لجمالها الباهر وحده، ولكن لشىء ما فى نظرات عينيها شدنى إليها شدًا.

واختصر لك الحكاية.. ترددت علىّ بعد هذا كثيرًا.. وتكلمنا كثيرًا.. وشىء ما فى شخصيتها كان دائمًا يصدنى كلما فكرت فى أن أغازلها أو آخذ منها ميعادًا أو قبلة كما كنت أفعل مع غيرها من النساء.

كان شىء ما فى عينيها يوقفنى عند حدى.. فأتهيبها.

وكنت أشعر شعورًا عميقًا بأن هذه المرأة هى المرأة التى طالما حلمت بها وأردتها لنفسى.

ما السر.. ما السبب.. ماذا يشدنى فيها.. لم أكن أعلم.

وتطور حديثنا.. وسألتها عن حياتها فقالت لى باختصار إنها متزوجة من ١٥سنة، وإن زوجها عنين ليس له فى النساء، وأن عندها عقدة نفسية من ناحية الجنس، وأنها ما زالت عذراء، وأنها باردة تمامًا.. لا تشعر بأى رغبة أو غريزة تدفعها إلى الجنس الآخر.

وحكت لى عن طفولتها فقالت إن أمها ماتت وهى فى التاسعة من عمرها فأدخلتها زوجة أبيها فى مدارس الراهبات داخلية.. وعندما بلغت الخامسة عشرة زوجوها لهذا الرجل وكان سنه فى ذلك الوقت ٢٨ سنة.

كانت هذه هى قصتها كما روتها لى.

ومضت أيام وليال كثيرة وأنا أفكر فيما قالته كلمة كلمة.

وعواطفى تلح علىّ ألا أتركها لهذا الرجل الأنانى.. وأعصابى يمزقها التفكير.

وذهبت إلى أمى وحكيت لها الموضوع كله عسى أن يكون لها رأى أوفكرة وكان ردها أنه لامانع من أن أتزوجها مادمت أحبها إلى هذه الدرجة.. وأمى بالمناسبة تحبنى جدًا ولاتطيق أن ترانى أتألم.

النهاية.. كانت موافقة أمى هى القشة الأخيرة التى تعلقت بها

تعلق الغريق.. فمضيت لتوى أهيئ الوسائل وأحطم العقبات.

استطعت أن أحصل لها على الطلاق من زوجها بعد شهرين.

ولا أطيل عليك.. تزوجتها

وكانت الليلة الأولى.. مفاجأة.

أحسست أنى أغبى إنسان فى العالم.

لم تكن عذراء.. كانت سيدة.

لم تكن باردة.. ولا عندها ذرة تعقيد من الجنس.

وإنما كانت شبقة سوداوية لدرجة المرض، لا تشبع.. مشتعلة الرغبة لدرجة الهوس.

وعلمت أنها كانت عادية طيلة الخمسة عشر عامًا.. لم تكن مظلومة فى شىء.. ولكن المظلوم الغلبان الفدائى.. كان الرجل التعس زوجها.

وتمنيت فى هذه اللحظة أن أرى ذلك الرجل البطل لأركع أمامه وأستغفره.

وتذكرت أنه حينما ذهبت لأسعى لها فى الطلاق لم يقاوم ولم يتحدث بحرف، وكل ما قاله إنه يشترط ألا تأخذ منه نفقة وبهذا الشرط البسيط وافق على الطلاق.

كان واضحًا أنه يريد أن يتخلص منها.

وطويت هزيمتى فى قلبى.. وتجسم لى غبائى.. وجهلى.

حاولت أن أدمن السهر والخمر لأنسى المصيبة التى تنتظرنى كل ليلة فى البيت.

وارتبكت أعمالى وأغلقت مكتبى.. ثم عدت ففتحته.

ومضت الأيام تجرنى.

انجبت طفلًا برغم أنفى.. أى والله برغم أنفى.. كنت أعطيها فى اليوم الواحد خمس حقن للاجهاض بدون جدوى.

كلما نظرت إليها الآن شعرت أنها تسرق منى شبابى وصحتى وعمرى.. وأنها تلقى بى إلى هاوية الغريزة الحيوانية انحدر فيها يومًا بعد يوم.

أحسد كل شاب على حريته.

أسأل نفسى.. لماذا فعلت بنفسى هذا.. هل كنت مجنونًا.

أفكر فى الانتحار لأتخلص من هذه العبودية.. ثم أعود فأقول وما ذنب الطفل البرىء.

بالله عليك ماذا أفعل.. لا تقل لى لقد أخطأت.

وتحاسبنى على أخطائى.. فأنا غبى وجاهل ولا يمكن أن يكون الجاهل مسئولًا عن أفعاله.

* * *

الجهل لن يعفيك من مسئوليتك.

إن المجنون الذى يضع إصبعه فى النار.. يحترق إصبعه.. جنونه

لا يعفيه من نتيجة خطئه.. وهذا حال الدنيا.

لقد أخطأت الاختيار.

كنت تحلم بامرأة جميلة وباردة تريحك بالليل والنهار.. فوقعت فى نار مشتعلة تأكلك بالليل وبالنهار.

وتذكر أنها لوكانت باردة معقدة رافضة الجنس كما كنت تتوقع لكانت كارثة أكبر.. فالبرودة ترهق أكثر.

والظاهر أن خبرتك بالنساء قليلة.

والسبيل إلى زواج موفق ليس هو البحث عن امرأة باردة أو امرأة نارية.

العلاقة الزوجية الناجحة هى توليفة موفقة.. كل من الزوجين يحاول بالعشرة والفهم والمحبة أن يؤلف رغباته وحاجاته على قدر طاقة الآخر ومزاجه وحاجاته.

العلاقة الزوجية مجموعة عادات يمكن تربيتها.

وتأكد أنك لو طلقت زوجتك وتزوجت من أخرى فسوف تفشل أيضًا فأى امرأة يمكن أن تكون باردة ويمكن أن تكون مشتعلة.

ومن خلال العلاقة الزوجية الموفقة يستطيع الزوج أن يربى العادات التي تلائمه، كل ما فى الأمر أنك لم تحاول.. وإنما اتخذت موقفًا عدائيًا من البداية.. حينما لم تجد مطلبك.. وهو مطلب مضحك.. وحكاية خرافية.. الزوج العنين والزوجة التي تعيش ١٥

سنة عذراء.. حكايات سيما واضح أنها اختلقتها لتفتح بها مجال حديث معك لأنها كانت تريدك.

نصيحتى لك أن تكف عن هذه المواقف الطفولية.. السهر والخمر وأفكار الانتحار.. وأن تحاول أن تفهم زوجتك.. وأن تحاول أن تجعلها تفهمك.

وتأكد أنك ستوفق فى خلق علاقة عادية سوية.

ليست أفعى

أنا شاب فى الثلاثين من عمرى أشغل منصبًا كبيرًا ومرتبى حوالى سبعين جنيهًا.. متزوج منذ ٦ سنوات ولى أربعة أبناء وسن زوجتى ٢٥ سنة.. وباختصار أقول لك إن زوجتى متكاملة.. جامعية.. جميلة.. موظفة.. ست بيت.. أم.. زوجة.. حبيبة.

سارت حياتى الزوجية سوية نظيفة طوال هذه السنوات الست، لم يتخللها شجار ولا تفكير فى خيانة ولا حتى نظرة منى إلى أية امرأة.

طوال هذه المدة لم اشته أى امرأة ولم أفكر فى أنثى ولم يخطر على بالى مخلوق غير زوجتى.

كان شغلى الشاغل هو بيتى وأولادى وامرأتى.

بدأت تتسلل إلى نفسى ولا أقول إلى قلبى.. أفعى فى شكل فتاة سنها ١٧ سنة.

تسللت إلى مشاعرى أولاً عن طريق العطف، فهى عاملة بسيطة مرتبها عشرون جنيهًا شهريًا.. عادية بل أقل من العادية، ظروفها المادية والعائلية والاجتماعية تعسة جدًا فهى تعيش مع

أسرتها المكونة من والدها طريح الفراش منذ عشر سنوات ووالدتها التى تكافح فى سبيل اللقمة وأختها الطالبة وأختها الأخرى العاملة، كلهم يعيشون فى غرفة واحدة فى بدروم.

والبنت على مسحة من الجمال.. عطفت عليها وساعدتها ماديًا حينما شكت لى ظروفها، ثم دعتنى إلى منزلها واستقبلنى أهلها بحفاوة كبيرة.

ولكن هذه الأيام.. بدأت المشكلة.

وأخذت أتردد عليهم وأقنع نفسى بأى سبب لذهابى.

وبالتدريج أخذت هذه الفتاة تحتل مكانة فى نفسى تزداد بمرور الوقت.

وأخيرًا.. اشتهيتها.. نعم اشتهيتها.. وقبلتها خلسة.. على السلم.. ودعوتها للخروج معى (إلى أماكن عامة فقط) كل هذا دون أن تدرى زوجتى.

وهذه التصرفات تجعلنى أحتقر نفسى.. وأنا الذى كنت أحرم على عينى أن تنظر إلى امرأة غير زوجتى حتى ولو كانت ملكة جمال.

إنى أشعر أن حياتى الزوجية.. وكيانى وبيتى.. ومستقبلى كله يتهدم.

هل تصدق أنى لم أعد أستطيع النظر فى عين زوجتى.

هذا الشعور يعذبنى.

إنى واقع فريسة سهلة لدوافع متضاربة.. العطف والإشفاق.. وإغراء النزوة بعد ست سنوات من الحياة فى طهارة.. والملل. والحياة الرتيبة الخالية من المغامرة.

والبنت متعلقة بى جدًا وطبعًا لها حق فأنا لقطة بالنسبة لها بالرغم من أنى متزوج وعندى أولاد ولست من دينها.. ودينى يمنعنى من تعدد الزوجات.

أحاول أن أتخلص منها وألعن الظروف التى عرفتنى بها.. ولكنى أعود فتنهار مقاومتى وأسرع إلى لقائها.

تعودت منذ صغرى أن أصلى إلى ربى مصدر عزائى ورجائى. أما الآن فإنى أخجل من المثول بين يديه.. ماذا أقول له.

لا أريد منك أن تقول اتركها.. فإن عطفى على هذه الأسرة يزداد يومًا بعد يوم وعلاقتى بالفتاة تزداد بدرجة تجعلنى عاجزًا عن الاستغناء عنها.

وأنا محتار بين بيتى الذى أقدسه.. وهذا الشعور الجديد الذى اكتسحنى.

* * *

واضح جدًا أنك الجانب الأقوى والأقدر فى هذه المشكلة.. وأنك سيطرت على البنت الفقيرة وعلى أسرتها بمالك ومساعداتك المادية وعطفك (المشكوك فيه).. وأنك استدرجتها.. وأنك الفخ والصياد ولست الضحية كما تصور لنفسك.

وليس صحيحًا أنك لقطة.. فأنت متزوج ولك أولاد ومن دين غير دينها ودينك لا يسمح لك بتعدد الزوجات.. إذن سوف تجرها خلفك (وأنت ابن الثلاثين وهى بنت السبعتاشر) بدون أمل وبدون جدوى سوى مساعداتك المالية.

وسوف تكون نتيجة حبها لك أن تفوتها فرص كثيرة فى الزواج وفى الحب من شاب ند لها.. فمن منكم الضحية.. أنت أيها الرجل القادر القوى الغنى المستغنى.. أم هى التى تعيش مع أمها المكافحة وأختها العاملة وأبيها المشلول فى غرفة فى البدروم.

وأنت تسميها أفعى. وأنت الأفعى الذى تلتف حولها لتعصر عودها وشبابها وعمرها بقروشك وعطفك الكاذب.. وفى النهاية سوف تبكى وتقول.. هدمت لى بيتى.

كفى رثاءً لنفسك.. بدون داع.. وأترك البنت لحالها وإذا أردت أن تساعدها فساعدها بكرم ورجولة دون أن تختلس منها القبلات على السلم.

وثق أنك إذا استمريت فى علاقتك فسوف تنتهى حياتك الزوجية إلى الدمار المؤكد.

جدير بالإشفاق

بدأت مشكلتى عندما تزوج والدى.. وكان زواجه بعد أربعين يومًا من وفاة أمى - من سيدة مطلقة ولها ولدان أحدهما أكبر منى بسنة.

وكانت معاملة زوجة أبى حسنة لدرجة جعلتنى أقول لنفسى، لو أن أمى كانت على قيد الحياة لما عاملتنى أحسن من هذه المعاملة.

وما زلت أقول هذا الكلام بعد مضى تسع سنوات على زواج أبى.

لم تكن زوجة أبى هى المشكلة إذن.. ولكن المشكلة كانت فى أبى الذى بدأت تتغير معاملته لى بعد زواجه بدرجة أفزعتنى.. فهو كل يوم يحلفنى على المصحف ألا أخونه ولا أهتك عرضه ولا أغرى امرأته.. ولو قلت لك ان عدد هذه الحلفانات اليومية بلغت عدد شعر رأسى لما كنت كاذبًا.. فقد أصابت الرجل لوثة الغيرة والشك جعلته يرتاب فى كل لحظة بدون مبرر وبدون داع.. وهو فى كل مرة يرتاب فيها يأتى بالمصحف لأحلف عليه ويطلب

منى أن أقسم بعهد الله وبنور عينى وشبابى بأنى لم أفكر فى امرأته ولم اشتهيها، ولم أنظر إليها نظرة حرام.

وفى رمضان كان يغلق عليها حجرات النوم ويأخذ المفتاح معه وأحيانًا يترك الباب مفتوحًا ليعود بعد دقائق يتجسس ويفتش وتطور الشك فى ذهنه إلى تصورات وهمية.. مرة يقول لى إنى أمسك ذراعها، ومرة يقول إنى تحسست شعرها، ومرة يقول إنى قبلتها، مع العلم بأنها امرأة فى سن أمى نصيبها من الجمال والجاذبية لا يزيد عن ٤ من ١٠.

وتطورت حالته فأصبح لا يسمح لى بالبقاء فى البيت إذا خرج فهو يأخذنى معه حينما يخرج فى الصباح الساعة التاسعة ولا يسمح لى بالعودة قبل الواحدة.. وفى المساء يأخذنى معه الساعة السابعة لأتسكع كما أشاء ولا أعود قبل التاسعة.

وهو يعطى الخادمة تعليمات مشددة بأن تلازم الست طول الوقت ولا تخرج لقضاء أى طلب.. وإذا اكتشفت أنها خرجت لأى غرض أصابه الهوس وبدأ يفتح تحقيقات لا آخر لها.

وأنا الآن طالب فى جامعة الاسكندرية فى السنة الثانية. ومن حسن حظى أنى أترك هذا المورستان وارتاح منه طول السنة الدراسية.. ولكن ما تكاد الاجازة تبدأ وأعود إلى البلد حتى يعود العذاب والجحيم و«س» و«ج».

آخر مرة أقام معى تحقيقًا طويلًا عريضًا لأنه رآنى أقف بجانبها عند الثلاجة.

ومرة أخرى كنت آخذ من المطبخ ملعقة بينما كانت واقفة تطبخ.. إزاى أدخل عليها.. واتلصص.. وانظر إلى ساقيها ومفاتنها (ياريتك تشوف السيقان الغاب دول).

العائلة فى خصام معه لأنه تزوج بعد وفاة أمى بأربعين يومًا ولأنه باع أرضًا تركتها لى أمى وأنفق ثمنها.. وهذه طبعًا مسألة ثانوية لا تهمنى.. إنما المأساة فى هذا التفكير الذى يفكر فيه والشك حتى حينما اترك البلد لأذهب إلى الاسكندرية تلازمنى همومى وتمنعنى من المذاكرة.

لا تظن أن والدى تعليم متوسط، إنه رجل متعلم تعليمًا عاليًا وموظف درجة أولى على المعاش منذ ثلاث سنوات.

لقد فكرت أن أنتحر ولكن إيمانى منعنى.

ماذا أفعل فى هذا الجحيم الذى أعيش فيه؟

* * *

إن من يعيش فى الجحيم الحقيقى هو أبوك.

أنت تشارك بنصيب المتفرج شهورًا قليلة من كل سنة، ولكن الذى يتقلب على جمر النار هو أبوك، وكل الوساوس التى يحترق فيها لا أصل لها بالطبع انها محض خياله وتصوراته.

ولكن رجلاً هذا خياله وتصوراته.. هو رجل مسكين جدير بالإشفاق، والظاهر أنه تزوج فى خريف رجولته، وأنه لم يعد يجد فى نفسه الكفاءة التى كان يجدها فى شبابه فانعكس شعوره

بالنقص إلى شك فى زوجته وفى كل شاب يملك ما لا يملكه.

أبوك مريض.. وحالته حالة سيكوباثية.. ويجب أن تعيد النظر فى مشكلتك ولا تنظر فى أنانية إلى ما تعانيه.. أنت وحدك.

وتأكد أنك لو نظرت إلى عذابه فسوف يهون عليك عذابك.

صدر للمؤلف

٤- لماذا رفضت الماركسية
٤- نقطة الغليان
٤- عصر القرود
٤- القرآن كائن حىّ
٤- أكذوبة اليسار الإسلامى
٥- نار تحت الرماد
٥- المسيخ الدجال
٥- أناشيد الإثم والبراءة
٥٣- جهنم الصغرى
٥٤- من أمريكا إلى الشاطئ الآخر
٥٥- أيها السادة اخلعوا الأقنعة
٥٦- الإسلام ... ما هو ؟
٥٧- هل هو عصر الجنون ؟
٥٨- وبدأ العد التنازلى
٥٩- حقيقة البهائية

* مجموعة المؤلفات الكاملة *

قصص مصطفى محمود — صدرت فى بيروت عام ١٩٧٢
روايات مصطفى محمود — صدرت فى بيروت عام ١٩٧٢
مسرحيات مصطفى محمود — صدرت فى بيروت عام ١٩٧٢
رحلات مصطفى محمود — صدرت فى بيروت عام ١٩٧٢

حازت رواية « رجل تحت الصفر » على جائزة الدولة لعام ١٩٧٠

رقم الإيداع	١٩٨٦ / ٧٩٦٠
الترقيم الدولى	٩٧٧-٠٢-١٩١٣-٤ ISBN

١ / ٨٦ / ٣

طبع بمطابع دار المعارف (ج.م.ع.)